إقــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

اسم الرحمن في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: | اسم الطالب: **مرام محمود زعرب**

Signature: | التوقيع: **مرام زعرب**

Date: | التاريخ: 2014/10/01م



الجامعـــــــة الإســــــلامية - غـــــزة
عمـــــــادة الدراســـــــات العليـــــا
كليـــــــة أصـــــــول الـــــــدين
قســـــم التفســـــير وعلـــــوم القـــــرآن

اسم الرحمن في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

The name of Rahman in Quran (Subjective Study)

إعـــداد الباحثة

مرام محمود زعرب

إشراف الدكتـور

د. رياض محمود قاسم

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجيستير في التفسير وعلوم القرآن

1435هـ - 2014م





الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2014/10/01م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ مرام محمود منصور زعرب لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

(اسم الرحمن في القرآن الكريم – دراسة موضوعية)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 07 ذو الحجة 1435هـ، الموافق 2014/10/01م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. رياض محمود قاسم	مشرفاً ورئيساً	....
أ.د. عصام العبد زهد	مناقشاً داخلياً	....
د. فايز حسان أبو عمرة	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز



﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ

ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾

(الرحمن: 1–4)

إلهـــــــــي

أنت الرحمن

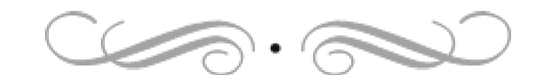
لا يطيب الدعاء إلا باسمك

ولا يطيب القلب إلا بحبك

ولا يطيب اللسان إلا بذكرك

ولا تطيب الحياة إلا برحمتك

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك



الإهـــــداء

إلى نبي الأمة الذي جاء برحمة ربي. محمد ﷺ ...

إلى روح أبي الذي تعب لأجلى، ومهد الطريق لسيري...

إلى زهرة حياتي التي قدمت الكثير لي أمي...

إلى رفيق عمري وأغلى الناس عندي زوجي...

إلى الشموع التي أضاءت حياتي أولادي...

إلى من أسعد برفقتهم منذ صغري إخوتي وأخواتي...

وأخص أختي القريبة لنفسي أم عبد الرحمن...

إلى من أسعد بصحبتهم لي عائلة زوجي الكريمة...

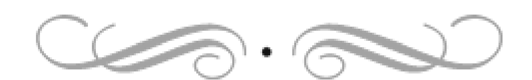
إلى من أناروا الطريق أمامي أساتذتي الكرام...

إلى من كل من أحببتهم في الله...

إلى كل من ركب الصعب وسار على الدرب في الحياة...

إلى من ضحوا بأرواحهم فداء الوطن المعطاء "شهداء العصف المأكول"...

إليكم جميعًا أهدي ثمرة جهدي.



شكر وتقدير

الحمد لله الذي بحمده تتم النعمات، وبرحمته تطيب الحياة، فأما بعد:

قـال تعـالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمـان:12]، فاللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا، لولا أنت ما اهتدينا ولا وفقنا، فإن واجب العرفان بالجميل يدعوني لأن أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون، وأخص بالذكر من علمني أن أصنع رسالتي من الجد والعمل، وأن أطرزها على سراج الأمل، أستاذي وقدوتي فضيلة الدكتور: **رياض محمود قاسم** -حفظه الله- الذي تشرفت بقبوله الإشراف على رسالتي، والذي كان له فضل الإشراف عليها في جميع مراحل إعدادها متابعةً وتدقيقًا، فكان نعم المرشد، ولم يأل جهدًا في إبداء النصحِ لي، وتقديم الملاحظات الطيبة، والحث على الجد والمثابرة، مما شجعني للمضي قدمًا في كتابتها، بل وحسن الأداء، فجزاه الله عنا كل خير، وله منا كل التقدير والاحترام.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل والامتنان للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الأستاذ الدكتور: **عصام العبد زهد** -حفظه الله-

وفضيلة الدكتور: **فايز حسان أبو عمرة** -حفظه الله-

اللذين تفضلا بقبولهما مناقشة هذه الرسالة، كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى كل من علمني حرفًا أصبح سنا برقه يضيئ الطريق أمامي، ومن أعطى من حصيلة فكره؛ لينير دربي، إلى من علمونا أن نحمل الرسالة بكل جدارة أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين، لهم منا كل تقدير واحترام، فجزاهم الله خير الجزاء، والشكر أيضًا لأمنا جميعًا الجامعة الإسلامية، والتي نشعر جميعًا بالانتماء إليها، والتي أتاحت لي الفرصة في إكمال دراستي، وأخص بالشكر عميد كلية أصول الدين، والعاملين في الدراسات العليا، وأخص العاملين في المكتبة المركزية بالجامعة في غزة، وخانيونس على مزيد عنايتهم وحرصهم على خدمة طلاب البحث العلمي، فجزاهم الله خير الجزاء، وأختم بشكري لأهلي الذين قدموا لي يد العون، وأخص منهم زوجي العزيز، الذي كان يشجعني للمضي قدمًا في كتابة الرسالة، والذي وقف بجانبي في جميع مراحل إعداد الرسالة معنويًا وماديًا، كما أخص أمي الحبيبة، نبع الحنان التي قدمت الكثير لأجلي، وأشكر كل من ساهم في إخراج هذه الرسالة، فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء.

المقدمة

الحمد لله العظيم المنان، واسع الغفران، خالق الحب والنوى، والمنعم بفضله على الإنسان، الذي جعل من أسمائه الحسنى الرحمن، الذي برحمته لا يذل المرء ولا يُهان، والصلاة والسلام على النبي العدنان الذي برحمة ربه أنار الزمان، وعلى صحبه الطيبين الكرام، سلام عليهم ما مرت السنين ودارت الأيام.

إن المؤمن يرجو رحمة ربه، ويتوكل عليه في تحقيق ما رجاه، والرجاء موجب المزيد من التعرف على أسماء الله الحسنى، ومن هذه الأسماء اسمه تعالى الرحمن، الذي بلغ عدد آياته في القرآن الكريم سبعًا وخمسين آية، ولطالما استوقفتني هذه الآيات، وأثارت فكري.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾. (الإسراء : 110)

ولهذا الاسمِ من أسمائِه تعالى خصائِصُه ومزاياه، فهو مشتقٌ من الرحمة، وهي أعلى المراتب، لذلك وصف تعالى نبيَّه ﷺ بها، في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107]، وهي صفةُ عبادِ اللهِ المقربين إليه–الذين سمَّاهم عباد الرحمن– في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الفرقان:63] وأيضًا فهو الاسمُ الذي اختص به اللهُ تعالى دون خلقِه، والذي يعني سعةُ الرحمةِ لجميع الخلق. وهي رحمةٌ عظيمةٌ واسعة شمِلت كل شيء، وفي ذلك إشارةٌ إلى أن المخلوقاتِ إنما خُلقت جميعُها بيدِ الرحمة التي مستها جميعًا، كما يشيرُ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف:156]

ولقد أنكر الكفار اسم الرحمن، فجاءت آيات عديدة تعرف بهذا الاسم وتذكر الرحمات العظيمة التي ارتبطت به، ومنها سورة "الرحمن"، والتي بدئت باسم الرحمن في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الرحمن: ١] وقد جعله الله تعالى اسمًا لهذه السورة.

ولِما لهذا الاسم، وهذه السورة المباركة من وقع على نفسي، فقد كان اختياري لموضوع هذا البحث وهو (اسم الرحمن في القرآن الكريم).

وسأبيِّن فيما يلي: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

أولاً: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الأمور الآتية:

1- تتعلق الدراسة بكتاب الله تعالى، وباسم من أسمائه الحسنى.

2- تمثل جانبًا تطبيقيًّا للون من ألوان التفسير الموضوعي.

3- تتعلق بموضوع هام له علاقة بالإنسان، وارتباطه بالله تعالى، وسعادته في الدنيا والآخرة.

4- تتعلق باسم لا يخص فئة من الناس دون غيرهم، وإنما يعم الجميع، مما يدعو الجميع إلى التقرب إليه؛ لطلب الرحمة والمغفرة.

5- تعرض لطائف اسم الرحمن في السياق القرآني، ومن خلال السور والقصص القرآني.

6- تدعو للاطلاع على أقوال المفسرين في الآية، واختيار القول الأمثل منها.

7- ترتبط بصفة الرحمة التي هي أعلى المراتب، والتي من أجلها بُعث محمد ﷺ.

ثانيًا: سبب اختيار موضوع الدراسة:

1- نيل مرضاة الله تعالى من خلال البحث في موضوع يتعلق بكتاب الله تعالى، بل وباسم من أسمائه الحسنى.

2- لطالما استوقفتني آيات الرحمن، وأثارت فكري.

3- التعرف عل الرحمات العظيمة التي يشتمل عليها القرآن الكريم، ومعرفة أسباب نيلها.

4- إيجاد ما نواسي به أنفسنا في ظل الظروف الصعبة التي أعيشها وأهلي، وعموم المسلمين باللجوء إلى رحمة الله تعالى وعدم القنوت منها أبدًا.

5- تعلق الموضوع باسم الله تعالى" الرحمن"، الذي اختص به تعالى، وبسورة قرآنيَّة تحمل كل معاني الرحمة–وهي سورة الرحمن–وما لهما من وقع على نفسي.

6- عدم وجود دراسة قرآنية موضوعية لاسم من أسماء الله الحسنى تجمع شتات الموضوع، فأردت أن أثري المكتبات الإسلامية بدراسة جديدة نافعة للمسلمين.

ثالثًا: أهداف الدراسة:

للبحث أهداف عديدة أذكر منها:

1- ابتغاء مرضاة الله تعالى، والفوز برحمته، أسمى ما أرجو من كتابة هذا البحث.

2- تقديم دراسة قرآنية موضوعية جديدة؛ لإثراء المكتبة الإسلامية للدارسين والراغبين.

3- حث المسلمين على الدعاء بأسماء الله الحسنى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180].

4- ربط اسم الرحمن بالآيات، من خلال عرض اللطائف الجميلة لهذا الاسم، ومن ثم ربطه بالأحداث التي واجهت الأمم السابقة، حتى نتجنب ما حدث لها.

5- بيان مظاهر رحمة الله تعالى في الخلق، والكون، واليوم الآخر.

6- تنقية عقيدة المسلم، وبناء شخصيته.

رابعًا: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في الشبكة العنكبوتية وغيرها، لم أعثر على دراسة تجمع شتات الموضوع، إلا أن هناك بعض الدراسات التي تناولت بعض محاوره كموضوع (اسم الرحمن في القرآن الكريم وشبهات المستشرقين). وهي رسالة ماجستير تعرض الخصائص المتعلقة باسم الرحمن في القرآن الكريم، وترد على زعم المستشرقين حول هذا الموضوع.

خامسًا: منهج البحث:

اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي الاستنباطي بعد التحليل للآيات.

سادسًا: منهج الباحثة في البحث:

1- قامت الباحثة بجمع الآيات التي ورد فيها اسم الرحمن، من خلال الاستعانة بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

2- وضعت الباحثة العناوين المناسبة للفصول والمباحث باستخدام الألفاظ القرآنية.

3- استعانت الباحثة بأمهات كتب التفسير القديمة والحديثة؛ لتفسير الآيات تفسيرًا إجماليًّا.

4- التزمت الباحثة بالأمانة العلمية عند التوثيق في الحاشية، وذلك بذكر اسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم الجزء والصفحة، واكتفت باسم الكتاب فقط ان ذُكر المؤلف في متن الرسالة.

5- الاستدلال بالأحاديث المتعلقة بالموضوع، وتخريجها حسب قواعد التخريج، ونقل حكم العلماء على الأحاديث التي لم تكن في الصحيحين، أو في أحدهما.

6- نقل الأقوال المتعلقة بتفسير الآية، وبيان الراجح منها بعد الاطلاع والبحث.

7- بيان معاني المفردات الغريبة من كتب اللغة، وبعض كتب التفسير القديمة.

8- استخلاص لطائف اسم الرحمن من الآيات القرآنية.

9- قامت الباحثة بعمل ترجمة للأعلام غير المشهورة.

10-قامت الباحثة بإعداد فهارس للآيات، والأحاديث، والمصادر والمراجع، والأعلام، والموضوعات؛ ليسهل على القارئ الوصول الى المعلومات.

سابعًا: خطة البحث

تحقيقًا للأهداف السابقة؛ اشتملت الخطة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: واشتملت على: أهمية الدراسة، وسبب اختيار موضوع الدراسة، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد

قواعد في أسماء الله الحسنى

ويشتمل على خمس **قواعد:**

القاعدة الأولى: أسماء الله كلها حسنى.

القاعدة الثانية: أسماء الله أعلام وأوصاف.

القاعدة الثالثة: دلالات أسماء الله الحسنى.

القاعدة الرابعة: أسماء الله تعالى توقيفية.

القاعدة الخامسة: أسماء الله غير محصورة بعدد.

الفصل الأول

اسم الرحمن معناه، وروده في القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معنى اسم الرحمن، ووروده في القرآن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى اسم الرحمن لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ورود اسم الرحمن في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: اقتران اسمي الجلالة الرحمن والرحيم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اشتقاق اسمي الجلالة الرحمن والرحيم.

المطلب الثاني: الفرق بين اسمي الجلالة الرحمن والرحيم

الفصل الثاني

اسم الرحمن في السياق القرآن

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: لطائف اجتماع اسمي الجلالة الرحمن والرحيم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم في البسملة.

المطلب الثاني: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم في بعض السور.

المبحث الثاني: عباد الرحمن وأولياء الشيطان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عباد الرحمن.

المطلب الثاني: أولياء الشيطان.

المبحث الثالث: استواء الرحمن على العرش

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفة الاستواء للرحمن.

المطلب الثاني: الرحم معلقة بالعرش.

المطلب الثالث: سعة رحمة الله تعالى.

المبحث الرابع: تنزيه الرحمن عن الولد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نفي اتخاذ الرحمن الولد.

المطلب الثاني: ضرب المثل للرحمن بالأنثى.

المطلب الثالث: إقامة الحجة على الكفار بأمر من الرحمن.

المبحث الخامس: ذكر النعم في سياق الحديث عن الرحمن

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: إرسال الرحمن للرسل.

المطلب الثاني: استجابة الرحمن للدعاء.

المطلب الثالث: حفظ الرحمن للعباد.

المطلب الرابع: عون الرحمن للعباد.

المطلب الخامس: جعل الرحمن للمؤمنين محبَّة في القلوب.

المطلب السادس: وعد الرحمن لعباده المؤمنين بالجنة.

المبحث الخامس: لطائف اسم الرحمن في أحداث اليوم الآخر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وعد الرحمن بالبعث.

المطلب الثاني: الحشر إلى الرحمن.

المطلب الثالث: الملك للرحمن.

المطلب الرابع: الشفاعة بإذن الرحمن.

المطلب الخامس: الخطاب والكلام بإذن الرحمن.

الفصل الثالث

اسم الرحمن في السور، والقصص القرآني

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: لطائف اسم الرحمن في بعض السور القرآنيَّة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سورة مريم.

المطلب الثاني: سورة الرحمن.

المطلب الثالث: سورة الملك.

المبحث الثاني: لطائف اسم الرحمن في القصص القرآني.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مريم من سورة مريم.

المطلب الثاني: قصة إبراهيم من سورة مريم.

المطلب الثالث: قصة عبادة العجل.

المطلب الرابع: قصة أصحاب القرية.



التمهيد

قواعد في أسماء اللّه الحسنى

وفيه خمس قواعد:

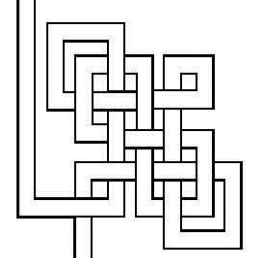
القاعدة الأولى: أسماء الله كلها حسنى.

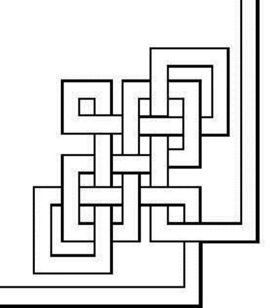
القاعدة الثانية: أسماء الله أعلام وأوصاف.

القاعدة الثالثة: دلالات أسماء الله الحسنى.

القاعدة الرابعة: أسماء الله تعالى توقيفية.

القاعدة الخامسة: أسماء الله غير محصورة بعدد.





التمهيد

قواعد في أسماء الله الحسنى

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى

الاسم لغة: "ما يُعرف به ذات الشيء"[(1)]، "ويُستدل به عليه"[(2)] واختُلف في اشتقاقه على وجهين، أحدهما: وهو قول البصريين: من السمو وهو العلو والرفعة؛ لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به، وثانيهما: وهو قول الكوفيين: من السمة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له، فأصل اسم على هذا وسم، والأول أصح.[(3)]

والحسن ضد القبح ونقيضه[(4)]، والحسنى: "تأنيث الأحسن، يُقال: الاسم الأحسن والأسماء الحسنى"[(5)]، ولقد نعت الله ﷻ أسماءه بالحسنى في أربعة مواضع من القرآن، وهي:

1. قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: 180].
2. وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:110].
3. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه:8].
4. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحشر:24].

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ص428).
(2) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (452/1).
(3) انظر: أسرار العربية، كمال الدين الأنباري (ص35-36)، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (101/1)، اسم الله الأعظم، د. عبد الله الدميجي (ص11-17)، مجموع فتاوي ورسائل العثيمين، محمد بن صالح العثيمين (766/10).
(4) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (2 /57).
(5) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (878/2).

ومعنى وصف أسماء الله بالحسنى أنها: بالغة في الحسن غايته، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه.[1] وهو وصف حاصل في أسمائه تعالى كلها، ومن ذلك: اسمه (الرحمن) فهو اسم لله تعالى متضمن للرحمة الكاملة، التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]، وقال عنها أيضًا رسول الله ﷺ -وكان قد أشار إلى امرأة من السبي تحنو على طفلها-: **(لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)**[2]، فأشار ﷺ إلى أن الله تعالى رحمته عظيمة، حتى أنه تعالى أرحم بعباده من أرحم الوالدات بولدها. فهو الذي جعلها رحيمة وهو أرحم منها[3]، وأن "كل الراحمين إذا جُمعت رحماتهم كلهم، فليست بشيء عند رحمة الله تعالى".[4]

والحُسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، كما في اسم (الرحمن)، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال، كما في اسمي (العزيز الحكيم)، فكل منهما دالٌّ على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دالٌّ على كمال آخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلمًا وجوْرًا، وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته، فإنهما يعتريهما الذل.[5]

---

(1) انظر: مجموع فتاوي ورسائل العثيمين (269/3)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص6)، وكلاهما لمحمد بن العثيمين.

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح5999، (8/8)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح 2754، (2109/4)، وسياق البخاري: عن عمر بن الخطاب: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي... إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: (أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟) قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا).

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (448/16).

(4) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (211/8).

(5) انظر: المرجع السابق (270/3).

ومن دلالات وصف أسماء الله تعالى بالحسنى: أنها جميعها دالَّة على المدح، والثناء، والتمجيد لله تعالى، "وهي التي يحب سبحانه أن يُثنى عليه، ويُحمد، ويُمجد بها دون غيرها." (1)

قال ابن تيمية رحمه الله: "وليس في أسمائه الحسنى إلا اسم يُمدح به، ولهذا كانت كلها حسنى، والحسنى بخلاف السوأى، فكلها حسنى والحسن محبوب ممدوح". (2)

ومن دلالاتها أيضًا: أنه ليس فيها اسمٌ يتضمن الشر، بدليل حديث علي بن أبي طالب، أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة، قال: **(وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَأوَاتِ وَالأَرْضَ، حَنِيفًا...)** وفيه قوله: **(وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)**. (3)

قال ابن القيم رحمه الله: "أسماءه كلها حسنى... فالشر ليس إليه ، لا يُضاف إليه فعلاً ولا وصفًا، وإنما يدخل في مفعولاته، وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله". (4)

القاعدة الثانية: أسماء الله أعلام وأوصاف

أسماء الله تبارك وتعالى أعلام وأوصاف، فهي أعلام يُناجى بها ويُستغاث، وهي أوصاف لله تبارك وتعالى لائقة بكماله وجلاله. وهي باعتبار دلالتها على الذات (5) أعلام، وباعتبار ما دلت عليه من المعاني

---

(1) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، محمد بن إبراهيم آل الشيخ (118/5).

(2) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (409/5).

(3) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح771، (534/1).

(4) بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية (163/1-164).

(5) للذات أربعة معاني في اللغة العربية: الأول: بمعنى صاحبه، مثاله: ذات علم، أي: صاحبة علم، والثاني: بمعنى التي، مثاله: ذات أرضعت ولدها، أي: التي أرضعت ولدها، والثالث: بمعنى جهة، مثاله: قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:18] أي: جهة اليمين وجهة الشمال، الرابع: أن تكون زائدة للتوكيد، مثاله: قدمنا مكة ذات يوم، فلو قلنا قدمنا مكة يومًا استقام المعنى. أما ذات بمعنى نفس الشيء وحقيقته، فهذه اختُلف فيها، فمنهم من أنكر استعمالها، ومنهم من أجازها، والأظهر جواز استعمالها. انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى لمحمد بن العثيمين، كاملة بنت محمد الكواري (ص75-76).

أوصاف، وهي بالاعتبار الأول مترادفة ؛ لدلالتها على مسمى واحد وهو الله ﷻ، وبالاعتبار الثاني متباينة؛ لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فالحي، والعليم، والقدير، كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله ﷻ، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا.[1]

وهذا التقسيم المذكور نابع من موقف أهل السنة والجماعة من هذه الأسماء، فإنهم يثبتون الأسماء على أنها أسماء لله تعالى، ويثبتون أيضًا ما تضمنته هذه الأسماء من الصفات، فمثلاً من أسماء الله تعالى(الرحيم)، فيثبتون الرحيم اسمًا لله تعالى، ويقولون: يا رحيم، فيثبتون أنه يسمى بالرحيم، ويثبتون أن الرحمة صفة له، دل عليها اسم الرحيم، فالرحيم اسم مشتق من الرحمة، وكل اسم مشتق من معنى، فلابد أن يتضمن ذلك المعنى، الذي أشتق منه، وهذا أمر معلوم في العربية واللغات جمعيًا[2]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف:8]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف:58]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة، كما أجمع أهل اللغة والعرف أنه لا يُقال: عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر وهكذا.[3]

وبهذا عُلم: أن الدهر ليس من أسماء الله تعالى؛ لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بأسماء الله الحسنى، ولا وصفًا يفيد المدح والثناء على الله تعالى، إلا أنه اسم للوقت والزمن، كما قال سبحانه عن منكري البعث: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية:24]، فقوله: (وما يهلكنا إلا الدهر) يريدون مرور الليالي والأيام[4]، أي: "أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا، إلا مر الليالي والأيام، وطول العمر، إنكارًا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم".[5]

(1) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص8)، وانظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري (374/1).

(2) انظر: أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها، محمد بن العثيمين (ص12-13).

(3) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (271/3).

(4) انظر: المرجع السابق (272/3).

(5) جامع البيان عن تأويل أي القران، محمد بن جرير الطبري (78/22).

أما قوله ﷺ في الحديث القدسي: **(قال الله ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)**[1]، فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى؛ لأن "قوله: (أقلب الليل والنهار) قرينة قوية دالة على أن المضاف في قوله (أنا الدهر) محذوف، وأن أصله خالق الدهر؛ لأن الدهر في الأصل عبارة عن الزمان مطلقًا، والليل والنهار زمان، فإذا كان كذلك، يُطلق على الله تعالى أنه مقلِّب الليل والنهار بكسر اللام، والدهر يكون مقلَّبا بالفتح، فلا يقال: الله الدهر مطلقًا؛ لأن المقلِّب غير المقلَّب".[2]

والوصف في أسماء الله تعالى لا ينافي عَلميتها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أسماءه ﷻ الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العَلَمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي عَلميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى".[3]

"فالإنسان يسمي ابنه محمدًا، وعليًا دون أن يلحظ معنى الصفة، فقد يكون اسمه عليًا وهو من أوضع الناس، أو عبد الله وهو من أكفر الناس، بخلاف أسماء الله تعالى؛ لأنها متضمنة للمعاني، فالله تعالى هو العلي لعلو ذاته وصفاته، والعزيز يدل على العزة، والحكيم يدل على الحكمة وهكذا"[4]، فأسماؤه تعالى عَلمية ووصفية معًا في آن واحد، ولا يمكن قياسها بما سبق في حق المخلوق؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشُّورى:11].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سبب الدهر، ح2246، (1762/4).

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني (167/19).

(3) بدائع الفوائد (162/1). فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا على اسم الله تعالى، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم. بدائع الفوائد (24/1).

(4) مجموع فتاوي ورسائل العثيمين (766/10)، القول المفيد على كتاب التوحيد (184/2)، وكلاهما لمحمد صالح العثيمين.

القاعدة الثالثة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته

الأسماء الحسنى متفقة في الدلالة على الذات، متنوعة في الدلالة على الصفات؛ فالاسم يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة، ويدل على أحدهما بطريق التضمن، وكل اسم يدل على الصفة التي دل عليها بالالتزام.

ومعنى دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على جميع مدلوله، فكل اسم دال على المسمى به وهو الله، وعلى الصفة المشتق منها هذا الاسم.

ومعنى دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على بعض مدلوله، أي دلالة الاسم على الذات وحدها، أو على الصفة وحدها من دلالة التضمن.

ومعنى دلالة الالتزام: هي دلالته على شيء يُفهم، لا من لفظ الاسم، لكن من لازمه، ولهذا سميناه: دلالة الالتزام.

مثال الخالق: اسم يدل على ذات الله تعالى، ويدل على صفة الخلق، فباعتبار دلالته على الأمرين، يسمى دلالة مطابقة؛ لأن اللفظ دل على جميع مدلوله، وباعتبار دلالته على الخالق وحده أو على الخلق وحده، يسمى دلالة تضمن؛ لأنه دل على بعض معناه، وباعتبار دلالته على العلم والقدرة، يسمى دلالة التزام.[1]

"فلا يمكن أن يكون خالقًا إلا أن يكون عالمًا قادرًا؛ لأنه لا يخلق من لا يقدر، ولا يخلق من لا يعلم، فلا بد أن يكون عالمًا قادرًا، ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطَّلَاق:12]، فذكر العلم والقدرة بعد أن ذكر أنه خلق؛ ولا يمكن أن يكون هناك خلق، إلا أن يعلم كيف يخلق، ويقدر على ذلك".[2]

(1) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (98/8، 99).
(2) تفسير القرآن للعثيمين، محمد العثيمين (165/3).

ومثاله أيضًا: اسمه تعالى الرحمن، فهو اسم يدل على الذات، وعلى صفة الرحمة بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها، وعلى صفة الرحمة وحدها بالتضمن، ويدل على الحياة، والعلم، والقدرة، بالالتزام؛ لأنه لا توجد رحمة بدون حياة الراحم، وعلمه، وقدرته.[1]

وهكذا فإن الاسم من أسمائه تعالى له دلالات، دلالة على الذات والصفة بالمطابقة إذا فسرناه بجميع مدلوله، وبالتضمن إذا فسرناه ببعض مدلوله، وبالالتزام إذا استدللنا به على غيره من الأسماء، التي يتوقف عليها هذا الاسم.[2]

المسألة الرابعة: أسماء الله توقيفية

التوقيف: "نص الشارع المتعلق ببعض الأمور"[3]، والتوقيفي: "ما توقف إثباته أو نفيه على الكتاب والسنة، بحيث لا يجوز إثباته ولا نفيه إلا بدليل منهما، فليس للعقل في ذلك مجال؛ لأنه شيء وراء ذلك".[4]

والقول بأن أسماء الله تعالى توقيفية، هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو الحق[5]، قال الإمام موفق الدين ابن قدامة رحمه الله: "ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه، التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله ﷺ، من غير زيادة عليها، ولا نقص منها..."[6]

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، ولأن

---

(1) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص201).
(2) انظر: بدائع الفوائد (162/1)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شمس الدين أبو العون السفاريني (1/ 124)، تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي (ص201).
(3) المعجم الوسيط (1051/2).
(4) مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين (ص8).
(5) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى (ص118).
(6) ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي (ص11).

تسميته تعالى بما لم يُسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما دلت عليه النصوص.[1]

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180] ، أي: أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، "وهي أسماء منصوص عليها، ولا يُسمى الله تعالى إلا باسم قد أطلقته الشريعة ودلت عليه"[2] ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها"[3] ، وقد أمر الله تعالى أن ندعوه بهذه الأسماء، فقال تعالى: (فادعوه بها)، أي: "ادعوا الله تعالى بأسمائه التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ، ففيه دليل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية، ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده، أنه يجوز أن يُقال يا جوّاد، ولا يجوز أن يقال يا سخي، ويجوز أن يُقال يا عالم، ولا يجوز أن يُقال يا عاقل، ويجوز أن يُقال يا حكيم، ولا يجوز أن يُقال يا طبيب".[4]

ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:33]أي: أن ما حرمه على عباده في كتبه، وعلى ألسنة رسله، هو هذه الأنواع الخمسة التي أولها (الفواحش ما ظهر منها وما بطن)، أي: ما كان قبيحًا من الأقوال والأفعال، سواء أكان في السر أو العلن، وثانيها، وثالثها (الإثم والبغي بغير الحق)، والإثم: هو الشيء القبيح، الذى فعله يعتبر معصية، والبغي: هو الظلم، والتطاول على الناس، وتجاوز الحد، ورابعها: الشرك بالله تعالى بدون حجة وبرهان، وخامسها:

---

(1) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني (1/207-208).

(2) التفسير الوسيط للزحيلى، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي (1/755).

(3) بدائع الفوائد (1/168).

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الشيحي، أبو الحسن، المعروف بالخازن (2/ 276)، بيان المعاني، ملا حويش آل غازي عبد القادر (1/461).

القول على الله تعالى بدون علم، أي: أن يقولون قولاً يتعلق بالعبادات، أو المحللات، أو المحرمات، أو غيرها بدون علم بصحة ما يقولون.[1]

فإذا كانت هذه الآيات تحرم وتحذر من الخوض في الأمور الغيبية عند فقد الدليل الشرعي، فإن ذلك التحريم والتحذير يدخل فيه باب أسماء الله تعالى، باعتباره من الأمور الغيبية، التي لا تُعرف إلا عن طريق النص الشرعي، ولذلك يجب الاقتصار على الأسماء الواردة في النصوص، وترك ما سواها.[2]

ومنها ما دل عليه حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: **(ما قال عبد قط، إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدُك ابن عبدِك ابن أمتِك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسَك، أو أنزلته في كتابِك، أو علمتهُ أحدًا من خلقِك، أو استأثرت به في علم الغيب عندَك)**[3]، فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم، وقوله في الحديث: (سميت به نفسك)، ولم يقل: خلقته لنفسك، ولا قال: سماك به خلقك، دليل على أنه ﷻ تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه، كما سمى نفسه في كتبه، التي تكلم بها حقيقة بأسمائه.[4]

وبهذا علم: أن إثبات أسماء الله تعالى، كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة نبيِه ﷺ، هو أمر واجب، إذ إنه من تمام التوحيد، ومن كمال معرفة الرب ﷻ.[5]

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (267،266/5).
(2) انظر: مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي (ص32).
(3) صحيح بن حبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا، ح972، (253/3)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط.
(4) انظر: شفاء العليل في مسائل (القضاء، والقدر، والحكمة، والتعليل)، ابن القيم الجوزية (ص277).
(5) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، أحمد بن عطية الغامدي (ص150).

القاعدة الخامسة: عدم حصر أسماء الله تعالى

أسماء الله ﷻ كثيرة لا يمكن حصرها، فإن منها ما أطلع الله ﷻ الناس عليه، ومنها ما استأثر بها في علم العيب عنده. وهذا هو قول الجمهور من أهل العلم [(1)]، واستدلوا عليه بما ورد من أحاديث صحيحة تدل على ذلك، منها ما يلي:

أولاً: قوله ﷺ في دعاء الغم والحزن: (**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**) [(2)]، وجه الدلالة من الحديث: أنه جعل أسماء الله ﷻ ثلاثة أقسام: القسم الأول: ما سمى به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزله في كتابه، والقسم الثاني: ما أنزله في كتابه، فعرَّف به عباده، والقسم الثالث: ما استأثر الله به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحد من خلقه [(3)]، قال ابن القيم رحمه الله: "وقوله: (أو استأثرت به في علم الغيب عندك)، دليل على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها غيره". [(4)]

ثانيًا: دعاؤه ﷺ في سجوده: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**) [(5)]، وجه الدلالة من الحديث: قوله ﷺ: (لا أحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) فيه اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء على الله تعالى، وأنه ﷺ لا يقدر على بلوغ حقيقته، فرد ثناءه إلى الجملة دون التفصيل، ووكَّل ذلك إلى الله تعالى، المحيط بكل شيء جملةً وتفصيلاً. [(6)]

---

(1) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى (ص 130)، وسيأتي نقل كلام النووي في الاتفاق على ذلك.

(2) صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا، ح972، (253/3)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط.

(3) انظر: بدائع الفوائد (166/1).

(4) شفاء العليل (ص277).

(5) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ح486، (352/1).

(6) انظر: شرح سنن أبي داود، أبو محمد، محمود بن أحمد العيني (90/4).

قال ابن تيمية رحمه الله: "فأخبر أنه ﷺ لا يحصى ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها".[1]

كما استدلوا أيضًا بأن الأسماء الواردة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله: "وهذا القائل الذي حصر أسماء الله تعالى في تسعة وتسعين، لم يمكنه استخراجها من القرآن، وإذا لم يقم على تعيينها دليل يجب القول به، لم يمكن أن يُقال: هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها؛ لأنه لا سبيل إلى تمييز المأمور من المحظور، فكل اسم يجهل حاله يمكن أن يكون من المأمور، ويمكن أن يكون من المحظور، وإن قيل: لا تدعو إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين".[2]

وأما ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **(إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[3] ، فلا يدل على حصر أسماء الله تعالى بهذا العدد كما ذهب إليه ابن حزم رحمه الله[4] ، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: (إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة) أو نحو ذلك.[5]

قال النووي رحمه الله: "اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث: أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر

---

(1) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد ابن تيمية (3/ 332-333).
(2) الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية (380/2).
(3) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، ح7392، (118/9)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ح2677، (2063/4).
(4) حيث قال: "صح أنها تسعة وتسعون اسمًا فقط، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد؛ لأنه عليه السلام قال: (مائة غير واحد)". المحلى بالآثار، ابن حزم الظاهري (50/1).
(5) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (276/3).

الأسماء"[1] ، أي: أن "قوله: (من أحصاها) صفة تسعة وتسعين"[2] ، فالمراد: تسعة وتسعون اسمًا موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة.

ومن أقوال العلماء في معنى الإحصاء[3] :

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره من المحققين: "معناه حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لثبوته نصًّا في الخبر"[4].

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ:[5] "يحتمل وجوها أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها، بمعنى: أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها، ويثني عليه بجميعها، فيستوجب الموعود عليها من الثواب، وثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة، والمعنى: من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء، ثالثها: المراد به الإحاطة بمعانيها. وقيل أحصاها عمل بها"[6].

وقال الأصيلي رَحِمَهُ اللَّهُ:[7] "الإحصاء للأسماء العمل بها، لا عدها وحفظها؛ لأن ذلك قد يقع للكافر المنافق"[8].

---

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين النووي (5/17).
(2) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي (478/2).
(3) الإحصاء لغة: "العد والحفظ، وأحصى الشيء أحاط به". لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (904/2).
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني (226/11).
(5) الخطابي: حمد بن محمد الخطاب البستي، أبو سليمان (388هـ)، كان فقيهًا، أديبًا، محدثًا، له التصانيف البديعة منها: غريب الحديث، وأعلام السنن في شرح البخاري. أنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (2/214-215).
(6) سبل السلام، محمد ابن إسماعيل الصنعاني (2/555-556)، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (225/11).
(7) الأصيلي: عبد الله بن إبراهيم، أبو محمد، الأموي المعروف بالاصيلي (توفى: 392 هـ)، عالم بالحديث والفقه. من أهل أصيلة في المغرب، مات بقرطبة، له كتاب الدلائل على أمهات المسائل في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة. انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي (63/4).
(8) فتح الباري شرح صحيح البخاري (378/13). وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم...) وفيه قوله: (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم). صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، ح5058، (197/6). ووجه الدلالة من الحديث: "أن من قرأ القرآن ولم يعمل به، لم ترفع قراءته إلى الله تعالى، ولا جازت حنجرته، فلم يكتب له أجرها، وخاب من ثوابها". شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطال (421/10).

وقال ابن بطال رحمه الله:[1] "الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل، فالذي بالعمل أن لله تعالى أسماء يختص بها، كالأحد، والمتعال، والقدير، ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يُستحب الاقتداء بها في معانيها، كالرحيم، والكريم، والعفو، ونحوها، فيُستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها؛ ليؤدي حق العمل بها، فبهذا يحصل الإحصاء العملي. وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها، وحفظها، والسؤال بها".[2]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان مراتب احصاء أسماء الله تعالى:

"المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها".[3]

وبعد الاطلاع على أقوال الأئمة تبين أن القول الذي ذكره ابن القيم رحمه الله هو القول الأمثل، "فإن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة، وإحصاؤها هو: معرفة لفظها، ومعناها، والتعبد لله بمقتضاها".[4]

---

(1) ابن بطال: علي بن خلف بن بطال، أبو الحسن، ويُعرف بابن اللجام (449هـ)، كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، شرح الصحيح في عدة أسفار. انظر: سير أعلام النبلاء، الامام شمس الدين محمد الذهبي (47/18).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري (378/13).

(3) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، ابن القيم الجوزية (ص30).

(4) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (181/6).



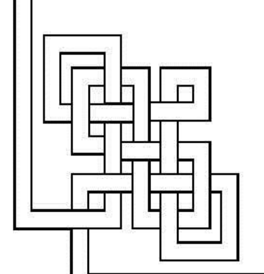
الفصل الأول

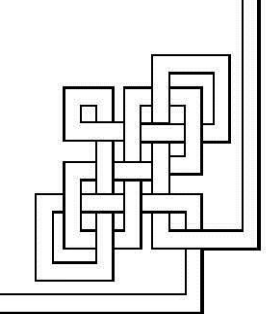
اسم الرحمن معناه، وروده في القرآن، واقترانه باسم الرحيم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: اسم الرحمن معناه، وروده في القرآن.

المبحث الثاني: اقتران اسمي الجلالة الرحمن والرحيم.







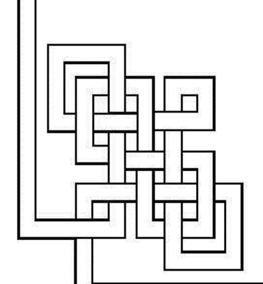
المبحث الأول

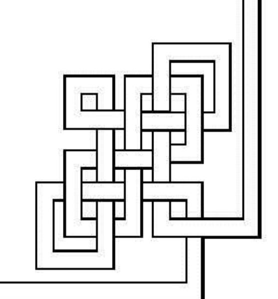
اسم الرحمن معناه، ووروده في القرآن

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: معنى اسم الرحمن لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: وروده في القرآن.





المبحث الأول

معنى اسم الرحمن، وروده في القرآن الكريم

الرحمن اسم خاص بالله تعالى، ويشمل جميع الخلق بالرحمة، يُعبر معناه عن احتياج الخلق جميعًا لرحمة خالقهم.

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى اسم الرحمن لغةً واصطلاحًا

أولاً: معنى اسم الرحمن لغةً:

رحم: رحم المرأة، وامرأة رحوم تشتكي رحمها، ومنه استعير الرحم للقرابة؛ لكونهم خارجين من رحم واحدة، يُقال: رَحِمٌ ورُحْمٌ"، وقال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:81].[1]

رحم: "الرحمة: الرقة، والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا، والرحمة: المغفرة".[2]

ومعناه عند أَهل اللغة: "ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة؛ لأَن فعلان بناء من أبنية المبالغة".[3]

ثانياً: معنى اسم الرحمن اصطلاحًا:

الرحمن: "المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، التي يقصر عنها كل من سواه، والعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم، لا يزيد في رزق التقي بتقواه، ولا ينقص من رزق الفاجر بفجوره".[4]

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص347).
(2) لسان العرب (1611/3)، وانظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ص120).
(3) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (73/4).
(4) كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب الكفومي (ص467).

ومن أقوال العلماء في معنى اسم الرحمن:

قال الزجاج:[1] "الرحمن اسم من أَسماء الله تعالى، مذكور في الكتب الأُوَل، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله تعالى".[2]

قال الأَزهري:[3] "الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فلا يجوز أَن يُقال: رحمن لغير الله".[4]

قال الحسن:[5] "الرحمن اسم ممتنع، لا يُسمى غير الله تعالى به".[6]

المطلب الثاني: ورود اسم الرحمن في القرآن الكريم

لقد كثر ورود اسم الرحمن في القرآن الكريم، والجدولان التاليان يبينان ورود اسم الرحمن في السور المكية والمدنية، وعدد وروده في كل سورة منها.

الجدول الأول: يبين ورود اسم الرحمن في السور المكية والمدنية.

---

(1) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (توفى: 311هـ)، عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد، من كتبه: معاني القرآن، إعراب القرآن، وغيرها من الكتب. انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي (40/1).

(2) معاني القرآن وإعرابه (73/4).

(3) الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، نسبة إلى جده الأزهر (توفى: 370 هـ)، أحد الأئمة في اللغة والأدب، عُني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها، ومن كتبه: تهذيب اللغة، وغريب القرآن، وغيرها من الكتب. انظر: الأعلام (311/5).

(4) لسان العرب (1612/3). ويسمى غير الله تعالى بالإضافة، كاسم (عبد الرحمن).

(5) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي (توفى: 110هـ)، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء، الفقهاء، الفصحاء، الشجعان، النساك، ولد بالمدينة، وتوفي بالبصرة، قال الغزالي: "كان الحسن البصري أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء، وأقربهم هديًا من الصحابة"، وله كتاب في (فضائل مكة). انظر: الأعلام (226/2).

(6) لسان العرب (1612/3).

أولاً: ورود اسم الرحمن في السور المكية:

الآية	السورة	رقمها	مكية
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	الفاتحة	1	مكية
﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	الفاتحة	3	مكية
﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	الرعد	30	مكية
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ ﴾	الإسراء	110	مكية
﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾	مريم	18	مكية
﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾	مريم	26	مكية
﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾	مريم	44	مكية
﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	مريم	45	مكية
﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾	مريم	58	مكية
﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾	مريم	61	مكية
﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾	مريم	69	مكية
﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴾	مريم	75	مكية
﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾	مريم	78	مكية

الآية	السورة	رقمها	مكية
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾	مريم	85	مكية
﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾	مريم	87	مكية
﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾	مريم	88	مكية
﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾	مريم	91	مكية
﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾	مريم	92	مكية
﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾	مريم	93	مكية
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾	مريم	96	مكية
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	طه	5	مكية
﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾	طه	90	مكية
﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾	طه	108	مكية
﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾	طه	109	مكية
﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾	الأنبياء	26	مكية
﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾	الأنبياء	36	مكية

الآية	السورة	رقمها	مكية
﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾	الأنبياء	42	مكية
﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾	الأنبياء	112	مكية
﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾	الفرقان	26	مكية
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	الفرقان	59	مكية
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾	الفرقان	60	مكية
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	الفرقان	63	مكية
﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾	الشعراء	5	مكية
﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	النمل	30	مكية
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾	يس	11	مكية
﴿ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾	يس	15	مكية
﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾	يس	23	مكية
﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾	يس	52	مكية
﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	فصلت	2	مكية

الآية	السورة	رقمها	مكية
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾	الزخرف	17	مكية
﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾	الزخرف	19	مكية
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾	الزخرف	20	مكية
﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا ﴾	الزخرف	33	مكية
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾	الزخرف	36	مكية
﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾	الزخرف	45	مكية
﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾	الزخرف	81	مكية
﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾	ق	33	مكية
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾	الرحمن	1	مكية
﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾	الملك	3	مكية
﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾	الملك	19	مكية
﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	الملك	20	مكية
﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾	الملك	29	مكية
﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	النبأ	37	مكية

الآية	السورة	رقمها	مكية
﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾	النبأ	38	مكية

ثانيًا: ورود اسم الرحمن في السور المدنية:

الآية	السورة	رقمها	مدنية
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾	البقرة	163	مدنية
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ﴾	الحشر	22	مدنية

والجدول الثاني يبين عدد ورود اسم الرحمن في كل سورة.

أولاً: السور المكية، وعدد ورود اسم الرحمن فيها:

	السورة	عدد مواضع الورود	م	السورة	عدد مواضع الورود
1	الفاتحة	2	9	النمل	1
2	الرعد	1	10	يس	4
3	الإسراء	1	11	فصلت	71
4	مريم	16	12	الزخرف	7
5	طه	4	13	ق	1
6	الأنبياء	4	14	الرحمن	1
7	الفرقان	5	15	الملك	4
8	الشعراء	1	16	النبأ	2

ثانيًا: السور المدنية وعدد ورود اسم الرحمن فيها:

	السورة	عدد مواضع الورود		السورة	عدد مواضع الورود
1	البقرة	1	2	الحشر	1

بعد التأمل في اسم الرحمن في القرآن الكريم، والبحث والاستقصاء في مواضع وروده في الآيات الكريمة، تبين للباحثة أنه ورد سبعًا وخمسين مرة، وهي موزعة على ثماني عشرة سورة، وفي جميعها ورد معرفًا بالألف واللام، ولم ترد اشتقاقات لاسم الرحمن في القرآن الكريم، وهو مشتق من الرحمة.

وقد راعت الباحثة بعض الأمور في إعدادها للجدول، وذلك كما يلي:

1. تم اعتماد القول بمكية بعض السور مثل: (الفاتحة، والإسراء، ومريم، وطه، والأنبياء، والفرقان، والشعراء، والنمل، ويس، وفصلت، والزخرف، وق، والملك، والنبأ) أو مدنيتها مثل: (البقرة، والحشر) بناءً على قول الجمهور في ذلك. [1]
2. تم اعتماد القول بمكية بعض السور مثل: الرحمن [2]، والرعد [3] بناءً على ترجيحات بعض العلماء في ذلك.
3. تم اعتماد العدد اثنين في ورود اسم الرحمن في سورة الفاتحة؛ بناءً على القول بأن البسملة آية منها، وهو قول طائفة من أهل العلم. [4]

---

(1) نقل السيوطي عن أبو الحسن بن الحصار قوله: "المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي باتفاق". الإتقان في علوم القرآن (44/1).

(2) سيأتي بمشيئة الله تعالى نقل أقوالهم في ذلك في سورة الرحمن.

(3) اختلف العلماء في سورة الرعد، وتم اعتماد القول بمكيتها. انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات، عبد الله بن أحمد النسفي (141/2)، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (63/7)، اتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس (ص385).

(4) سيأتي بمشيئة الله تعالى الحديث عنه في سورة الفاتحة.

وأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة بعد ملاحظة السور المكية:

أولا: أن السور المكية ركزت على القضايا العقائدية، وهذا يناسب من تخاطبهم من المشركين، الذين يعبدون الأصنام، ومن هذه القضايا:

1. التأكيد على وحدانية الله ﷻ، والرد على منكري التوحيد، كما في قوله تعالى:﴿ **أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾ [الزُّخرف:45].

2. كثرة قصص الأنبياء عليهم السلام، وبخاصة تلك التي تتصل بدعوة الأنبياء أقوامهم إلى توحيد الله ﷻ، وترك عبادة الأصنام، وقد ذُكر فيها اسم الرحمن، كدعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا** ﴾ [مريم:44]، ودعوة هارون عليه السلام لقومه، ما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي** ﴾ [طه:90]، ومن القصص الأخرى: قصة مريم عليها السلام، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾ [مريم:18]، وقوله تعالى: ﴿ **فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾ [مريم:26]، وقصة أصحاب القرية، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ** ﴾ [يس:15]، وقوله تعالى: ﴿ **أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ** ﴾ [يس:23].

3. تكرار الآيات التي تحدثت عن اتخاذ الرحمن للولد، وهي: في سورة مريم، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا** ﴾ [مريم:88]، وقوله تعالى: ﴿ **أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا** ﴾ [مريم:91]، وقوله تعالى: ﴿ **وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [مريم:92]، وفي سورة الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ** ﴾ [الأنبياء:26]، وفي سورة الزخرف، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [الزُّخرف:17]، وقوله تعالى:

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [الزُّخرف:19]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴾ [الزُّخرف:81].

4. التذكير باليوم الآخر، والرد على منكري البعث، كذكر وعده تعالى بالبعث، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:52]، وذكر الحشر، ومنه حشر المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:85]، وحشر الكفار، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم:68]، وذكر الملك يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان:26]، وإذن الشفاعة، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم:87]، وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:109]، وإذن الخطاب والكلام، كما في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النَّبأ:37]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النَّبأ:38].

5. وصف عباد الرحمن، فقد ذكرت صفات عباد الرحمن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان:63]،وقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ [مريم:58]،وذكرت جزاء من اتبع الذكر، وخشي الرحمن منهم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:11]، وبالمقابل: ذكرت صفات أولياء الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾ [الفرقان:60] –وقد ذُكر اسم الرحمن مرتين في هذه الآية– وقوله تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ [الأنبياء:36]، وقوله

تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء:5]، وذكرت جزاء من كفر بالرحمن، وأعرض عن ذكره، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم:75]، وقوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزُّخرف:33]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرف:36].

ثانيا: أن السور المكية أشارت إلى الأمور التالية:

1. ورود اسم الرحمن مقترنًا باسم الرحيم في فاتحة الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:3]، وقد ورد مقترنًا به في البسملة، ووروده مقترنًا به أيضًا في آيات أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل:30]، وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصِّلت:2]

2. ذكر الفعل استوى في الاستواء على العرش مع اسمه الرحمن، كما في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:5]، وذكره مقترنًا في آيات أخرى مع لفظ الجلالة الله تعالى، كما في قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يونس:3]، وفي غيرها من الآيات.

3. كثرة ورود اسم الرحمن في السور المكية، حيث ورد فيها أربعًا وخمسين مرة، وهي موزعة على خمس عشرة سورة، وأكثر وروده في سورة مريم التي ابتدأت بذكر الرحمة، حيث ذكر فيها اسم الرحمن ست عشرة مرة. ومن السور الأخرى التي ذكر فيها اسم الرحمن: طه، والأنبياء، ويس، والملك، حيث ذكر فيهم اسم الرحمن أربع مرات، وسورة الفرقان، ذكر فيها خمس مرات، وسورة الزخرف ذكر فيها سبع مرات، والنبأ مرتين. وجاءت كلها للرد على الكفار؛ بسبب إنكارهم للرحمن.

4. ملاءمة المواضع التي ورد فيها اسم الرحمن، مع ما يحمله هذا الاسم من معاني الإحسان والرحمة، وذلك في العديد من المواضع، كما يلي:

أ–قول إبراهيم عليه السلام الذي هو مثال الرحمة، يوصي أباه في أسلوب متلطف، بأن يترك الشرك والكفر، وبخطاب سجَّل القرآن لطفه وأخلاقه، كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [مريم:45]

ب–ذكر الله تعالى لنعمه على عباده مناسب لاسم الرحمن الدال على الإنعام، كذكره تعالى مع إرسال الرسل، كما في قوله: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴾ [الزُّخرف:45]، وذكره تعالى مع استجابته للدعاء، كما في قوله: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:112] ، وذكر حفظه تعالى للعباد في الليل والنهار، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ [الأنبياء:42]، وذكر عونه لنبيه ﷺ وعباده المؤمنين، كما في قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:112]، وجعله لعباده المؤمنين المحبة في القلوب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم:96]، ووعده لهم بالجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم:61].

والنتائج التي توصلت لها الباحثة بعد ملاحظة السور المدنية:

1. قلة ورود اسم الرحمن في السور المدنية، حيث ورد مرتين فيها، وذلك في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:163]، وفي سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر:22].

2. ورود اسم الرحمن في السور المدنية مقترنًا باسم الرحيم.



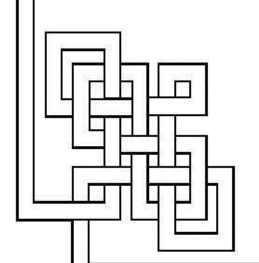
المبحث الثاني

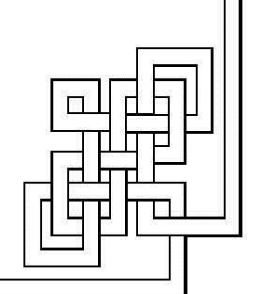
اقتران اسمي الجلالة الرحمن والرحيم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: اشتقاق اسمي الجلالة الرحمن والرحيم.

المطلب الثاني: الفرق بين اسمي الجلالة الرحمن والرحيم.





المبحث الثاني

اقتران اسمي الجلالة الرحمن والرحيم

لقد اقترن اسم الرحمن بلفظ الجلالة الله، وباسم الرحيم في القرآن الكريم، ولم يقترن بغيرهما من الأسماء. ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: اشتقاق اسمي الجلالة الرحمن والرحيم

الرحمن والرحيم اسمان من أسمائه تعالى، فهو الرحمن، وهو الرحيم، وقد ورد ذكرهما في مواضع عديدة من القرآن.

واختُلف في اسم الرحمن، هل هو اسم عربي أم معرّب؟

قيل: إن الرحمن اسم عبراني معرب، وليس بعربي؛ لأن قريشًا وهم فطنة العرب وفصحاؤهم لم يعرفوه، حتى ذُكر لهم، وقالوا: ما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: 60]، وقيل: إنه اسم عربي كالرحيم؛ لامتزاج حروفهما، فإذا كانا اسمين عربيين، فهما مشتقان من الرحمة.[1]

أولاً: القول في اشتقاقهما:[2]

"الرحمن الرحيم: صفتان مشتقتان من الرحمة[3]، وقيل: الرحمن ليس مشتقًّا؛ لأن العرب لم تعرفه في قولهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:60]، وأجاب ابن العربي عنه: بأنهم جهلوا الصفة دون الموصوف، ولذلك لم يقولوا: ومن الرحمن؟"

---

(1) انظر: تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري، الشهير بالماوردي (52/1)، فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (21/1)، فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان الحسيني (46/1).

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي (30/1)، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (155/8)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني (2/7). واشتقاق الكلام لغة: الأخذ فيه يمينًا وشمالاً، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه، ويُقال: شقَّقَ الكلام، إذا أخرجه أحسن مخرج. لسان العرب (2302/4).

(3) قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ : "هما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم... وعلى هذا أكثر العلماء". أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (5/1)، وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (277/4)، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (38/1)، التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري (3/1).

"والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد، وتعنت في كفرهم".[1]

القول الراجح:

إن الرحمن مشتق من الرحمة، قال القرطبي رحمه الله: " الرحمن مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، فلذلك لا يُثنى ولا يُجمع، كما يُثنى الرحيم ويُجمع"[2]، ويدل على اشتقاقه ما روي في الحديث القدسي، قوله ﷺ: **(قَالَ اللَّهُ** عز وجل**: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ)**"[3]، وجه الدلالة من الحديث: أن الرحم "أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله تعالى"[4]، والواصل لها يصله الله تعالى برحمته وعظيم إحسانه. فالوصل من الله كناية عن: عظيم إحسانه، فلمّا كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال، وهو القرب منه وإسعافه بما يريد، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى، فعُرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده.[5]

وفي الحديث دليل على أن اسم الرحمن عربي مأخوذ من الرحمة.[6]

ثانيا: الرحمة المضافة إلى الله تعالى

الرحمة: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وإذا وصُف بها الله عز وجل، فإنها صفة حقيقية يتصف بها تعالى تليق

(1) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (41/1).
(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد القرطبي (104/1).
(3) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، ح1694، (133/2). صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح520، (49/2).
(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (93/22).
(5) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (13/9).
(6) انظر: معالم السنن، أبو سليمان حمد الخطاب (83/2).

بكماله وجلاله، وليس معناها إحسانًا أو إرادة الإحسان، بل هما من مقتضى اتصافه بالرحمة، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.[1]

ومن مقتضى اتصافه تعالى بالرحمة: إرادة الخير والإحسان لعباده، وترك عقوبة من يستحق العقاب، وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحق.

المطلب الثاني: الفرق بين اسمي الجلالة الرحمن والرحيم

إن الله تعالى هو المختص وحده باجتماع اسمي الرحمن الرحيم، ويُمثل اجتماعهما استغراق كل معاني الرحمة، وحالاتها، ومجالاتها، ويقرر حقيقة العلاقة بين الله تعالى والعباد.[2] وسيتبين الفرق بين الاسمين فيما يلي:

أولاً: أن اسم الرحمن بمعنى: "عظيم الرحمة؛ لأن فعلان صيغة مبالغة في كثرة الشيء وعظمته، ولا يلزم منه الدوام كغضبان وسكران، والرحيم بمعنى: دائم الرحمة؛ لأن صيغة فعيل تُستعمل في الصفات الدائمة، ككريم وظريف، فكأنه قيل: العظيم الرحمة، الدائم الإحسان".[3]

ثانيًا: "أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية، من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل الصفة الفعلية، من حيث إيصاله الرحمة الى المرحوم"[4]، قال ابن القيم رحمه الله: "الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته"[5]، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43]، ولم يجيء قط رحمن بهم، فعُلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته.[6]

(1) شرح العقيدة السفارينية، محمد بن العثيمين، (ص247).
(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (22/1).
(3) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (19/1).
(4) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ بن أحمد حكمي (68/1).
(5) بدائع الفوائد (24/1).
(6) انظر: المرجع السابق (24/1).

ثالثًا: أن الرحمن لا يُستعمل إلا معرفًا بأل التعريف، أو مضافًا [(1)]، والرحيم قد يأتي غير معرفًا، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43].

رابعًا: أن الرحمن اسم مختص بالله تعالى، ولا يجوز أن يُسمى به غيره [(2)]، "والرحيم يُوصف به غير الله تعالى، فيُقال: رجل رحيم، ولا يُقال: رحمن" [(3)]، كما سُمي الرسول ﷺ بالرحيم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:128].

خامسًا: "معنى الرحمن: المنعم بجلائل النعم، ومعنى الرحيم: المنعم بدقائقها" [(4)]، قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لمّا قال الرحمن فتناول جلائل النعم، وعظائمها، وأصولها، أردفه الرحيم كالتتمة والرديف؛ ليتناول ما دق منها ولطف". [(5)] وذلك يدل على أنه تعالى "مولى النعم كلها ظواهرها وبواطنها، جلائلها ودقائقها" [(6)]

سادسًا: الرحمن "يدل على الرحمة العامة، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43]". [(7)]

---

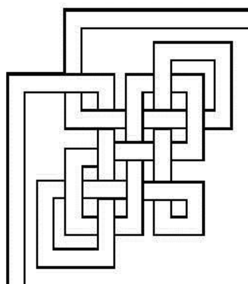
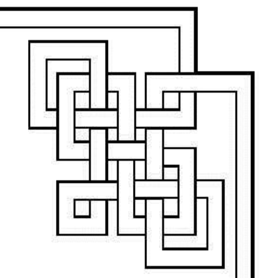
(1) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون (34/1).
(2) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (225/1)، الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري (48/9)، التفسير المنير، د. وهبة مصطفى الزحيلي (56/1).
(3) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا، محمد عبد الرحمن المباركفوري (339/9).
(4) محاسن التأويل (225/1).
(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم، محمود بن عمرو الزمخشري (8/1)، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد، ناصر الدين عبد الله البيضاوي (27/1)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (155/8).
(6) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري (362/10).
(7) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (67/1).

سابعًا: أن الرحمن مقدم على الرحيم كما في البسملة، وفي غيرها من الآيات التي اقترن فيها اسم الرحمن باسم الرحيم، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "بدأ باسم الله تعالى، ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص".[1]

وبهذا يتبين أن: "الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم".[2]

(1) تفسير القرآن العظيم (40/1).

(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (67/1)، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (338/9).

الفصل الثاني

اسم الرحمن في السياق القرآن

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: لطائف اجتماع اسمي الجلالة الرحمن الرحيم

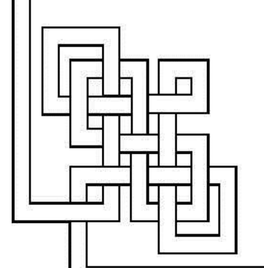
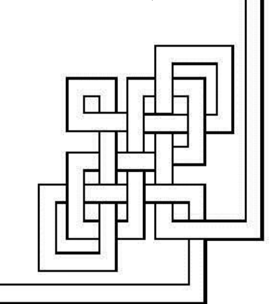
المبحث الثاني: عباد الرحمن وأولياء الشيطان

المبحث الثالث: استواء الرحمن على العرش

المبحث الرابع: تنزيه الرحمن عن الولد

المبحث الخامس: ذكر النعم في سياق الحديث عن الرحمن

المبحث السادس: لطائف اسم الرحمن في أحداث اليوم الآخر



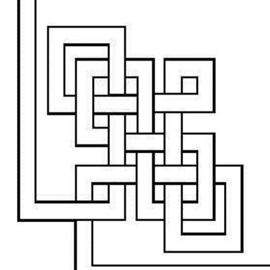
المبحث الأول

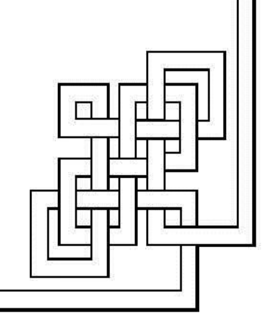
لطائف اجتماع اسمي الجلالة الرحمن الرحيم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم في البسملة.

المطلب الثاني: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم في بعض السور.





المطلب الأول: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم في البسملة

البسملة هي اختصار لقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وهي من باب النحت [1] في اللغة، يُقال: "بسمل الرجل إذا قال بسم الله" [2]، ومعناها: "أبدأ بتسمية الله، وذكره قبل كل شيء" [3]، ويشرع الإتيان بها في بداية الأعمال، وفي بداية السور القرآنية، إلا سورة التوبة. وهي بالاتفاق بعض آية من سورة النمل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل:30]، وعلى خلاف بين العلماء في أنها آية من سورة الفاتحة، ومن كل سورة. [4]

ويُلاحَظ اشتمال البسملة على ثلاثة أسماء: الله، الرحمن، الرحيم، وهو أمر لطيف يستدعي انتباه كل متأمل ومتدبر، فقد اختص الله تعالى هذه الأسماء-والتي تدل على رحمته ﷻ من دون الأسماء الأخرى، وجعلها في البسملة، والتي بها تُستهل السور القرآنية، وبها يبدأ العباد أعمالهم.

ونجد الشعراوي رحمه الله ممن استرعتهم هذه اللفتة القرآنية، وحاولوا بيانها، يقول رحمه الله: "والرحمن الرحيم في البسملة لها معنى غير الرحمن الرحيم في الفاتحة، ففي البسملة هي تذكرنا برحمة الله سبحانه وتعالى وغفرانه، حتى لا نستحي ولا نهاب أن نستعين باسم الله إن كنا قد فعلنا معصية، فالله سبحانه وتعالى يريدنا أن نستعين باسمه دائمًا في كل أعمالنا، فإذا سقط واحد منا في معصية، قال كيف أستعين باسم الله، وقد عصيته؟ نقول له: أدخل عليه سبحانه وتعالى من باب الرحمة، فيغفر لك وتستعين به فيجيبك، وأنت حين تسقط في معصية تستعيذ برحمة الله تعالى من عدله؛ لأن عدل الله لا يترك صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها". [5]

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (137/1).
(2) مختار الصحاح (ص35)، وانظر: المعجم الوسيط (57/1).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن (115/1).
(4) انظر: التحرير والتنوير (138/1) وما بعدها، معالم التنزيل (51/1-52).
(5) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (52/1).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "المعصية لا تمنعنا من الاستعانة في كل عمل باسم الله؛ لأنه رحمن رحيم، فيكون الله قد أزال وحشتك من المعصية في الاستعانة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"[1].

فالرحمن: أي: "كثير الرحمة لعباده بجلائل النعم، كنعمتي الإيجاد والإيمان، والرحيم: أي كثير الرحمة لعباده بدقائقها، كالزيادة في الجمال والعلم، وقوة السمع وحدة البصر"[2].

"والحكمة في تخصيص التسمية بهذه الأسماء الثلاثة؛ ليعلم العارف أن المستحق أن يُستعان به في جميع الأمور هو المعبود الحقيقي، الذي هو مولى النعم كلها، عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها"[3].

"وإذا كان البدء باسم الله تعالى، وما ينطوي عليه من توحيد الله وأدب معه، يمثل الكلية الأولى في التصور الإسلامي، فإن استغراق معاني الرحمة، وحالاتها، ومجالاتها، في صفتي الرحمن الرحِيم، يمثل الكلية الثانية في هذا التصور، ويقرر حقيقة العلاقة بين الله تعالى والعباد"[4].

ويشتمل هذا المطلب على مسألتين، كما يلي:

المسألة الأولى: ورود البسملة في سورة الفاتحة.

الفاتحة في الأصل: أول ما من شأنه أن يُفتتح به، ثم أُطلقت على أول كل شيء، فسُميت هذه السورة فاتحة الكتاب؛ لكونه افتُتح بها، إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز.[5] وسُميت أم الكتاب؛ لأنه "يُبدأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدأ

(1) تفسير الشعراوي (54/1).
(2) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين العلوي (28/1).
(3) المرجع السابق (28/1).
(4) في ظلال القرآن (22/1).
(5) انظر: فتح القدير (17/1).

بقراءتها في الصلاة" [1]، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي)**. [2]

وتابع الشعراوي رحمه الله ما ذكره سابقا في معنى (الرحمن الرحيم) في البسملة، فقال رحمه الله: "(الرحمن الرحيم) في الفاتحة مقترنة برب العالمين، الذي أوجدك من عدم، وأمدك بنعم لا تُعد ولا تُحصى، أنت تحمده على هذه النعم التي أخذتها برحمة الله تعالى في ربوبيته، ذلك أن الربوبية ليس فيها من القسوة بقدر ما فيها من رحمة". [3]

ثم قال رحمه الله: "ففي الفاتحة تأتي (الرحمن الرحيم) بمعنى رحمة الله في ربوبيته لخلقه، فهو يُمهل العاصي، ويفتح أبواب التوبة لكل من يلجأ إليه". [4]

أي: "وصف نفسه تعالى بعد (رب العالمين) بأنه (الرحمن الرحيم)؛ لأنه لمّا كان في اتِّصافه برب العالمين ترهيب، قرنه بالرحمن الرحيم، لِما تضمّن من الترغيب؛ لِيجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع". [5]

وفائدة تكرير (الرحمن الرحيم) في الفاتحة بعد ذكرها في البسملة؛ ليُعلم أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور، وأنّ الحاجة إليها أكثر، فنبّه تعالى بتكرير ذكر الرحمة؛ ليدل على كثرتها، وأنّه هو المتفضل بها على خلقه. [6]

---

(1) صحيح البخاري (17/6) وهو من كلام الإمام البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري (156/8)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (438/8).
(2) سنن الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الحجر، ح3124، (297/5)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح 3178، (607/1).
(3) تفسير الشعراوي – الخواطر (54/1).
(4) المرجع السابق (54/1).
(5) الجامع لأحكام القرآن (139/1).
(6) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (20/1).

المسألة الثانية: ورود البسملة في سورة النمل

وردت البسملة في سورة النمل، كما في قوله: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل:29-30].

وجه الدلالة: قوله: (إنه من سليمان)، "هو من كلام الملكة [1]، ابتدأت به مخاطبة أهل مشورتها؛ لإيقاظ أفهامهم إلى التدبر في مغزاه؛ لأن اللائق بسليمان أن لا يُقدِّم في كتابه شيئًا قبل اسم الله تعالى، وأن معرفة اسم سليمان تُؤخذ من ختمه، وهو خارج الكتاب، فلذلك ابتدأت به أيضًا". [2] "كأنَّهم سألوها: ممن ذلك الكتاب؛ فقالت: (إنه من سليمان)، وسألوها -أيضًا-: ما في ذلك الكتاب؛ فقالت: (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)". [3]

فيُفهم من تقديم قوله: (إنه من سليمان) على قوله: (بسم الله) أن سليمان ابتدأ كتابه بقول: (بسم الله الرحمن الرحيم) [4]، ووصف الكتاب بالكريم، إما لذلك الابتداء، وإما؛ لأنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم، فعظمته إجلالاً لسليمان عليه السلام. [5]

وقد افتتح سليمان كتابه بالبسملة، وهذا الافتتاح خاص بكتب النبي سليمان عليه السلام، أن يُتبَع اسم الجلالة بوصفي: الرحمن الرحيم، فصار ذلك سُنة لافتتاح الأمور ذوات البال في الإسلام. [6]

---

(1) بلقيس: بنت الهدهاد بن شرحبيل، ملكة سبأ من حمير، يمانية من أهل مأرب، أُشير إليها في القرآن الكريم، ولم يسمِّها، وُليت بعهد من أبيها (في مأرب)، وطمع بها عمرو بن أبرهة، فزحف عليها، فانهزمت، ثم وُليت أمر اليمن كله، وزحفت بالجيوش إلى بابل وفارس، فخضع لها الناس، وعادت إلى اليمن، فاتخذت مدينة (سبأ) قاعدة لها. وقد ذكر القرآن الكريم قصتها مع سليمان عليه السلام. انظر: الأعلام، الزركلي (73/2-74).

(2) التحرير والتنوير (259/19).

(3) تفسير الماتريدي، محمد بن محمد الماتريدي (113/8).

(4) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (345/3).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن (191/13).

(6) انظر: التحرير والتنوير (260/19).

المطلب الثاني: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم في بعض السور

قد كثُر اجتماع اسمي الرحمن الرحيم في القرآن الكريم، ولم يقتصر ورودهما على البسملة، بل ورد هذان الاسمان في بعض الآيات القرآنية.

ويشتمل هذا المطلب على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم مع التوحيد في الآية

الله ﷻ هو الإله الواحد الذي لا شريك له، وهو الرحمن الرحيم المتصف بالرحمة العظيمة، التي من آثارها وجود جميع النعم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163].

وجه الدلالة: أخبر ﷻ عن افراده في الألوهية- فلا شريك له، ولا يصح أن يُسمى غيره إلهًا-وتقريره للوحدانية بنفي غيره، وإثباته الرحمن الرحيم، المولى لجميع النعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة، فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه.[1]

قال الشعراوي رحمه الله: "ومادام كل شيء ما عدا الله تعالى، إما نعمة وإما منعَم عليه، فلا تُوصف النعمة بأنها إله، ولا يُقال في المنعَم عليه: إنه إله؛ لأن المُنعَم عليه معناه: أن غيره أفاض عليه نعمه؛ ولأن النعمة موهوبة، والمُنَعم عليه موهوب إليه، فإذا كانت هبة أو موهوبة إليه، فلا يصح أن تكون إلهًا".[2]

وقد ذُكر اسم الرحمن في الآية، وفيه **لطائف: منها:** أن ذكر الإله الواحد يفيد القهر والعلو، فعقَّب ذلك بذكر هذه المبالغة في الرحمة؛ ترويحًا للقلوب، وإشعارًا بأن رحمته سبقت غضبه، وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان[3]، **ومنها:** أن "الوحدة تذكر أولئك الكافرين الكاتمين للحق

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (210/1)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (147/1).
(2) تفسير الشعراوي (683/2).
(3) انظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (152/4).

بأنهم لا يجدون ملجأ غير الله تعالى، يقيهم عقوبته ولعنته، والرحمة بعدها ترغبهم في التوبة، وتحول بينهم وبين اليأس من فضله"[(1)] ، **ومنها:** أن الله تعالى إذا كان واحدًا لا إله إلا هو، فلا ينبغي أن يُشرَك معه غيره، وكذلك (الرحمن الرحيم) أي: الكامل الرحمة، فلا ينبغي أن يُعرِض العبد عن أسباب رحمته اعتمادًا على رحمة غيره، ممن يظن أنهم مقربون عنده، فحسب المؤمن من رحمة الله تعالى، التي وسِعت كل شيء.[(2)]

المسألة الثانية: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم مع التنزيل في الآية

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم على نبيه ﷺ، ونزوله من أجل النعم، فلا شك أن القرآن هو النعمة الباقية إلى يوم القيامة. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصِّلت:2]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ أنه أرسل لعباده الرسل عليهم السلام، وأنزل عليهم الكتب، وأحاطهم بكل ما ينجيهم، وهيأ لهم أسباب الإيمان واليقين.[(3)]

والمراد من كون آياته منزّلة في قوله: (تنزيل من الرحمن الرحيم): "أن الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ، وأمر جبريل عليه السلام بأن يحفظ تلك الكلمات، ثم ينزل بها على محمد ﷺ ويبلغها إليه، فلمّا حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل عليه السلام، سُمي لذلك تنزيلاً".[(4)]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: الإيذان بأن التنزيل مدار للمصالح الدينية والدنيوية، واقع بمقتضى الرحمة الربانية، حسبما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

(1) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (34/2)، وانظر: التفسير المنير (59/2)
(2) انظر: تفسير القرآن الحكيم (45/2).
(3) انظر: أوضح التفاسير، محمد بن محمد الخطيب (ص582).
(4) مفاتيح الغيب (537/27)، وانظر: تفسير اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص، سراج الدين عمر الحنبلي (97/17).

[الأنبياء:107] [1]، فإنزال هذا الكتاب من أعظم رحمته تعالى وأجلها، فقد حصل به النعم الكثيرة من العلم، والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير.

قال الرازي رحمه الله: "فكونه تعالى رحمانًا رحيمًا صفتان دالتان على كمال الرحمة، فالتنزيل المضاف إلى هاتين الصفتين لا بد وأن يكون دالاً على أعظم وجوه النعمة... والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية، وعلى كل ما يحتاج إليه الأصحاء من الأغذية، فكان أعظم النعم عند الله تعالى على أهل هذا العالم إنزال القرآن عليهم". [2]

المسألة الثالثة: اجتماع اسمي الرحمن الرحيم مع الغيب والشهادة في الآية

لقد عظُم القرآن الكريم بعظمة صفات مُنزله، فقد وصف سبحانه نفسه بجليل الصفات، الدالة على عظمته وجلاله، فهو الإله الواحد، عالم الغيب والشهادة، وهو الرحمن الرحيم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر:22]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ أنه الذي لا إله إلا هو، فلا رب غيره، ولا إله للوجود سواه، وكل ما يُعبد من دونه فباطل، وأنه عالم الغيب والشهادة، أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، من جليل وحقير، وصغير وكبير، حتى الذر [3] في الظلمات، وأنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات. [4]

فوصف نفسه تعالى بالوحدانية، "ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لِما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التي وسعت كل شيء، ووصلت إلى كل حي" [5]، كما أفاد ذلك

---

(1) انظر: ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، العمادي بن مصطفى (2/8)، روح البيان، أبو الفداء، إسماعيل الخلوتي (226/8)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي (348/12).

(2) مفاتيح الغيب (537/27-538).

(3) الذر هو: "صغار النمل". معجم مقاييس اللغة (343/2).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم (108/8)، التفسير المنير (109/28).

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص854).

ضمير الفصل (هو) في قوله: (هو الرحمن الرحيم)، وهو قصر الرحمة عليه تعالى؛ لعدم الاعتداد برحمة غيره؛ لقصورِها [1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:156]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: "أن عموم العلم يقتضي أن لا يغيب عن علمه شيء، من أحوال خلقه وحاجتهم إليه، فهو يرحم المحتاجين إلى رحمته، ويمهل المعاندين إلى عقاب الآخرة" [2]، وبذلك يتعادل الخوف من مراقبة الله تعالى له، والرجاء برحمته. قال سيد قطب رحمه الله: " فيستقر في الضمير شعور الطمأنينة لرحمة الله تعالى والاسترواح، ويتعادل الخوف والرجاء، والفزع والطمأنينة، فالله تعالى في تصور المؤمن لا يطارد عباده ولكن يراقبهم، ولا يريد الشر بهم بل يحب الهدى، ولا يتركهم بلا عون وهم يصارعون الشرور والأهواء". [3]

(1) انظر: التحرير والتنوير (119/28).
(2) المرجع السابق (119/28-120).
(3) في ظلال القرآن (3533/6).

المبحث الثاني

عباد الرحمن وأولياء الشيطان

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عباد الرحمن

المطلب الثاني: أولياء الشيطان

المطلب الأول: عباد الرحمن

لقد أضافهم الله ﷻ إلى اسمه الرحمن، فهم عباد الرحمن، "وهم أولياء الله تعالى المتقون، الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور، فأحبهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه" (1)، "وهم جديرون بالانتساب إليه" (2)، فإضافتهم إليه رفعةً لهم، وإن كان كل الخلق عباده، وإضافتهم إلى صفة الرحمة تبشيرًا لهم (3)، "وهذا الوصف يشعر بأنهم رحماء فيما بينهم، لا يُجافون، ولا يتناحرون، بل هم في اطمئنان، وسلام، وروحانية". (4) ويشتمل هذا المطلب على مسألتين:

المسألة الأولى: صفات عباد الرحمن

عباد الرحمن هم أصحاب المناقب الحميدة، والصفات الكريمة، التي تدل على قوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم، وهذه المزايا جعلتهم يتشرفون بالانتساب إلى خالقهم.

وهم بصفاتهم المميزة، ومقومات نفوسهم، وسلوكهم، وحياتهم، مثلاً حيًّا واقعيًّا للجماعة التي يريدها الإسلام، وللنفوس التي ينشئها بمنهجه التربوي القويم. (5)

ولما أنكر المشركون اسم الرحمن، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:60]، وقالوا: إن محمدًا ينهانا عن الشرك، وهو يدعو مع الله تعالى الرحمن، فيقول: يا الله يا رحمن، فقد ناسب لتجاهلهم هذا الاسم، أن يذكر الله تعالى لهم صفات عباد الرحمن؛ ليعرفوا الرحمن بعباده (6)، ومن هذه الصفات:

---

(1) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية (ص286).
(2) صفوة التفاسير (339/2).
(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (420/13)، تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني (28/3).
(4) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد، المعروف بأبي زهرة (5312/10).
(5) انظر: في ظلال القرآن (2577/5).
(6) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (629/3).

الصفة الأولى: التواضع وسمو النفس

المؤمن متواضع، لا يختال ولا يتكبر، ويبرز هذا التواضع في هيئته، وفي سلوكه مع الآخرين، فهو يمشي برفق وسكينة، دون اختيال أو تكبر؛ لأن المشي هو الذي يُعرِّض الإنسان لمقابلة مجتمعات متعددة، وهذا الأدب الرباني في المشي يُحدث في المجتمع استطراقًا إنسانيًا، يُسوِّي بين الجميع [(1)]، وهو مع هذا التواضع في المشي، يتواضع في تعامله مع الآخرين. قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان:63]

وجه الدلالة: وصف الله ﷻ عباده بالتواضع في مشيهم، فقال: (يمشون على الأرض هونا)، والهَوْن: "السكينة والوَقار" [(2)]، أي: يمشون "بالحلم، والسكينة، والوقار، غير مستكبرين ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد" [(3)].

وذكر المشي؛ لأنه "انتقال في الأرض، وهو يستدعي معاشرة الناس ومخاطبتهم، واللين مطلوب فيها غاية الطلب" [(4)]، "والمشي الهيّن على الأرض، هو دليل على التواضع، ولين الجانب، وسماحة الخلق" [(5)].

"وعباد الرحمن الذين يرضاهم لنفسه عبادًا، هم الذين يمشون على الأرض في سكون وتواضع، وخشوع واستكانة، وهذا هو ضد مشي المختال، الفخور، المرح، الذي هو مذموم الحال" [(6)].

قال سيد قطب رحمه الله: "والنفس السوية المطمئنة، الجادة القاصدة، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة، جادة قاصدة، فيها وقار وسكينة، وفيها جد وقوة" [(7)].

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي (10500/17).
(2) معجم مقاييس اللغة (21/6)، مختار الصحاح (ص329).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن (293/19).
(4) روح المعاني (43/10).
(5) التفسير القرآني للقرآن (55/10).
(6) الهداية في بلوغ النهاية، أبو محمد، مكي القيسي (5251/8).
(7) في ظلال القرآن (2577/5).

وهذا هو شأنهم في مشيهم، أما شأنهم مع غيرهم، فقد وصفهم ﷻ بقوله: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)، أي: "خاطبوهم خطابًا يسلمون فيه من الإثم، ويسلمون من مقابلة الجاهل[1] بجهله، وهذا مدح لهم بالحلم الكثير، ومقابلة المسيء بالإحسان، والعفو عن الجاهل، ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال"[2]، "وإن ذلك دأب الحكماء المتقين، يهدون ولا يجهلون، ولقد كان النبي ﷺ لا تزيده شدة الجاهل إلا حُلما"[3].

والمراد: أنهم "يُعاشرون الناس معاشرةً حسنة لينة، من غير غلظة ولا قسوة، مع الاحتفاظ بسمو النفس وعزتها، وترفعها عن الدنايا، ومن غير استضعاف ولا ذلة، وإذا أساء إليهم الجهلة، لم يقابلوهم بالإساءة، وإنما عفوا وصفحوا، ولم يقولوا إلا خيرا "[4].

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن الله تعالى أضافهم إلى اسمه الرحمن؛ إشارةً "لتخصيصهم برحمته، أو لتفضيلهم على من عداهم؛ لكونهم مرحومين منعمًا عليهم"[5]، وإشعارًا "بأنهم موصوفون بكمال الرحمة على الخلق، وموعودون بكمال رحمة الله تعالى عليهم"[6].

الصفة الثانية: السجود للرحمن عند سماع آياته

أنعم الله ﷻ علينا نعمة عظيمة، وهي الرسالة التي جاء بها أنبياؤه، الذين أنعم الله تعالى عليهم، وهداهم الصراط المستقيم، كما في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة:7]. ومن أطاع الله تعالى، كان مع الذين أنعم عليهم من النبيين، وغيرهم من المخلصين لله تعالى في عباداتهم وطاعاتهم، وركوعهم وسجودهم. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ

(1) الجاهل: "هو السفيه الذي لا يزن الكلام، ولا يضع الكلمة في موضعها، ولا يدرك مقاييس الأمور، لا في الخُلق ولا في الأدب". تفسير الشعراوي (10502/17).
(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص586).
(3) زهرة التفاسير (5312/10).
(4) التفسير الوسيط للزحيلي (1811/2).
(5) روح المعاني (43/10)، وانظر: معالم التنزيل (93/6).
(6) التفسير المظهري (45/7).

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾

[مريم:58]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن إنعامه وتفضله على عباده المخلصين، فقال تعالى: (الذين أنعم الله عليهم من النبيين)[1]، أي: الذين أنعم الله تعالى عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء عليهم السلام، من ذرية آدم عليه السلام، ومن ذرية من حملنا مع نوح عليه السلام في الفُلك، ومن ذرية إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، ومن ذرّية إسرائيل، ثم قال: (وممن هدينا) أي: للإيمان بالله تعالى، والعمل بطاعته، (واجتبينا) أي: ممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم عليه السلام هو إدريس عليه السلام، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح عليه السلام هو إبراهيم عليه السلام، والذي عنى به من ذرية إبراهيم عليه السلام هو إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل عليهم السلام، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى، وهارون، وزكريا، وعيسى وأمه مريم عليهم السلام.[2]

ثم أخبر تعالى عن إخلاصهم في طاعاتهم، فقال تعالى: (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وبكيا) أي: "إذا سمعوا كلام الله تعالى، المتضمن حججه، ودلائله، وبراهينه، سجدوا لربهم خضوعًا واستكانةً، وحمدًا وشكرًا، على ما هم فيه من النعم العظيمة".[3]

والآية دالة على شكرهم نعم الله تعالى عليهم، وتقريبه إياهم بالخضوع له، وذلك بالسجود عند تلاوة آياته، وبالبكاء الناشئ عن انفعال النفس انفعالاً مختلطًا من التعظيم والخوف[4]، كما دل عليه الانفعال القسري الطبيعي في قوله: (خروا) ولم يقل سجدوا، بل سقطوا بوجوههم سريعًا إلى الأرض، فعُلم أنه لا دخل للعقل فيه ولا للتفكير.[5]

(1) حرف الجر (من) في قوله تعالى: (من النبِيين) هو للبيان، وليس للتبعيض، إذ إن كل النبيين أنعم الله تعالى عليهم بهذه النعمة الجليلة. انظر: التفسير القرآني للقرآن (746/8).
(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (214/18)، لباب التأويل في معاني التنزيل (191/3).
(3) تفسير القرآن العظيم (215/5).
(4) انظر: التحرير والتنوير (133/16).
(5) انظر: تفسير الشعراوي (9129/15).

فبيَّن تعالى أنهم مع نعم الله تعالى عليهم، قد بلغوا من الإيمان ما يجعلهم عند تلاوة آياته تعالى، يخرون سجدًا وبكيّا، خشوعًا وخوفًا من الله تعالى؛ لأن من تدبر وتفكر في آياته تعالى، صح أن يسجد عندها وأن يبكي، كما في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان:64]، أي: الذين "يستمتعون بلذة المناجاة مع الإله الخالق، يصلون صلاة الليل، ويذكرون ربهم ساجدين قانتين، قائمين طائعين؛ لأن العبادة تحلو في جوف الليل، وتكون دليلاً على الإخلاص والصدق، وحب التقرب من الله تعالى" [(1)]، فبيَّن تعالى أنهم مشغولون عن النوم المريح، بالتوجه إلى ربهم، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به.

والمعنى: أن القرآن الكريم له أسلوبه التأثيري عن العقول والقلوب، وهذا ليس عند عباد الرحمن فقط بل عند الكافرين وغير الناطقين باللغة العربية، فإن منهم من يبكي عند سماع آيات الله تعالى.

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن آياته ﷻ من رحمته بعباده، وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلى الحق، وأنقذهم من الضلال، ومع كون التكليف الذي تحمله شاقًّا إلا أنه رحمة بعباده؛ لأن فيه السعادة لهم في الدنيا والآخرة.

ولطيفة أخرى: أنهم إذا سمعوا آيات الرحمن والرحمة، يبكون ويسبحون، فأحرى بهم ذلك إذا سمعوا آية التخويف والموعظة. [(2)]

المسألة الثانية: جزاء المتبع لذكر الرحمن

إن عباد الرحمن الذين يتصفون بالصفات الحميدة، فقد جزاهم الله تعالى بالمنازل العاليات في الجنة، وهو جزاء من جنس العمل. كما قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ [الفرقان:75] أي: "أولئك المتصفون بالأوصاف الجليلة السامية، ينالون الدرجات العالية؛ بصبرهم على أمر الله تعالى، وطاعتهم له سبحانه، (ويلقون فيها تحية وسلاما)

(1) التفسير الوسيط للزحيلي (1812/2).
(2) انظر: تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة (124/3).

أي: ويُتلقون بالتحية والسلام من الملائكة الكرام"[1]، فهؤلاء بشرهم الله تعالى بمغفرة وأجر كريم، ودخول الجنة بسلام. ويدل على ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:11]

وجه الدلالة: لمّا أخبر الله ﷻ أن الإنذار في جانب الذين لا يؤمنون هو وعدمه سواء، في قوله تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس:10]، فأعقب ببيان جدوى الإنذار للمتبع لذكره، في قوله: (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب)[2]، والمعنى: إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن الكريم، واتبع ما فيه من أحكام، وخاف الله تعالى حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يُبطن الكفر ويظهر الإيمان، ولا المشرك الذي قد طبع الله تعالى على قلبه.[3]

ثم ذكر تعالى جزاء من اتبع الذكر في قوله: (فبشره بمغفرة)، أي: "بشر هذا الذي اتبع الذكر (بمغفرة) عظيمة، (وأجر كريم) أي: حسن وهو الجنة"[4]، وقد جمعت الآية بين قوله: (تنذر)، وقوله: (بشر)، وفيه بيان أن المتبعين للذكر أول أمرهم الإنذار، وعاقبته التبشير.[5]

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾ [ق:32-34].

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن الثواب الذي وعد به عباده المتقين، فقال تعالى: (هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ) أي: يُقال لهم عند دخول الجنة: "هذا الذي ترونه من نعيم، هو ما سبق

(1) صفوة التفاسير (340/2).
(2) انظر: التحرير والتنوير (352/22).
(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (496/20).
(4) فتحُ البيان في مقاصد القرآن (275/11).
(5) التحرير والتنوير (353/22).

أن وعد الله تعالى به كل (أوّاب) أي: رجّاع إليه بالتوبة، (حفيظ) أي: حافظ لحدوده، وأوامره، ونواهيه، بحيث لا يتجاوزها، وإنما ينفذها، ويقف عندها "[1]، ثم أخبر عن عبده الأواب الحفيظ، فقال: (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) أي: "خاف الرحمن فأطاعه دون أن يراه؛ لقوة يقينه، وجاء بقلب تائب، خاضع، خاشع"[2]، أي: بقلب مقبل على طاعة الله تعالى، وقيل: مخلص، وعلامة المنيب: أن يكون عارفًا لحرمته، مواليًا له، متواضعًا لجلاله، تاركًا لهوى نفسه. ويحتمل أن يكون القلب المنيب: القلب السليم[3]، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصَّافات:84] أي: "سليم من الشرك "[4].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: ولقي الله ﷻ يوم القيامة بقلب منيب، سليم إليه، خاضع لديه"[5].

والمعنى: أن الله ﷻ وعد من خشيه بالغيب بهذا النعيم العظيم. والمراد من خشيته تعالى بالغيب: الملازمة على خشيته في حال المغيب عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وهي خشيته تعالى في الغيب والشهادة، كما يحتمل أن يكون المراد بها الإيمان بالغيب[6]، فإن الإيمان بالغيب يجعل النفس دائمًا خاضعة مطمئنة، لا تستنكف عن عبادة الله تعالى، وإذا كان الإيمان بالغيب يولد الخشية في النفس، فذلك هو لب الإيمان.

والذين يخشون ربهم بالغيب، هم الذين يعرفون حق الله تعالى عليهم، ومراقبته إياهم في السر والعلن، وهم دائمًا منيبون إلى الله تعالى، وهذه أعلى درجات السلوك مع الله تعالى، كما أنها منزلة العلماء[7]، وبهذا استحقوا دخول الجنة، وقيل لهم: ادخلوها بسلام، كما قال تعالى: (ادخلوها

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (348/13).
(2) صفوة التفاسير (229/3).
(3) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي (105/9)، الجامع لأحكام القرآن (21/17). وُصف القلب بالإنابة، وهي الرجوع إلى الله تعالى؛ لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (390/4).
(4) مفاتيح الغيب (147/28).
(5) تفسير القرآن العظيم (379/7).
(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 806).
(7) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (235/8).

بسلام ذلك يوم الخلود) أي: سالمين من العذاب وزوال النعم، أو مسلَّمًا عليكم، يُسلِّم عليكم الله وملائكته".[1]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن اتباع الذكر وخشيته تعالى، تجلب رحمته تعالى ومغفرته.

ولطيفة أخرى: "أن رحمته تعالى لا تقتضي عدم خشيته، فالمؤمن يخشى الله تعالى مع علمه برحمته، فهو يرجو الرحمة".[2]

المطلب الثاني: أولياء الشيطان

سمّاهم الله ﷻ أولياء الشيطان، وأمر بقتالهم؛ لأنهم يصدون عن سبيل الله تعالى، ويشركون به، ويظهرون الفساد في الأرض، وقد أخبر تعالى عنهم بقوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء:76].

ويشتمل هذا المطلب على مسألتين:

المسألة الأولى: صفات أولياء الشيطان

أولياء الشيطان هم أصحاب الصفات الذميمة، التي تدل على قبح نفوسهم وأخلاقهم. وهم بصفاتهم الذميمة، ونفوسهم وأخلاقهم مثلاً حيًّا واقعيًّا للجماعة التي ينفر منها الإسلام، والتي لا تمثل منهجه التربوي القويم، وقد ذكر الله تعالى صفاتهم الذميمة، منها:

الصفة الأولى: الكفر بالرحمن

أخبر الله ﷻ أنه أرسل نبيه ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى الهدى، ويتلو عليهم الآيات التي أوحاها الله تعالى إليه، ولكنَّ قومَهُ لم يقابلوا ذلك إلا بالكفر والإنكار لذكره، والاستهزاء بنبيه ﷺ ؛

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (390/4)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (42/18).
(2) التحرير والتنوير (354/22).

لجهلهم بمقامه، وعدم معرفتهم لفضله، وهم يكفرون بذكر الرحمن ﷻ، مع أنهم يغضبون لذكر آلهتم بسوء، ومع كل ذكر جديد يأتيهم يتجدد كفرهم وتكذيبهم. ويدل على ذلك:

أولا: قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:30].

وجه الدلالة: بيَّن-سبحانه-أن إرسال محمد ﷺ إلى الناس ليس بدعًا، فقد سبقه رسل كثيرون إلى أقوامهم، فقال تعالى: (كذلك أرسلناك) أي كذلك الإرسال الذي أرسلنا به الرسل عليهم السلام السابقين أرسلناك، فالشبه هو إرسال النبي ﷺ، والمشبه به إرسال الأنبياء السابقين [(1)]، ثم فسَّر تعالى هذا الإرسال، فقال: (في أمة قد خلت من قبلها أمم) أي: "أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة، فهي آخر الأمم، وأنت خاتم الأنبياء" [(2)]، وفي ذكر الأمم السابقة تعريض بمشركي مكة، أنهم إذا استمروا في طغيانهم، فسيصيبهم ما أصاب الأمم التي سبقتهم. [(3)] ثم بيَّن تعالى فائدة هذا الإرسال، فقال: (لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك) أي: "تبلغهم رسالة الله تعالى إليهم" [(4)]

ثم بيَّن تعالى حال القوم مقابل هذه الرسالة، فقال: (وهم يكفرون بالرحمن) أي: "وهم يجحدون وحدانية الله تعالى، ويُكذِّبون بها" [(5)]، وقيل: إنهم لا يعرفون الرحمن إلا صاحب اليمامة. [(6)]

فلم يقابلوا رحمته وإحسانه -التي أعظمها إرسال رسوله ﷺ إليهم-بالقبول والشكر، بل قابلوها بالإنكار والرد، ولم يعتبروا بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة، كيف أخذهم الله تعالى

(1) انظر: زهرة التفاسير (3948/8).
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (529/2)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (154/2).
(3) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (480/7).
(4) تفسير القرآن العظيم (395/4).
(5) جامع البيان في تأويل القرآن (445/16)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (3738/5).
(6) انظر: تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله، محمد المري، المعروف بابن أبي زَمَنِين (355/2)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن، علي الواحدي (ص572).

بذنوبهم [1]، ونصر رسله عليهم السلام عليهم، وجعل العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة. [2]

ورسالة الرسول ﷺ وإن كانت مسبوقة برسالات النبيين عليهم السلام من قبله، فإنها ذات صفة خاصة، وشأن فريد اختصت به. فقد أرسله الله تعالى بمعجزة تناسب ما نبغ فيه قومه، ألا وهي القرآن الكريم، فهو المعجزة الكبرى للرسول ﷺ.

وبعد إعلانهم الكفر، أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن إيمانه، فقال تعالى: (قل هو ربي لا إله إلا هو) أي: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن الرحمن الذي كفرتم به، وأنكرتم معرفته، هو ربي الذي آمنت به، لا معبود لي سواه، (عليه توكلت وإليه متاب) أي عليه وحده اعتمدت، وإليه توبتي ومرجعي، فيثيبني على مجاهدتكم، والغرض تسلية النبي ﷺ مما يلقاه من كفار قريش من الجحود والعناد". [3]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن إرسال الرسل عليهم السلام ناشئ من الرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، وأنهم لم يشكروا نعمة هذا الوحي، الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية [4]، وأنهم أنكروا اسم الرحمن، وأن كفرهم به أشد؛ لأنهم أنكروا أن يكون الله تعالى رحمانًا. [5]

ولطيفة أخرى ذكرها الشعراوي رحمه الله في قوله: (قل هو ربي)، فقال رحمه الله: "وكلمة ربي تنسجم مع كلمة الرحمن، الذي ينعم بالنعم كلها، وهو المتولي تربيتي، ولو لم يفعل سوى خلقي وتربيتي، ومدِّي بالحياة ومقوماتها؛ لكان يكفي ذلك لأعبده وحده، ولا أشرك به أحدا". [6]

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص418).
(2) انظر: التفسير المنير (171/13).
(3) صفوة التفاسير (77/2).
(4) انظر: محاسن التأويل (283/6).
(5) انظر: التحرير والتنوير (141/13).
(6) تفسير الشعراوي (7334/12).

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء:36].

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن المستهزئين من المشركين[(1)]، فقال: (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا)، أي: "لا يتخذونك في اللقاء إلا هزوا، أي: إلا مستهزئين منك، غير مقبلين على دعوتك، ولا على شخصك بتعرف ما عندك من قول، والنفي والإثبات بالاستثناء مفيد لاستغراق الاستهزاء لكل أحوالهم، فليس عندهم في نفوسهم فراغ لسماع الحق، والإنصات إليه في جد وإقبال"[(2)]، "وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: (إنا كفيناك المستهزئين)"[(3)]، ومن استهزائهم أنهم يقولون استنكارًا وتعجبًا: (أهذا الذي يسب آلهتكم) أي: "أهذا هو مدعي النبوة الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها"[(4)]، والحال أنهم كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: (وهم بذكر الرحمن هم كافرون)، أي: وهم بالقرآن كافرون، أو بذكر الرحمن الذي خلقهم كافرون؛ إذ قالوا ما نعرفه، والمعنى: أنهم يعيبون على النبي ﷺ أن يذكر آلهتهم بالسوء، والحال أنهم يكفرون بذكر الرحمن، فهم أحق بأن يُعاب عليهم.[(5)]

وهذا هو سلاح الجاهلين، الذين لا يحسنون غير السفاهة والاستهزاء، حين تقهرهم الأدلة والبراهين[(6)]، ومثلهم كمثل فرعون من موسى[(7)]، في قوله تعالى: ﴿ **أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا**

---

(1) قُصد بالمستهزئين: أبو جهل وأضرابه، ممن كان يسخر من رسالته ﷺ، ويتغيظ منه ؛ لسبِّه آلهتهم، وتسفيه أحلامهم. انظر: محاسن التأويل (194/7).
(2) زهرة التفاسير (4862/9).
(3) فتح البيان في مقاصد القرآن (326/8).
(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (209/9).
(5) انظر: فتح القدير (481/3)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (46/9)، فتح البيان في مقاصد القرآن (326/8).
(6) انظر: التفسير القرآني للقرآن (897/9).
(7) زهرة التفاسير (4862/9).

يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزُّخرف:52] أي: "أنا خير من هذا الضعيف الحقير، الذي لا عز له، ولا جاه، ولا سلطان".(1)

فأخبر تعالى أنهم لا يستكثرون على أنفسهم–وهم عبيد من عبيد الله–أن يكفروا به، ويعرضوا عما أنزل لهم من قرآن، وهذا يكشف عن مدى الفساد الذي أصاب فطرتهم وتقديرهم للأمور.(2)

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن تنزيل هذا الذكر يدل على عظيم رحمته، ويصور أقصى جهلهم، وهم يعرضون عن الرحمة التي تتنزل عليهم، ويحرمون أنفسهم منها، وهم أحوج الناس إليها.(3)

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ** ﴾ [الشعراء:5]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ أن الكفار كلما جاءهم قرآن جديد من الله تعالى أعرضوا عنه وكذبوه، فقال تعالى: (وما يأتيهم من ذكر محدث من الرحمن) أي: "وما يأتيهم من ذكر موعظة أو طائفة من القرآن من الرحمن، يوحيه إلى نبيه ﷺ (محدث) مجدَّد إنزاله؛ لتكرير التذكير، وتنويع التقرير، (إلا كانوا عنه معرضين) إلا جددوا إعراضًا عنه، وإصرارًا على ما كانوا عليه".(4)

أي: أعرضوا عن استماعه، وتركوا إعمال الفكر فيه، ولم يوجهوا هممهم إلى تدبره، وفهم أسراره ومغازيه، وهم أهل الذكاء والفطنة، ولكن طمس الله تعالى على قلوبهم، فأكثرهم لا يعقلون.(5)

"وعبَّر عن إعراضهم بصيغة النفي والاستثناء، التي هي أقوى أدوات القصر؛ للإشارة إلى عتوهم في الكفر والضلال، وإصرارهم على العناد والتكذيب".(6)

---

(1) صفوة التفاسير (149/3).
(2) انظر: في ظلال القرآن (2379/4).
(3) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (233/10).
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (133/4).
(5) انظر: تفسير المراغي (46/19).
(6) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (233/10).

"وفي الإتيان بفعل كانوا وخبره دون أن يُقال: إلا أعرضوا؛ إفادة أن إعراضهم راسخ فيهم، وأنه قديم مستمر، إذ أخبر عنهم قبل ذلك بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:3]، فانتفاء كون إيمانهم واقعًا هو إعراض منهم عن دعوة الرسول ﷺ التي طريقها الذكر بالقرآن، فإذا أتاهم ذكر بعد الذكر الذي لم يؤمنوا به، وجدهم على إعراضهم القديم".[1]

"وهذا إعراضهم عن الذكر المحدث، الذي جرت العادة أن يكون موقعه أبلغ من غيره، فكيف بإعراضهم عن غيره، وهذا؛ لأنهم لا خير فيهم، ولا تنجع فيهم المواعظ".[2]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن "الله ﷻ قادر على أن ينزل آية تخضع لها أعناق المشركين وتذل، ومع هذا فهو ينزل القرآن آية بعد آية؛ رحمة بهم، لعلهم يهتدون ويتذكرون، ولكنهم أبدًا لا يتعظون ولا يؤمنون، بل هم معرضون".[3]

ولطيفة أخرى: أن الله تعالى أراد تسلية النبي ﷺ على إعراض قومه، ففي وصف مؤتي الذكر بالرحمن تشنيع لحال المعرضين، أن يعرضوا عما هو خير ورحمة لهم، فإذا كانوا لا يدركون صلاحهم فلا تذهب نفسه ﷺ حسرات عليهم.[4]

الصفة الثانية: ترك السجود للرحمن

أخبر الله ﷻ عمًّا اعتاد عليه أولئك المشركون من تطاول وسوء أدب، عندما يدعوهم الرسول ﷺ إلى إخلاص العبادة لله ﷻ، وإلى السجود للرحمن، الذي تعاظمت رحماته، وتكاثرت آلاؤه، فلم يجد منهم إجابة، "ولقد بلغ من تطاول بعضهم أنهم كانوا يقولون: ما نعرف الرحمن إلا

---

(1) التحرير والتنوير (98/19).
(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص589).
(3) التفسير الواضح (744/2).
(4) انظر: التحرير والتنوير (98/19).

ذاك الذي باليمامة، يعنون به مسيلمة الكذاب".[1] ويدل على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾ [الفرقان:60] .

وجه الدلالة: أخبر الله تعالى عن رفض الكفار السجود للرحمن فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أي: "وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله تعالى ما لا ينفعهم ولا يضرهم: اجعلوا خضوعكم وتعظيمكم للرحمن، خالصًا دون الآلهة والأوثان، قالوا على طريق التجاهل: وما الرحمن؟ أي نحن لا نعرف الرحمن فنسجد له. ونحو هذا قول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:23] حين قال له موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:104]"[2] ، فعلم منه إنكاره لرب العالمين.

ومن الوجوه التي ذكرها الماوردي رحمه الله في معنى قوله: (وما الرحمن):

الوجه الأول: أن العرب لم تكن تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى–وكان مأخوذًا من الكتاب–فلمّا دُعوا إلى السجود لله تعالى بهذا الاسم، قالوا: (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا).

الوجه الثاني: أن مسيلمة الكذاب كان يسمى الرحمن، فلمّا سمعوا هذا الاسم في القرآن الكريم، حسبوه مسيلمة، فأنكروا ما دُعوا إليه من السجود له.[3]

ومعنى قوله: (أنسجد لما تأمرنا) أي: "لمجرد أمرك إيانا. وهذا مبني منهم على التكذيب بالرسول ﷺ ، واستكبارهم عن طاعته"[4] ، وزادهم قول القائل (اسجدوا للرحمن) نفورًا عن الإيمان

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (214/10). مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، (ت: 12 هـ)، ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعُرف برحمان اليمامة. انظر: الأعلام (226/7).
(2) تفسير المراغي (32/19).
(3) انظر: تفسير الماوردي (152/4–153).
(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص585).

والسجود.[1]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن السجود فيه خضوع واستكانة لله تعالى، لطلب المغفرة والرحمة، وأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهذا من رحمة الله تعالى أن يقربنا منه.

ولطيفة أخرى: أن الرحمن الدال على الإنعام، هو وحده المستحق للسجود.

المسألة الثانية: جزاء المعرض عن ذكر الرحمن

إن أولياء الشيطان –الذين كفروا بالله تعالى، وأعرضوا عن ذكره–سيلقون جزاءهم من الله تعالى، بأن يضيِّق عليهم النعم في الدنيا، ويمدهم في الضلالة، وتصبح الشياطين قرناء لهم، وذلك فضلاً عن جزاء الآخرة، وهو جزاء من جنس العمل. كما قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:85]، وفيما يلي الجزاء الذي أعده الله تعالى لهم في الدنيا:

الجزاء الأول: تضييق النعم على المعرض

إن الله ﷻ لطيفٌ بعباده، ولولا لطفه ورحمته بعباده، لوسَّع الدنيا على الذين كفروا. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزُّخرف:33] .

وجه الدلالة: بيَّن الله ﷻ أن حكمته اقتضت أن لا يكون الناس أمة واحدة على الكفر، فقال تعالى: (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) فدلَّ (لو) على امتناع ذلك، أي: " لولا أن يصيروا كلهم كفارًا، فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه–إذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق–لأعطيت

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (317/3).

الكفار أكثر الأسباب المفيدة للتنعم، وهو قوله تعالى: (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج) يعني مصاعد ودرجات من فضة، (عليها يظهرون) يصعدون ويرتقون عليها". (1)

أي: أن الله تعالى لم يجعل أسباب الثراء متصلة بالكفر بالله تعالى، بحيث يكون الكفر سببًا ومجلبةً للغنى، ولو أراد الله تعالى ذلك لهيأ له أسبابه، فدلَّ هذا على أنه تعالى منع أسباب تعميم الكفر في الأرض؛ لطفًا منه بالإيمان وأهله، وإن كان لم يمنع وقوع كفر جزئي، قليل أو كثير؛ حفظًا منه تعالى لناموس ترتيب المسببات على أسبابها، وهذا يبين الفرق الرضى والإرادة، فلا يرضى تعالى لعباده الكفر، ولو شاء تعالى ما فعلوه. (2)

وهذه الآية جاءت بأداة الشرط (لو)، ولو كان الأمر حقيقة وكان لكل من يكفر بالرحمن، هذا العطاء، يُساق إليه بغير حساب، لتحوَّل الناس إلى الكفر، وتزاحموا على طريقه، حتى يكون لهم هذا المال الذي يناله كل كافر. فيكون هذا اختبار صعب للناس، يرى فيه الطبع الغالب عليهم، من حب المال وفتنته. (3)

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن الله تعالى لم يوسع الدنيا على الذين كفروا، لطفًا منه ورحمةً بعباده حتى لا يرغبوا بالكفر؛ بسبب حب الدنيا.

ولطيفة أخرى: أن ذكر اسم الرحمن الدال على الإنعام، مناسب مع ذكر النعم الكثيرة في الآية.

الجزاء الثاني: امهال المعرض في ضلاله

إن من كانوا في ضلالة الشرك والعناد، فإن سنة الرحمن فيهم أن يمد لهم ويمهلهم؛ استدراجًا لهم حتى يأتيهم ما يوعدون من العذاب، جزاء كفرهم وعنادهم، وهو إما عذاب الدنيا، أو

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل (109/4)، وانظر: مفاتيح الغيب (631/27)، اللباب في علوم الكتاب (255/17).

(2) انظر: التحرير والتنوير (205/25).

(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن (129/13).

عذاب الآخرة. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم:75]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن عباده الضالين، فقال: (قل من كان في الضلالة) والضلالة "مبالغة من الضلال، وكأنها ضلال كبير، ففيها تضخيم للفعل"[1]؛ إشارة إلى أنه مستغرق في الضلالة، وأنها ظرف قد احتواه، واشتمل عليه، فلا مخرج له منه.[2]

ثم أخبر تعالى عن جزاء ضلالهم، فقال: (فليمدد له الرحمن) قيل: الام في قوله: (فليمدد) لام الأمر ومعناه: الخبر، فأخبر الله تعالى أنه جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها، وقيل: إنها لام الدعاء، وتقديره: من كان في الضلالة، فاللَّهم مد له في العمر مدا.[3]

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين في الآية، تبين أن القول الأول هو الأوجه، وعليه أكثر المفسرين، وهو أن اللام يُراد بها الإخبار عن سنة الله تعالى في الضالين؛ لأنه المتبادر من معنى الآية الكريمة، ولأنه جاء مناسب مع سياق الآية التي جاءت بعده، في قوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾ [مريم:76]

وسواء كانت (اللام) للأمر أو للدعاء، فالمعنى: أن جزاء الضُّلال هو إمهالهم، وربما أن في ذلك حكم اقتضاها الله تعالى، منها:

أولاً: تنبيهًا للمسلمين أن لا يغتروا بإنعام الله تعالى على الضُّلال، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:37]، أي: أن الله ﷻ أطال

(1) تفسير الشعراوي (7923/13).
(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن (764/8).
(3) انظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج، جمال الدين عبد الرحمن الجوزي (145/3)، فتح القدير (410/3).

أعمارهم في الدنيا ؛ ليتذكر فيها من يريد أن يتذكر، وجاءهم النذير فلم يجيبوه، وأصروا على الشرك والمعاصي، فلهم عذاب النار، وما لهم من نصير ينصرهم، ويخرجهم من النار.[1]

ثانيًا: أن هذا عقوبة من اختار طريق الضلالة، وترك طريق الهدى، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصَّف:5]، أي: "فلمَّا مالوا عن الحق، أمال الله تعالى قلوبهم عن الهدى، (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي والله لا يوفق للخير والهدى من كان فاسقًا خارجًا عن طاعة الله تعالى".[2]

وبذلك يبيِّن الله تعالى أن "من كانوا منهمكين في الضلالة، مرخين لأنفسهم الأعنة، في سلوك المعاصي والآثام، يبسط لهم نعيم الدنيا، ويطيب عيشهم فيها، ويمتعهم بأنواع اللذات، ولا يزال يمهلهم استدراجًا لهم، إلى أن يشاهدوا ما وُعدوا به رأى العين".[3]

وقد بيَّن تعالى ما يشاهدونه من الوعد عند مجيء الوقت الذي حدده الله تعالى لهم، فقال تعالى: (حتى إذا رأوا ما يُوعدون) أي: "حتى يروا ما يحل بهم من وعد الله تعالى (إما العذاب وإما الساعة) أي: إما عذاب الدنيا بالقتل والأسر، أو عذاب الآخرة بما ينالهم يوم القيامة من الشدائد والأهوال، (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جنداً) أي: فسيعلمون عندئذٍ حين تتكشف الحقائق، أي الفريقين شر منزلةً عند الله تعالى، وأقل فئةً وأنصارًا، هل هم الكفار أم المؤمنون؟"[4]

أي: حينئذٍ يعلمون أن الأمر على عكس ما قدروه، وأنهم شر مكانًا، وأضعف جندًا، لا خير مقامًا، وأحسن نديًا، كما في قوله تعالى: ﴿خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ [مريم:73]

---

(1) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي القدير (358/4).
(2) صفوة التفاسير (350/3).
(3) تفسير المراغي (78/16).
(4) صفوة التفاسير (206/2).

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن هذا المد من الله ﷻ للمشركين إنما هو –مع ما فيه من خذلان لهم– محفوف بالرحمة، إذ لو شاء الله ﷻ لأخذهم بذنوبهم، ولعجل لهم العذاب في الدنيا، ولكن أمهلهم فيها؛ ليكون لهم نظر إلى أنفسهم، وعودة إلى الله تعالى.[1]

ولطيفة أخرى: أنه إذا كان الرحمن يمهل الضالين برحمته الواسعة، فما الظن بعباده المؤمنين الذين يحبهم ويحبونه.

الجزاء الثالث: تسلط الشيطان على المعرض

إن القرآن الكريم هو أعظم رحمة للعباد، فمن قبله واتبعه، فقد نال خيرًا كثيرًا، ومن أعرض عنه، فقد خسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وكان الشيطان له قرينًا. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرف:36]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن جزاء الكفار المعرضين عن ذكره، فقال: **(**ومن يعش عن ذكر الرحمن**)**، والمعنى: "ومن يتعام عن ذكر الرحمن، ويعرض عن قرآنه، ويتجاهل هدى الرسول ﷺ **(**نقيض له شيطانا**)** أي: نهيئ ونسبب له شيطانًا رجيمًا يستولى عليه، ويستحوذ على قلبه وعقله، **(**فهو له قرين**)** أي: فذلك الشيطان يكون ملازمًا ومصاحبًا لهذا الإنسان، الذي أعرض عن القرآن، ملازمة القرين لقرينه، والشيء لظله".[2]

فأخبر تعالى أن من ابتلاه بقرينة من الشياطين وأضله بها، فإنما كان هذا بسبب إعراضه وعشوِّه عن ذكره الذي أنزله على رسوله ﷺ، فكان عقوبة هذا الأعراض أن قيَّض له شيطانًا يقارنه، فيصده عن سبيل ربه، وطريق فلاحه.[3]

فهذه مشيئة الله تعالى في خلقه للإنسان، أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله تعالى يجد الشيطان طريقه إليه فيلزمه، ويصبح له قرين سوء يوسوس له، ويزين له السوء. وهذا الشرط وجوابه في الآية يعبران عن هذه المشيئة الثابتة، التي تتحقق معها النتيجة بمجرد تحقق السبب، كما قضاه

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن (764/8).
(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (80/13).
(3) انظر: تفسير، ابن القيم (ص377)، محاسن التأويل (161/7).

الله في علمه. ووظيفة قرناء السوء من الشياطين، أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله تعالى، بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزُّخرف:37]. وهذا أسوأ ما يصنعه قرين بقرين، أن يصده عن السبيل القاصد، ثم لا يدعه يفيق أو يتبين له الضلال، بل يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم، حتى يصطدم بالمصير الأليم.[1]

وبذلك تبيَّن أن الله ﷻ يقيض للمعرضين عنه قرناء من الشياطين، مع أنه تعالى ينهاهم عن اتباع خطواتهم، فهذا يدل على أنه خذلهم ومنعهم التوفيق؛ لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم سوى الشياطين قرناء لهم.

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن إضافة الذكر –وهو القرآن الكريم–إلى الرحمن إضافة تشريف وثناء عليه[2]، كما أنه رحمة للعالمين، يهديهم إلى النور والرشاد.

ولطيفة أخرى: أن الذين سيطر عليهم الشيطان، لفي حاجة ماسة لرحمة الله ﷻ بأن يباعد بينهم وبينه بالتحصين بالقرآن الكريم.

(1) انظر: في ظلال القرآن (3189/5).
(2) انظر: التحرير والتنوير (209/25).



المبحث الثالث

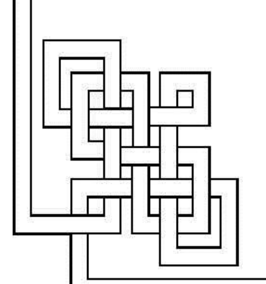
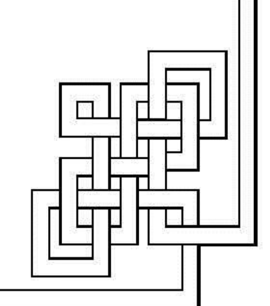
استواء الرحمن على العرش

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفة الاستواء للرحمن.

المطلب الثاني: الرحم معلقة بالعرش.

المطلب الثالث: سعة رحمة الله تعالى.

المبحث الثالث

استواء الرحمن على العرش

مما يجب الإيمان به عرش رب العالمين، الذي امتدح الرب ﷻ ذاته بربوبيته له، واستوائه عليه، وقد جاء ذِكر العرش في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وأخبر الله ﷻ عن صفة العرش بأنه عرش عظيم، كما في قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴾ [النمل:26]، وكريم، كما في قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:116]، ومجيد ، كما في قوله: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ [البروج:15]، كما أخبر تعالى أن له حملة، كما في قوله: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقَّة:17].

وليس استواؤه سبحانه على العرش كاستواء المخلوق على ظهر الفلك، والأنعام، ونحوها من المراكب، فالمخلوق مفتقر إلى ما هو مستوٍ عليه، محتاج ومعتمد عليه، أما الله ﷻ فاستواؤه على العرش لا يستلزم افتقاره، ولا حاجته إلى العرش، بل هو مستغنٍ عن العرش، وعن كل شيء، فهو الغني عن كل ما سواه.[1]

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفة الاستواء للرحمن

الاستواء في كلام العرب على معنيين: إحداهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته، وثانيهما: أن يستوي عن اعوجاج[2]، واستواء الله تعالى على عرشه هو: علوه واستقراره عليه، وقد جاء عن السلف تفسيره بالعلو والاستقرار، والصعود والارتفاع. والصعود والارتفاع يرجعان إلى معنى العلو، والعرش هو: ما استوى الله تعالى عليه، وهو من أعظم مخلوقات الله تعالى.[3]

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر البراك (ص191).
(2) انظر: تهذيب اللغة (85/13)، لسان العرب (2163/3).
(3) انظر مذكرة على العقيدة الواسطية (ص36-37).

"وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف"[1]، وقد سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن استواء الرحمن في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]، فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله تعالى إلا الله تعالى، وهذا معنى قول السلف: بلا كيف، أي: بلا كيف يعقله البشر"[3].

فمعنى قوله: (الرحمن على العرش استوى): "ارتفع وعلا"[4]، وهو استواء يليق بجلاله وعظمته، بلا كيف، أو تشبيه، أو تمثيل[5].

كما أخبر عن هذا الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:59]، أي: وصف نفسه تعالى بأنه خالق السماوات والأرض؛ ليقرر وجوب التوكل عليه ويؤكده، فإن من أحدث هذه الأجرام العظيمة، بهذا الإبداع في تلك الأيام الستة، وقد كان قادرًا على إبداعها دفعة واحدة-بقدرته التي لا تدركها العقول-جدير بأن نتوكل عليه[6]، ثم أمر تعالى أن نسأل عن خلق ما ذكر من هو خبيرًا به، يخبر

---

(1) شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى (442/1)، وانظر: التفسير المنير (180/16).
(2) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس (ص290)، وانظر: الاعتصام، إبراهيم بن موسى الغرناطي، الشهير بالشاطبي (173/1).
(3) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية (335/3).
(4) تفسير المراغي (96/16).
(5) انظر: تفسير القرآن العظيم (241/5)، تفسير المراغي (96/16)، صفوة التفاسير (211/2)، التفسير الوسيط (87/9).
(6) انظر: تفسير المراغي (31/19).

بحقيقته، فقال: (فاسأل به خبيرا) أي: "فاسأل عما ذُكر من الخلق والاستواء، عالمًا يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى، أو جبريل، أو من وجده في الكتب المتقدمة".[1]

المطلب الثاني: الرحم معلقة بالعرش

"الرحم: القرابة"[2]؛ لأنها داعية إلى التراحم بين الأقرباء[3]، فمن وصل رحمه فقد وعده تعالى بالثواب العظيم، ومن قطعها توعده بالعذاب الأليم.

وقد أمر الله ﷻ بصلة الرحم، وحذَّر من قطعها، فقال تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا**﴾ [النساء:1]، أي: "اتقوا الله تعالى، والأرحام صلوها، ولا تقطعوها"[4]، "وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها".[5]

وأخبر الرسول ﷺ عنها، فقال ﷺ: (**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**)[6]، وجه الدلالة من الحديث: أن فيه إخبار عن ارتباط الرحم بالعرش، في قوله: (الرحم معلقة بالعرش) أي: "مستمسكه آخذة بقائمة من قوائمه تقول: (من صلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله) أي: قطع عنه كمال عنايته"[7]، والحديث يدل على تعظيم شأن الرحم، وفضيلة واصليها، وإثم قاطعيها.

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (129/4)، وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (317/3).
(2) تهذيب اللغة (34/5)، لسان العرب (1614/3).
(3) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز بن محمد السلمان (ص153).
(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (139/2).
(5) لباب التأويل في معاني التنزيل (337/1).
(6) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح2555، (1981/4).
(7) فيض القدير، زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف المناوي (53/4).

المطلب الثالث: سعة رحمة الله تعالى

الله ﷻ ذو رحمة واسعة، فقد وسعت رحمته كل شيء، ووسع جل شأنه كل شيء رحمةً وعلمًا، وقد كتب على نفسه الرحمة، ووعد بها عباده المؤمنين، الذين يستغفرونه، ويرجون رحمته.

ولقد أخبر ﷻ عن سعة رحمته في عدة مواضع من القرآن هي:

1. قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156].

2. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:7].

3. قولـــــه تعـــــالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:147]

ثم أخبر رسوله ﷺ عن سعة رحمته تعالى، فقال ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ)**[1] ، ومعنى (لم ييأس من الجنة): أن الكافر لو علم سعة رحمة الله تعالى، لغطى علمه بها على ما يعلمه من عظيم العذاب، فيحصل له الرجاء برحمته تعالى.[2]

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله كلامًا يُظهر فيه سعة رحمة الله تعالى وآثارها، يدعو للتأمل والتفكر، في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:2]، قال رحمه الله: "ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها، وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه، وتكريمه بما كرمه، وفيما سخر له من حوله، ومن فوقه، ومن تحته، وفيما أنعم به عليه مما يعلمه، ومما لا يعلمه، وهو كثير...ويجدها

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، ح6469، (99/8).
(2) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (67/23).

من يفتحها الله تعالى له في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال، وفي كل مكان، يجدها في نفسه وفي مشاعره، ويجدها فيما حوله، وحيثما كان وكيفما كان، ولو فقد كل شيء مما يُعد الناس فقده هو الحرمان، ويفتقدها من يمسكها الله تعالى عنه في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حالة، وفي كل مكان، ولو وجد كل شيء مما يُعده الناس علامة الوجدان والرضوان! وما من نعمة يمسك الله تعالى معها رحمته، حتى تنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله تعالى، حتى تكون هي بذاتها نعمة... ولا ضيق مع رحمة الله تعالى، إنما الضيق في إمساكها".[1]

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن رحمة الله تعالى أن تحس برحمة الله! فرحمة الله تعالى تضمك وتغمرك، وتفيض عليك، ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة، ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة، وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة، والعذاب هو العذاب في احتجابك عنها، أو يأسك منها، أو شكك فيها، وهو عذاب لا يصبه الله على مؤمن أبدًا".[2]

ومن سعة رحمة الله تعالى أنها سبقت غضبه، وهكذا كتب الله تعالى على نفسه، ولقد أخبر الله ﷻ عن سبق رحمته لغضبه في قوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا** ﴾ [الكهف:58] أي: "وربك أيها الرسول غفور لذنوب عباده، ذو رحمة واسعة بهم، إذا هم أنابوا إليه، ورجعوا إلى رحاب عفوه، وجوده، وكرمه، فيرحمهم واسع الرحمات، ويتجاوز لهم عن عظيم الخطيئات، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من المعاصي، كإعراضهم عن آياته، ومناصبتهم العداء لرسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومجادلتهم بالباطل، لعجل لهم العذاب في الدنيا".[3] فعلم أنه تعالى أمهلهم إلى أن تابوا، فلم يعجل لهم العذاب برحمته الواسعة، التي سبقت غضبه.

(1) في ظلال القرآن (2921/5،2922)
(2) المرجع السابق (2923/5)
(3) تفسير المراغي (169/15).

ثم أخبر نبيه ﷺ عن سبق رحمة ربه، فقال: **(لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهْوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)**[1] ، وجه الدلالة من الحديث: أن قسط الخلق من الرحمة أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنينًا، ورضيعًا، وفطيمًا، وناشئًا، قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد ما يصدر عنه من الذنوب، ما يستحق معها ذلك.[2]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن اسم الرحمن يدل على سعة الرحمة، فبناء فعلان للسعة والشمول، ولهذا يُقرَن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرًا؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، فاستوى الرحمن على أوسع المخلوقات، بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء[3] ، فذكر الاستواء مع اسمه الرحمن؛ ليعم جميع خلقه برحمته.[4]

كما أن الاستواء ذُكر مقترنًا في آيات أخرى مع لفظ الجلالة الله تعالى، كما في قوله: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [يونس:3]، وفي غيرها من الآيات، واقترانه مع اسمه الرحمن مناسب لسياق ما سبقه من الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى** ﴾ [طه:2-4] وفيها إخبار أن التنزيل جاء رحمة للناس، ولم يأتِ للشقاء.

(1) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، ح3194، (106/4).
(2) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (111/15).
(3) انظر: تفسير ابن القيم (ص37).
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم (40/1).



المبحث الرابع

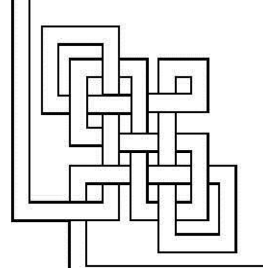
تنزيه الرحمن عن الولد

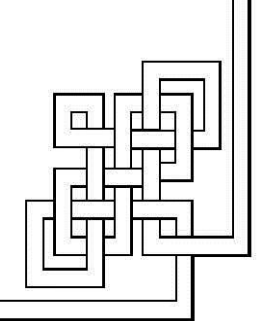
ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نفي اتخاذ الرحمن للولد.

المطلب الثاني: ضرب المثل للرحمن بالأنثى.

المطلب الثالث: إقامة الحجة على الكفار بأمر من الرحمن.





المبحث الرابع
تنزيه الرحمن عن الولد

تنزه الله ﷻ عن الأزواج، والبنين، والبنات، ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء، فهو العزيز الذي لا يحتاج إلى أحد، وهو الباقي الدائم الذي لا يحتاج إلى امتداد.

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نفي اتخاذ الرحمن للولد

أخبر الله ﷻ عن سفاهة المشركين، وأنهم لم يقتصروا على أن جعلوا لله تعالى ولدا، وإنما جعلوه من الإناث، بل وجعلوا الملائكة بنات الله تعالى، وليس لهم دليل نقلي صحيح يعتمدون عليه، وشأنهم في الكفر شأن من سبقهم من الأمم، التي كذبت الرسل عليهم السلام. ويدل على ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾. [مريم: 88-93].

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن الادعاءات الباطلة في حقه تعالى، فقال: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) وهو قول اليهود والنصارى، ومشركي العرب، الذين نسبوا لله تعالى الولد.[1]

ثم قال مخاطبًا من ادَّعى: (لقد جئتم شيئًا إدا) والإد: العجب، أو الأمر العظيم المنكر[2]، أي: "لقد جئتم أيها القائلون بمقالكم هذا شيئا منكرًا عظيمًا"[3]، ثم قال مستنكرًا: (تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا)، أي: تكاد السماوات أن تتشقق من هذا القول، وأن

(1) هم يهود المدينة حيث قالوا: عُزير ابن الله، ونصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (141/1).
(2) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (380/7).
(3) تفسير المراغي (86/16).

تتصدع الأرض، وتتناثر أجزاؤها، وتسقط بصوت مرعب شديد، وتتهدم الجبال هدمًا خطيرًا؛ لشدة نكرانه، إعظامًا للرب، وإجلالاً له؛ لأنهن مخلوقات على توحيد الله تعالى، وأنه إله واحد لا شريك له.[1] والمراد: أن "هذه الكلمة الشنعاء لو صُورت بصورة محسوسة، لم تتحملها هذه الأجرام العظام، وتفرقت أجزاؤها من شدتها، وفى ذلك تنبيه إلى غضب الله تعالى على قائل هذه الكلمة، وأنه لولا حلمه سبحانه لهلك".[2]

ثم علَّل ما ذكره سابقًا مما يحدث لهذه الأجرام العظام، فقال: (أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) فهو "بمنزلة التعليل لما قبله، مع تقدير لام التعليل المحذوفة، أي: تكاد السموات يتفطرن[3]، والأرض تتشقق، والجبال تنهد؛ لأن هؤلاء الضالين قد زعموا أن لله تعالى ولدا، والحال أنه ما يصح وما يليق أن يتخذ الرحمن ولدا؛ لأنه ﷻ غنى عن العالمين"[4]، ولأنه لا كفء له من خلقه، فجميع الخلائق عبيد له[5]، وجميعهم خاضعين لعبوديته، كما قال تعالى: (إِن كل من فِي السماوات وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَحمن عبدا) أي: ما من معبود في السموات والأرض، من الملائكة والناس، إلا ويأتي الرحمن، أي: يأوي إليه ويلجأ، عبدًا منقادًا، مطيعًا خاشعًا، كما يفعل العبيد، ومنهم من حمله على يوم القيامة خاصة.[6]

وترى الباحثة: أن قول من حمله على يوم القيامة هو الأولى، وعليه أكثر المفسرين، فإن الكافر يستنكف عن التقرب لله تعالى بالخضوع والطاعة، ولكن يوم القيامة فالكل يأتي لخالقه، خاضعًا مطيعًا.

(1) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (1504/2).
(2) تفسير المراغي (86/16).
(3) قوله: (تكاد السموات تتفطرن) أي: تقرب أن تنفطر، ولكن لم تنفطر بالفعل؛ لأن الله تعالى يمسكها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر:41].
(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (74/9).
(5) انظر: تفسير القرآن العظيم (236/5)، الهداية إلى بلوغ النهاية (4599/7).
(6) انظر: مفاتيح الغيب (567/21).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء:26]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن تمادي المشركين في أقوالهم الباطلة، وادعائهم باتخاذ الله تعالى الولد، ومنه الملائكة، فقال تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي: قالت اليهود: إن الله ﷻ صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ [الصَّافات:158]، وقد ردَّ الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجنّ:3]، أي: تعالت عظمته، وتقدست أسماؤه، فعلموا من جد الله تعالى وعظمته، ما دلَّهم على بطلان من يزعم أن له صاحبةً أو ولدا [(1)]، ثم ينزه الله تعالى ملائكته عما وُصفت به، فقال تعالى: (سبحانه بل عباد مكرمون) أي: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون، بل هم عباد مكرمون، فقد أكرمهم الله تعالى [(2)]، "وذلك لما خصهم به من الفضائل، والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله تعالى، والامتثال لأوامره" [(3)]، كما أكرمهم الله تعالى عنده في منازل عالية، ومقامات سامية. [(4)]

والمعنى: أن هؤلاء المشركين قد كذبوا في زعمهم أن الملائكة بنات الله تعالى، والحق أن الملائكة هم عباد مخلوقون له تعالى، ومقربون إليه، ومكرمون عنده" [(5)]، فإن الله تعالى أكرم الملائكة، كما أكرم واصطفى رسله عليهم السلام بالنبوة والرسالة، وأكرم كثيرًا من عباده بالإيمان.

ثالثاً: قوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزُّخرف:19-20]

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص890).
(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (428/18).
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص521).
(4) انظر: صفوة التفاسير (238/2).
(5) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (200/9).

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن افتراء المشركين بأنهم لم يكتفوا بنسبة الولد إلى الله تعالى، بل وجعلوا ملائكته المكرمين إناثًا، فاستخفوا بهم.

فقال تعالى لهم بأسلوب التوبيخ والتقرير: (أشهدوا خلقهم) أي: أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف تجرؤوا على وصفهم بالإناث، ثم قال لهم بأسلوب التهديد والوعيد لمن قال ذلك: (ستُكتب شهادتهم ويُسألون)، أي: أنهم يُسألون عن قولهم وافترائهم يوم القيامة، ولن يجدوا إلى الاعتذار سبيلاً.[1]

وقال أولئك المشركون المفترون لمن أنكر عليهم عبادة الملائكة، وغيرها من الأصنام: (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي: لو شاء الرحمن منا عدم عبادتهم ما عبدناهم، وقال تعالى في الرد عليهم: (ما لهم بذلك من علم) أي: ليس لهم أي علم برضا الله تعالى عن عبادتهم لهم، وما هم في قولهم ذلك إلا يخرصون، أي: يقولون بالخرص والكذب، إذ العلم يأتي من طريق الكتاب أو النبي، ولا كتاب عندهم ولا نبي[2]، والمعنى: أنهم جعلوا إمهال الله تعالى لهم دليلاً على رضاه عنهم، وأن ذلك كالأمر به.[3]

فهم يجعلون أفعالهم الضالة، وأقوالهم المنكرة من مشيئة الله تعالى، ولا يجعلون لمشيئتهم وجودًا هنا، وهذا مكر بالله تعالى، وتبرير لكل جناية يجنونها على الناس أو على أنفسهم. ومن جهة أخرى، فإن هؤلاء الضالين لو جروا على منطقهم، بأنهم يجعلون لله تعالى المشيئة وحده، فلماذا لا يعبدوا الله تعالى وحده، صاحب المشيئة النافذة، والسلطان المطلق؟[4]

وقد ذكر اسم الرحمن في الآية، **وفيه لطائف: منها:** أن أصول النعم وفروعها منه تعالى، خلق العالمين، فمن أضاف إليه ولدا وهو من نعمه، فقد جعله كبعض خلقه ونعمه، فحينئذٍ لا

(1) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (6643/10).
(2) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (633/4).
(3) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (177/5).
(4) انظر: التفسير القرآني للقرآن (119/13).

يستحق اسم الرحمن [1]، فتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، **ومنها:** أن افتراءهم بالقول: باتخاذ الرحمن الولد، مع وصفه تعالى بالرحمن، فيه تعظيم وتهويل لإثمهم، **ومنها:** أن الله تعالى جعل الملائكة من عباده المكرمين، وهذا يدل على فضله عليهم، فناسب اسم الرحمن الدال على الإنعام والإحسان.

المطلب الثاني: ضرب المثل للرحمن بالأنثى

مما يُنكر على المشركين تشاؤمهم من الأنثى، فإذا بُشِّر أحدهم بها أنف من ذلك، وهو حينئذٍ كظيم، وهم من ضلالهم يأنفون من البنت، وينسبونها إلى الله ﷻ. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [الزُّخرف:17]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن جهل الكفار وغفلتهم عن المنطق السليم، فقد ضربوا للرحمن مثلاً بالأنثى في قوله: (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أي: بالجنس الذي جعله مثلاً للرحمن، أي: شبهًا [2]، والمعنى: "وإذا بشر أحد المشركين بالأنثى التي جعلها مثلاً لله تعالى، بنسبة البنات له، (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أي: صار وجهه كأنه أسود [3] من الكآبة والحزن، وهو ممتلئ غيظًا وغمًّا من سوء ما بُشِّر به" [4]، "وتواري من القوم خجلاً" [5]، ونظيره في سورة النحل، في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [النحل:58].

---

(1) انظر: تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن الإيجي (496/2).

(2) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (242/4)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (88/5)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (267/3).

(3) قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [آل عمران:106]، فبياض الوجوه عبارة عن المسرة، وسوادها عبارة عن المساءة، وحمل بعضهم البياض والسواد على المحسوس، والأول أولى؛ لأن ذلك حاصل لهم، سودًا كانوا في الدنيا أو بيضًا. انظر: تفسير القرآن الحكيم (42/4)، التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الغرناطي (429/1).

(4) صفوة التفاسير (142/3).

(5) تفسير المراغي (77/25).

وفي الآية بيان لفساد مقالتهم وتشنيعًا بها، إذ نسبوا لله تعالى بنات دون الذكور، وكانوا ممن يكره البنات، فكيف يأنفون من البنت، وينسبونها إلى الله ﷻ!

ثم إنهم لجهلهم وضلالهم يضيقون بهذه النعمة-ميلاد البنت-ولا يأنفون لقاءها، وقد أخبر تعالى أنها بشرى، كما قال تعالى: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى). فعُلم بذلك أن قدومها يبشر بالخير.

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن ضربهم للرحمن المثل بالأنثى -التي يسوء حالهم بها-مع وصفه تعالى بالرحمن، فيه تعظيم وتهويل لإثمهم.

المطلب الثالث: إقامة الحجة على الكفار بأمر من الرحمن

إن إقامة الحجة على القوم على وجه الإلطاف من الكلام، وحسن الخطاب، هي أن أحسن الأساليب لنفي ما يقولون من الكذب والادعاء، وعن كل ما لا يليق بكماله وجلاله. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزُّخرف:81]

وجه الدلالة: أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول للكفار قولاً يلزمهم به الحجة، فقال: (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)، واختُلف في معنى (إن) في هذه الآية على قولين:[1]

القول الأول: أن (إن شرطية)، والذين قالوا: إنها شرطية اختلفوا في معنى قوله: (فأنا أول العابدين) على قولين: قيل: فأنا أول العابدين لله تعالى، فإنه واحد لا شريك له ولا ولد، وقيل: فأنا أول العابدين لذلك الولد، ولكن لا ولد له.

القول الثاني: أن (إن نافية)، ومعناه: ما كان للرحمن ولد، ويكون قوله: (فأنا أول العابدين) ابتداء كلام.

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم (223/7)، لباب التأويل في علوم التنزيل (114/4).

القول الراجح:

بعد الاطلاع على الأقوال تبين الآتي:

أولاً: أن القول الأول "فيه نفي للولد على أبلغ وجه، وأتم عبارة، وأحسن أسلوب، وهذا هو الظاهر من النظم القرآني" [1]، وإذا وُجِّه الكلام من هذا الوجه، لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف من الكلام، وحسن الخطاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:24]، وقد علم الرسول ﷺ أن الحق معه، وأن مخالفيه في الضلال المبين. [2]

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على سبيل الفرض والتمثيل، والمبالغة في نفى الولد: "إن كان للرحمن ولد، وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه، وحجة واضحة تدلون بها، فأنا أول من يعظم ذلك الولد، وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك؛ لتعظيم أبيه ". [3] ولا شك أن هذا أبلغ أسلوب في نفى الولد، وقد بيَّن ذلك القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: "وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل فأنا أول من يعتقده، وهذا مبالغة في الاستبعاد، أي: لا سبيل إلى اعتقاده" [4]، فتبين أن (إن) بمعنى الشرط، لا يلزم منها وجود الولد وعبادته، بل المراد نفيهما على أبلغ الوجوه.

ثانيًا: أن القول الثاني تؤيده آيات كثيرة في القرآن الكريم. قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن هذا القول جار على الأسلوب العربي جريانًا واضحًا لا إشكال فيه، فكون (إن كان) بمعنى ما كان كثير في القرآن وفي كلام العرب، كقوله تعالى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يس:29] أي: "ما كانت إلا صيحة واحدة". [5]

(1) فتح القدير (648/4)، فتح البيان في مقاصد القرآن (378/12).
(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (651/21).
(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (265/4-266).
(4) الجامع لأحكام القرآن (119/16).
(5) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (150/7).

فتبين أن: القولين يؤديان إلى نفى أن يكون لله تعالى ولد، وإن كان القول الأول –وهو أن حرف (إن) للشرط –هو المتبادر من معنى الآية، وعليه جمهور المفسرين. وهذا الأسلوب في محاجة الخصم، هو أبلغ الأساليب في إفهامه، وذلك بإقامة الحجة عليه من واقع إقراره واعترافه. ولا يلزم من ذلك وجود الولد وعبادته، بل المراد نفيهما على أبلغ الوجوه.

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن الله تعالى أراد تلقين نبيه ﷺ بأسلوب الأمر (قل)، وفيه مؤازرة للنبي ﷺ، وإخبار بأن الله تعالى معه، وسيمكنه من إقامة الحجة عليهم، وينصره بإذنه، وذلك رحمةً منه تعالى بنبيه ﷺ.



المبحث الخامس

ذكر النعم في سياق الحديث عن الرحمن

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ارسال الرحمن للرسل.

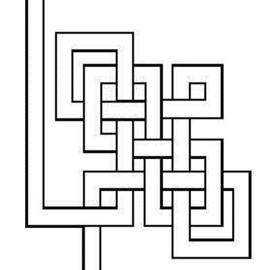
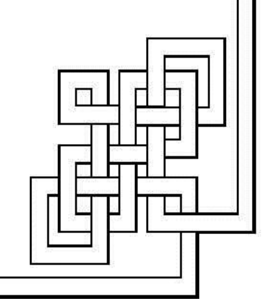
المطلب الثاني: استجابة الرحمن للدعاء.

المطلب الثالث: حفظ الرحمن للعباد.

المطلب الرابع: عون الرحمن للعباد.

المطلب الخامس: جعل الرحمن للمؤمنين محبة في القلوب.

المطلب السادس: وعد الرحمن للمؤمنين بالجنة.

المطلب الأول: إرسال الرحمن للرسل

إن إرسال الرسل عليهم السلام رحمةً للعالمين، وبخاصة المؤمنين، الذين استحقوا رحمة ربهم تعالى بالسير على منهجه الحكيم، وبذلك أصبحوا من أوليائه وأحبائه. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزُّخرف:45]

وجه الدلالة: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يسأل من كان قبله من الرسل، فقال: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) واختُلف في هؤلاء المسؤولين على قولين:[1] أحدهما: هم الأنبياء عليهم السلام[2]، وثانيهما: هم أهل الكتاب، التوراة والإنجيل.[3]

والقول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبيَّن أن القول الثاني هو الأولى، وعليه أكثر المفسرين، فالمقصود سؤال أهل الكتاب؛ ليخبروه عن دعوة الرسل عليهم السلام الذين ماتوا قبله؛ لأن أهل الكتاب هم أمم الرسل عليهم السلام الذين يقرؤون كتبهم، فسؤاله لهم كسؤاله للرسل عليهم السلام، وقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة فيها أمر بسؤال أهل الكتاب، كما قال تعالى:﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس:94] ، أي: "فاسأل الذين يقرءون كتب

---

(1) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (6669/10-6670)، معالم التنزيل (216/7)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (275/3).

(2) هم الأنبياء الذين جمعوا له ليلة أسري به ببيت المقدس، فأمهم وصلى بهم، فقال الله تعالى له: سلهم، فكان أشد إيمانًا ويقينًا بالله تعالى، وبما جاء من عنده فلم يسألهم. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (612/21).

(3) "عن قتادة (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) يقول: سل أهل التوراة والإنجيل: هل جاءتهم الرسل عليهم السلام إلا بالتوحيد؟". جامع البيان في تأويل القرآن (611/21-612).

الأنبياء كاليهود والنصارى، فإنهم يعلمون أن ما أنزلناه إليك حق، لا يستطيعون إنكاره"[1]، (ولا تكونن من الممترين) أي: "من الشاكين، ومعناه: دُم على اليقين الذي أنت عليه".[2]

والمعنى: أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يسأل مؤمني أهل الكتاب عن عبادة الآلهة من دون الله تعالى، فقال: (أجعلنا من دون الله آلهة يعبدون) أي: يسألهم هل جعل الله تعالى من دونه آلهة يعبدون؟ وسوف يجيبون بقولهم: حاشا لله تعالى أن يأذن بعبادة غيره من خلقه، وهو الله لا إله إلا هو، وهذا من أجل تنبيه أذهان قريش إلى خطئها الفاحش في إصرارهم على عبادة الأصنام[3]، وإعلامهم بأنه لم يأذن بعبادة غيره لأحد؛ ردًّا على الذين زعموا بذلك منهم، وأخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمر:3][4]، أي: أنهم يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الأوثان؛ لكي يصلح لهم معيشتهم في الدنيا، وهم لا يقرون بالآخرة[5]

وليس المقصود السؤال نفسه؛ لأن الرسول ﷺ لم يشك حتى يسأل، بل أراد الله ﷻ من نبيه ﷺ أن ينظر في أديانهم، ويبحث عن مللهم، ويدرس كتبهم التي لم تُحرف؛ ليرى أن الأديان كلها متفقة على التوحيد الخالص، وعلى نفى عبادة غير الله ﷻ[6]، وفي هذا بيان أن جميع الرسل عليهم السلام دعوا إلى ما دعا الرسول ﷺ الناس إليه من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام[7]، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

(1) تفسير المراغي (154/11).
(2) تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (404/2).
(3) أنظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير(644/4).
(4) انظر: الجواهر الحسان (184/5).
(5) انظر: تفسير القرآن العزيز (102/4).
(6) انظر: التفسير الواضح (396/3).
(7) انظر: تفسير القرآن العظيم (211/7)، تفسير المراغي (94/25).

﴿ ... فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:25] أي: ليس الأمر بالتوحيد منحصرًا في القرآن، والتوراة، والإنجيل الموجودة بين أظهرهم، بل كل رسول أرسلناه، كنا نوحى إليه بالتوحيد.[1]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن جميع الرسل عليهم السلام جاءوا بإخلاص التوحيد لله ﷻ ، الذي تضمنته كلمة لا إله إلا الله، وأن منهجهم واحد، وهو عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وهذا فيه رحمة للعالمين بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وسعادة في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: استجابة الرحمن للدعاء

إن من أكثر أسماء الله تعالى اسمين يختصان به أكثر من باقي الأسماء، هما الله، والرحمن، وقد كان بعض المشركين بسبب أوهامهم الجاهلية، ينكرون تسمية الله تعالى بالرحمن، فجاءت آيات عديدة تبين هذا الاسم الذي أنكروه، وتبين أن أسماءه كلها حسنى، وكلها يُدعى الله تعالى بها ويُستغاث، فالمسمى واحد. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:110]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ المشركين المنكرين لاسم الرحمن، بأن اسم الرحمن من أسمائه الحسنى، وأن يدعوه به، وبأي اسم شاءوا منها، فقال: (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)، وهو الدعاء المشهور، وهو دعاء المسألة[2]، وسبب النزول[3]، فقد نزلت عندما سمع بعض المشركين النبي ﷺ يدعو في سجوده، فقالوا: كان محمد يدعو إلهًا واحدًا، فهو الآن يدعو إلهين اثنين، (الله، والرحمن)، وما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة[4]، فنزلت الآية مبينة أن أسماء الله تعالى جميعها لمسمّى واحد ، والمعنى: "لا فرق بين دعائكم له باسم الله، أو باسم

---

(1) انظر: التفسير المظهري (191/6).
(2) دعاء المسألة: هو سؤال الله تعالى جلب المنافع، ودفع المضار. انظر: تفسير ابن القيم (248/1).
(3) انظر: تفسير ابن القيم (252/1).
(4) انظر: أسباب نزول القرآن، أبو الحسن الواحدي (ص302).

الرحمن، فإنه ذو الأسماء الحسنى"[1] ؛ وإذا حسنت أسماؤه كلها، حسن هذان الاسمان؛ لأنهما منها، ومعنى حسنها أنها مستقلة بمعاني التحميد، والتقديس، والتعظيم.[2]

فأيُّ اسم دعوتموه به حصل به المقصود، وينبغي أن يُدعى في كل مطلوب مما يناسب ذلك الاسم[3] ، وقد كان للشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفتة لطيفة في ذلك، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأي اسم تدعو به؛ لأن أسماءه كلها حسنى، لكن ليكن عندك ذكاء في الدعاء، فتدعو بما يناسب حاجتك، فإن أردت علمًا فقل: يا عالم علمني، وإن كنت ضعيفًا فقل: يا قوي قوني، وإن أردت العزة فقل: يا عزيز أعزني وهكذا، فإن أردت الاختصار فقل: يا الله تكفيك كل شيء".[4]

ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يتوسط في صلاته بين الجهر والاخفات، فقال: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) واختُلف في سبب نزولها على قولين:

قيل: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: (ولا تجهر بصلاتك) أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تُسمعهم، (وابتغ بين ذلك سبيلا)، وقيل: نزلت في الدعاء.[5]

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبين أن أكثرهم فسرها بالمعنيين، وإن كان القول الأول هو الأولى، وهو أن المراد بالصلاة في الآية العبادة المعروفة، وذلك لوجهين:[6]

---

(1) تفسير القرآن العظيم (117/5).
(2) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (700/2)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (283/2).
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص468).
(4) تفسير الشعراوي (8815/14).
(5) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن، د. خالد بن سليمان المزيني (674/1).
(6) انظر: المرجع السابق (676/1).

الوجه الأول: أن الله تعالى نهى عن الجهر والمخافتة، ولو كان المراد بالصلاة الدعاء، لما نهى عن المخافتة به؛ لأن هذا هو المشروع فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:55]، أي: "لا جهر وعلانية يخاف منه الرياء، بل خفيةً وإخلاصًا لله تعالى".[1]

الوجه الثاني: أن إطلاق الصلاة على الدعاء إطلاق لُغوي، بينما إطلاق الصلاة على العبادة المعروفة إطلاق شرعي، والمتكلم بالقرآن هو المشرع، فوجب حمله على الاصطلاح الشرعي.

وربما توهم سفهاء المشركين من صدع النبي ﷺ بالقراءة أو بالدعاء، أنه يريد بذلك الاحتكاك بهم والتطاول عليهم بذكر الله تعالى مجردًا عن ذكر آلهتهم، فاغتاظوا وسبوا، فأمره الله تعالى بأن لا يجهر بصلاته هذا الجهر؛ تجنبًا لما من شأنه أن يثير حفائظهم، ويزيد تصلبهم في كفرهم، في حين أن المقصود تليين قلوبهم. كما أمره ألا يخافت بها؛ لكي لا يجعل دعاءه سرًّا أو صلاته كلها سرًّا، فلا يبلغ أسماع المتهيئين للاهتداء به[2]، كما أن الجهر الصارخ يدخل على الإنسان شعورًا بأن الله تعالى بعيدٌ عنه، لا يسمع إلا إذا نودي نداءً عاليًا، أما الهمس بالدعاء والمخافتة به فإنه يعزل صاحبه عن أن يسمع ما يناجي به الله تعالى، ومن ثم فلا يتشكل له من دعائه من المعاني، ما يصل شعوره بالله تعالى، ويشد عقله وقلبه إليه.[3]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن المشركين أنكروا هذا الاسم، فناسب ذكره في هذه الآية؛ ردًّا على انكارهم له.

ولطيفة أخرى: أن الدعاء يقرب العبد من ربه، ويصله إلى رحمته ومغفرته، بل ويحب الله تعالى العبد الذي يدعو ربه، وهو متيقن من الإجابة.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (291/1).
(2) انظر: التحرير والتنوير (238/15).
(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن (574/8-575).

المطلب الثالث: حفظ الرحمن للعباد

إن الله ﷻ هو الحافظ لعباده بالليل والنهار، ولا حافظ سواه، فإن الإنسان مهما بلغ من القوة والسلطان، فهو ضعيف محتاج لقوة من يحفظه، ويرعاه ليلاً ونهارًا، ولكن عباده منهم الغافلون المعرضون عن ذكره، فلا يلتفتون إلى هذه النعمة العظيمة. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء:42]

وجه الدلالة: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يسأل المعرضين عن ذكر ربهم، موبخًا لهم على غفلتهم، فقال: (من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) أي: "من يحرسكم ويحفظكم بالليل والنهار، من بأس الرحمن وعذابه، الذي تستحقون حلوله بكم ونزوله عليكم"؟ [1] وقدَّم الليل على النهار؛ لأن الدواهي أكثر فيه وقوعًا وأشد وقعًا [2]، والمقصود: أنه لا أحد يحفظهم من عذاب الرحمن سوى الرحمن، وهذا يدل على أنه يمهلهم، ولا يعجل لهم العذاب.

ثم ذكر تعالى إعراضهم عن الكالئ الحافظ، فقال: (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي: "عن القرآن ومواعظه معرضون، أي: لا يتأملون في شيء منها" [3]، فلا يعترفون بنعمة الله تعالى عليهم–بالحفظ والكلاءة–بل يعرضون عن آياته وآلائه. [4]

أي: أن هؤلاء القوم قد ألهتهم النعم عن المُنعم، فلا يذكرون الله تعالى حتى يخافوا بأسه، أو يُعدوا ما كانوا فيه من الأمن كلاءةً وحفظًا لهم، حتى يُسألوا عن الكالئ الحافظ، وهم أيضًا يُعرضون عن الدلائل العقلية والنقلية، الدالة على أنه تعالى هو الكالئ الحافظ، فلا يتأملون فيها [5]؛ "ليعرفوا أنه لا كالئ لهم سواه، ويتركون عبادة الأصنام، التي لا حظ لها في حفظهم، ولا في الإنعام

---

(1) فتح القدير (482/3)، وانظر: تفسير المراغي (36/17).
(2) انظر: إرشاد العقل السليم (69/6).
(3) لباب التأويل في علوم التنزيل (226/3).
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم (302/5).
(5) انظر: تفسير المراغي (37/17)، محاسن التأويل (196/7).

عليهم"[1]، وهذا غاية في الضلال والخسران، فقد يغفل الإنسان عن الخطر الذي يتهدده، وينسى المكروه الذي يترصده، فإذا هلك في هذا الوجه، كان له بعض العذر عند نفسه أو عند الناس، أما من يُنبَّه إلى الخطر فلا ينتبه، فإنه إذا لقى مصيره المشؤوم، لم يجد من يعذره[2]، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾ [الجنّ:17] أي: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله، يسلكه الله تعالى عذابًا، شديدًا شاقًّا.[3]

وكلاءتُه تعالى لا تقتصر على ذلك فقط، بل من كلاءتِه أيضًا: أنه ﷻ يمدنا بمقومات الحياة، فالشمس بضوئها، والقمر بنوره، والأرض بنباتها، والسماء بمائها.

ولطيفة: اسم الرحمن في الآية: أن حفظ الرحمن لعباده، ورعايته لهم، بل والمداومة على ذلك ليلاً ونهارًا، يدخل تحت آثار رحمته بعباده، وهو من أتم النعم.

ولطيفة أخرى: أن إعراضهم عن ذكره، وعدم اعترافهم بفضله، مع أنه الرحمن –الذي أفاض عليهم بهذه النعم–يدل على شدة قبحهم.

المطلب الرابع: عون الرحمن للعباد

إن الله ﷻ هو المستعان، فلا نستعين إلا به، ولا نتوكل إلا عليه، نرجوه ونتيقن بإجابته.

ونحن بذلك نقتدي برسوله ﷺ الذي يسأل الله تعالى، ويستعين به في كل أمر من أموره، وهو على يقين بنصره تعالى له؛ لأنه على الحق. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:112]

(1) مفاتيح الغيب (147/22).
(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن (902/9).
(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (664/23).

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن دعاء رسوله ﷺ إليه، وقد أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة، يطلب حكمه تعالى بينه وبين المستهزئين، فقال تعالى: (قال رب احكم بالحق)، وبهذا الدعاء ختم سورة الأنبياء.

وقد قرأه أكثر القراء السبعة بصيغة الأمر (قل)، وقرأ حفص بصيغة الماضي (قال) [1]، وقراءة الجمهور تدل على أنه ﷺ أُمر أن يقول ذلك، أي: أمره الله تعالى أن يقول على جهة الدعاء: (رب احكم بالحق)، وأمر الله تعالى له بهذا الدعاء دليل على الإجابة [2]؛ لأن الله تعالى إذا لقَّن عبده دعاء، فقد ضمن له إجابته.

ومعنى قوله تعالى: (رب احكم بالحق) فيه قولان:

قيل: معناه: "افصل بيني وبين من كذبني بالحق أي: بالعذاب، كأنه استعجل العذاب لقومه، فعُذبوا يوم بدر، وقيل: معناه: افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق من الجميع، وهو أن تنصرني عليهم". [3]

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبيَّن أن معنى قوله تعالى: (رب احكم بالحق): التعجيل بالعذاب، وعليه أكثر المفسرين، وقد استُجيب ذلك حيث عُذبوا ببدر، وجعل النصر لعباده المؤمنين، وهو نظير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:89]، أي: أحكم بيننا بالحق، وحكمه تعالى لا يكون إلا بنصر المحقين على المبطلين، وكأنهم طلبوا نزول العذاب بالكافرين، وحلول نقمة الله تعالى بهم. [4]

(1) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (213/1).
(2) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (104/4).
(3) لباب التأويل (246/3)، وانظر: مفاتيح الغيب (195/22-196).
(4) انظر: فتح البيان (412/4).

ثم قال سبحانه متممًا لدعائه: (وربنا الرحمن المستعان)، وقد قصر الاستعانة عليه تعالى، والمعنى: "لا أستعين بغيره على ما تصفون، إذ لا ينصرنا غير ربنا" [1]، وهو نظير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5] ، قال الشعراوي رحمه الله: "الحق ﷻ حين قال: (إياك نعبد) قصر العبادة على ذاته الكريمة؛ لأنه لو قال: نعبدك وحدك، فهي لا تؤدي المعنى نفسه؛ لأنك قد تقول نعبدك وحدك ومعك كذا وكذا، ولكن إذا قلت: (إياك نعبد)، وقدمت إياك، تكون قد حسمت الأمر بأن العبادة لله تعالى وحده". [2]

فبيَّن تعالى أنه وحده المستعان على ما يصفونه من الكفر والتكذيب [3]، وهو ما يصفونه بأن الشوكة تكون لهم، وأن راية الإسلام تخفق أيامًا ثم تسكن، وأن المُوعَد به لو كان حقًّا لنزل بهم، فأجاب الله تعالى دعوة رسوله ﷺ، فخيَّب أمانيهم، ونصر رسوله ﷺ عليهم. [4]

وهكذا كانت خاتمة السورة الكريمة بأمر النبي ﷺ بتفويض الأمر إليه، وتوقع الفرج من عنده، فهو الناصر وهو المعين. [5]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن الله تعالى أرسل رسوله ﷺ رحمة للعالمين، فكذب به المكذبون، واستهزأ به المستهزئون، والله تعالى هو الرحمن الكفيل بأن يرحم رسوله، ويعينه على ما يصفون.

ولطيفة أخرى: أن الله تعالى أراد تسلية نبيه ﷺ ورفع مقداره، حيث أَمره بالانقطاع إلى ربه تعالى في دفع أذية القوم؛ ليحصل له مع الخلاص من أذيتهم شرف الاستجابة، وهذا يدل على غاية العناية والرحمة. [6]

(1) التحرير والتنوير (176/17).
(2) تفسير الشعراوي (78/1).
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (351/11).
(4) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (63/4)، اللباب في علوم الكتاب (628/13)، روح المعاني (102/9).
(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن (351/11)، صفوة التفاسير (253/2).
(6) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن النيسابوري (59/5).

المطلب الخامس: جعل الرحمن للمؤمنين محبة في القلوب

إن المؤمنين الذين يعملون الصالحات، يجعل الله تعالى لهم القبول في الأرض وفي السماء، فيحبهم الله تعالى، ويحبهم المؤمنون. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم:96]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ أنه سيجعل لعباده المؤمنين محبة في قلوب العباد، فقال تعالى: (سيجعل لهم الرحمن ودا) [1]، وقد نزلت في عليﷺ على أشهر الأقوال [2]، والود هو: "المحبة والقبول، الذي يجعله الله تعالى في القلوب، لمن شاء من عباده" [3]، والمعنى: أن "الذين أمنوا بالله تعالى حق الإيمان، وعملوا الأعمال الصالحات، سيجعل لهم الرحمن في دنياهم وفي آخرتهم ودا، أي: سيجعل لهم محبة ومودة في القلوب؛ لإيمانهم وعملهم الصالح" [4]، "من غير تودد منهم، يحبهم الناس، ويتحابون فيما بينهم، ويحبهم الله تعالى" [5].

فإن الإيمان يصفي قلوبهم، وينير بصائرهم، فينجذب بعضهم لبعض، بمقتضى الطهر الجامع والإخلاص الذي يؤلف القلوب، ويؤاخي بين الناس [6]، ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ : **(إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ. قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا**

---

(1) لمَّا ختم الله تعالى الآية قبلها بأن المشركين آتون يوم القيامة مفردين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ [مريم: 95]، وأشعر ذلك بأنهم مغضوب عليهم، فأعقب تعالى بذكر حال المؤمنين الصالحين، وأنهم على العكس من حال المشركين، بأنهم يكونون يومئذٍ بمقام المودة والتبجيل. انظر: التحرير والتنوير (174/16).

(2) انظر: المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (122/12)، الدر المنثور، جلال الدين السيوطي (544/5).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (486/1) وانظر: الجواهر الحسان (40/4).

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (76/9).

(5) التفسير المنير (170/16).

(6) انظر: زهرة التفاسير (4694/9).

خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ)[1] ، وجه الدلالة من الحديث: أن فيه إخبار عن المتحابين في الله تعالى، في قوله: (قوم تحابوا بروح الله)، قيل: المراد بالروح هنا: القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشُّورى:52] ؛ لأنه يحيي به القلب، كما يحيى بالروح البدن، أي: تحابوا بما حثّهم القرآن الكريم عليه من موالاة المسلمين ومصادقتهم، ويمكن أن يراد بالروح: المحبة، أي: تحابوا بما أوقع الله تعالى في قلوبهم من المحبة الخالصة لله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾ [مريم:17]، أي: أن الله تعالى سماه روحه على المجاز؛ محبةً له وتقريبًا، وقوله: (إن وجوههم لنور) أي: منورة أو ذوات نور، وقوله: (وإنهم لعلى نور)، أي: على منابر من نور.[2]

وقد ذكر الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى (سيجعل لهم الرحمن ودا) قولين:

القول الأول: أنه تعالى سيُحدث لهم في القلوب مودة، من غير تودد منهم، ولا تعرض للأسباب، التي يكتسب الناس بها مودات القلوب، من قرابة، أو صداقة، أو اصطناع معروف، أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه تعالى وابتداء؛ تخصيصًا لأوليائه بهذه الكرامة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة؛ إعظامًا لهم وإجلالاً لمكانهم. والسين في سيجعل إما؛ لأن السورة مكية، وكان المؤمنون حينئذٍ ممقوتين بين الكفرة، فوعدهم الله تعالى ذلك إذا جاء الإسلام، وإما أن يكون ذلك يوم القيامة، يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم، وينشر من ديوان أعمالهم.

القول الثاني: أنه تعالى سيهب لهم ما يحبون، ومعناه: سيعطيهم الرحمن محبوبهم في الجنة.[3]

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في الرهن، ح3529، (311/3). قال الألباني: صحيح لغيره. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (93/3).

(2) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (3203/10-3204)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد العظيم آبادي، أبو الطيب (322/9-323).

(3) انظر: مفاتيح الغيب (567/21-568) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (511/4).

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين، تبين أن القول الأول هو الأولى، وعليه أكثر المفسرين، ويدل على ذلك قوله ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا، فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ)**[1]، وجه الدلالة من الحديث: أن محبة الله تعالى للعبد تكون بإيصال الخير إليه بالتقرب والإثابة، وكذا محبة الملائكة، وذلك بالاستغفار والدعاء لهم ونحوه، وقوله: (ويوضع له القبول في الأرض)، أي: في أهل الأرض، أي: في قلوبهم، ويُعلم منه أن من كان مقبولاً في قلوب العباد، فهو محبوب عند الله ﷻ، وقيل: يُوضع له القبول في الأرض عند الصالحين، وليس عند جميع الخلق، والذي يوضع له بعد موته أكثر منه في حياته[2]، فمحبة الناس للعبد علامة على محبة الله تعالى له.[3]

أي: "أن الله ﷻ يُقبل بقلوب عباده إلى من أقبل عليه، كما أنه يُعرض بقلوبهم عمن أعرض عنه، فقلوب العباد بيد الله تعالى لا بأيديهم".[4]

قال هرم بن حيان:[5] "ما أقبل عبد على الله بقلبه، إلا أقبل الله ﷻ بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم".[6]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة، ح7485، (142/9).
(2) انظر: عمدة القارئ (155/25).
(3) انظر: إرشاد الساري (431/10).
(4) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم الجوزية (ص417).
(5) هرم بن حيان: العبدي الأزدي، من بني عبد القيس، (توفى: بعد26 هـ)، وهو قائد فاتح، من كبار النساك من التابعين، كان أمير بني عبد القيس في الفتوح، ووُلي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس، ومات في إحدى غزواته. انظر: الأعلام (82/8).
(6) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص417).

وقد أخبر سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ عن ود الرحمن لعباده المؤمنين يوم القيامة، فقال: "وللتعبير بالود في هذا الجو، نداوة رخية تمس القلوب، وروح رضى يلمس النفوس، وهو ود يشيع في الملأ الأعلى، ثم يفيض على الأرض والناس، فيمتلئ به الكون كله ويفيض".[1]

وهذا من نعمه تعالى على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم بأن يجعل لهم ودًّا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود، تيسرت لهم كثير من أمورهم، وحصل لهم من الخيرات، والدعوات، والإرشاد، والقبول، والإمامة، ما حصل.[2]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن الموعود من آثار رحمة الله تعالى، أي: أن المحبة والمودة التي بين البشر، يتحابون بها ويتوادون، أثر من آثار رحمة الله تعالى بين الناس.

ولطيفة أخرى: أن الود الذي يشيع في السماوات والأرض، له أثر في القلوب والنفوس، وهذا يعبر عن رحمته العظيمة الواسعة، وقد اختص بها عباده المؤمنين.

المطلب السادس: وعد الرحمن لعباده المؤمنين بالجنة

إن من أجمل النعم التي أنعمها الله ﷻ على عباده المتقين، أنه وعدهم بدخول الجنة، وقد وصفها بجملة أوصاف، كلها غاية في الجمال، دالة على عظمة الخالق، منها أنها جنات عدن، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ [مريم:61]

وجه الدلالة: وصف الله ﷻ الجنة، فقال: (جنات عدن التي وعد الرحمن) أي: جنات "خلود وإقامة، لا يتحول عنها أهلها أبدًا، وهي التي كانت وعدًا تلقاه المؤمنون بالله تعالى من ربهم في الدنيا، فآمنوا بهذا الوعد على الغيب، دون أن يروه، وقبل أن يتحققوا منه عيانًا"[3]، ونظير ذلك

(1) في ظلال القرآن (2321/4).
(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (501/1).
(3) التفسير القرآني للقرآن (748/8)، وانظر: صفوة التفاسير (202/2).

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة:72]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ [غافر:8]

وقد ذكر الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الوعد بالغيب وجهين:

الوجه الأول: أنه تعالى وعدهم إياها وهي غائبة عنهم، أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها.

الوجه الثاني: وعدُه تعالى للذين يكونون عبادًا بالغيب، أي: الذين يعبدونه في السر بخلاف المنافقين، فإنهم يعبدونه في الظاهر، ولا يعبدونه في السر [(1)].

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبيَّن أن الوجه الأول هو الأولى، وعليه أكثر المفسرين، وهذا بيِّن في سياق الآيات، وأنه مما تؤيده اللغة، فمعنى الغيب في اللغة: "أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر البعث، والجنة، والنار" [(2)].

"فالذي خلق لنا هذا الكون العجيب المتناسق، إذا أخبرنا عن نعيم آخر دائم في الآخرة، فلا بد أن نصدق، ونأخذ من المشاهَد لنا دليلاً على ما غاب عنا، لذلك نؤمن بالآخرة إيمانًا غيبيًّا؛ ثقةً منا في قدرته تعالى، التي رأينا طرفًا منها في الدنيا" [(3)].

ثم صدق تعالى وعده بالجنة لعباده، فقال: (إنه كان وعده مأتيا)، وفيه قولان:

القول الأول: (مأتيا) مفعول من الإتيان.

القول الثاني: (مأتيا) بمعنى آت، فهو مفعول بمعنى فاعل [(4)].

(1) انظر: مفاتيح الغيب (552/21).
(2) لسان العرب (3321/5، 3322).
(3) تفسير الشعراوي (9136/15).
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن (126/11).

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبيَّن أن القول الأول هو الأولى في معنى قوله: (مأتيا)، وهو أنه مفعول من الإتيان، وهذا ما يُفهم من ظاهر الآية، قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فما دام الرحمن تبارك وتعالى هو الذي وعد، فلا بد أن يكون وعده (مأتيا) أي: محققًا وواقعًا لا شك فيه، ووعده تعالى لا يتخلف و (مأتيا) أي: نأتيه نحن، فهي اسم مفعول" [(1)]، والمعنى: "كان وعده بالجنة مفعولاً وحاصلاً حتمًا، ومن وُعد الجنة فإنه يأتيها" [(2)]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن الله تعالى سمَّى الجنة رحمته، في قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ [آل عمران:107]؛ لأن فيها من النعيم العظيم الذي أعده تعالى لعباده الصالحين، كما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **(قال الله: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ).** [(3)] وهذا يدل على رحمته تعالى، وإحسانه بعباده المؤمنين.

ولطيفة أخرى: أن في إضافتها إلى رحمته، ما يدل على دوام نعيمها وسرورها.

---

(1) تفسير الشعراوي (9137/15).

(2) التفسير الواضح (462/2).

(3) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ** ﴾ [الفتح: 15]، ح7498، (144/9).



المبحث السادس

لطائف اسم الرحمن في أحداث اليوم الآخر

ويشتمل على خمسة مطالب:

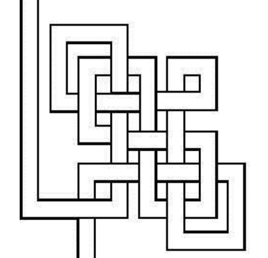
المطلب الأول: وعد الرحمن بالبعث.

المطلب الثاني: الحشر إلى الرحمن.

المطلب الثالث: الملك للرحمن.

المطلب الرابع: الشفاعة بإذن الرحمن.

المطلب الخامس: الخطاب والكلام بإذن الرحمن.



المطلب الأول: وعد الرحمن بالبعث

يُنفَخ في الصور فإذا الكفار من القبور ينتفضون، وفي دهشٍ وذعرٍ يتساءلون، ثم تزول عنهم الدهشة، فيدركون أنه وعد الرحمن. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:52]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن الكفار، الذين تنادوا بالويل[1]؛ لِما شاهدوا من أهوال الموقف عند بعثهم من القبور، والبعث في كلام العرب يعني: الإرسال، والإثارة، والإحياء. والأخير هو المقصود في الآية[2]. قال تعالى: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا): وفيه قولان:[3]

القول الأول: أن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون، فإذا بُعثوا بعد النفخة الأخيرة، وعاينوا القيامة، دعوا بالويل.

القول الثاني: أن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها، صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)[4]

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبين أن القول الأول هو الأولى، وعليه أكثر المفسرين. قال الطبري: "قال هؤلاء المشركون لمَّا نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة، فرُدت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)، وقد قيل: إن ذلك نومة بين

---

(1) الويل كلمة تُقال لكل من وقع في هلكة، أو بليّة لا يُترحم عليه معها، وإنه في القرآن الكريم ما جاء إلا لمن استحق العذاب بجرمه. انظر: تهذيب اللغة (191/5-192).

(2) انظر: تهذيب اللغة (201/2)، لسان العرب (307/1).

(3) انظر: الكشف والبيان (130/8)، معالم التنزيل (21/7)، لباب التأويل في معاني التنزيل (10/4).

(4) قال النيسابوري: "كأنهم شكوا في أنهم كانوا موتى فبُعثوا، أو كانوا نيامًا فتنبهوا، فجمعوا في السؤال بين الأمرين: البعث والمرقد". غرائب القرآن ورغائب الفرقان (540/5).

النفختين"[1]، ويدل عليه قوله ﷺ: **(مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ. قَالُوا أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ. قَالُوا أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ. ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ. قَالَ: وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَىْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**.[2]

والمعنى: أن المفاجأة تأخذهم؛ لأنهم كانوا لا يتوقعون نشورًا، فيفزعهم هذا البعث، ويتنادون بالويل؛ لأنهم لا يدرون ماذا يُراد بهم في هذا العالم الجديد، الذي أُخذوا إليه؟ ويأخذهم العجب من تلك اليقظة، التي أخرجتهم من هذا النوم الطويل! ويجيئهم الجواب: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)[3]، وهو: "كلام الملائكة، أو المتقين، أو الكافرين، يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به أنفسهم، أو بعضهم بعضا".[4]

وقوله: (هذا) "إشارة إلى الحالة المرئية لجميعهم، وهي حالة خروجهم من الأرض"[5]، والمعنى: "هذا الذي ترون ما وعد به الرحمن، وصدق في الإخبار به المرسلون، الذين أتونا بوعد الله تعالى ووعيده".[6]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن ذكر تكذيبهم للبعث يناسب إنكارهم لاسم الرحمن.

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (531/20). المقصود بالنفختين: "الأولى: نفخة الصعق، فيسبقها فزع ثم صعق، والثانية: نفخة البعث، وبينهما أربعون". تفسير الحجرات – الحديد، محمد بن العثيمين (ص96).

(2) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، ح2955، (2270/4). وجه الدلالة من الحديث: أن الذي يجزم به أبو هريرة هو أنها (أربعون) مجملة، وقد جاءت مفسَّرة من رواية غيره في غير مسلم (أربعون سنة). وعجب الذنب هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصُّلب، وهو أول ما يُخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه؛ ليعاد تركيب الخلق عليه، وهذا لا يخص الأنبياء عليهم السلام، فإن الله حرم على الأرض أجسادهم. انظر: شرح النووي على مسلم (91/18-92).

(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن (941/12).

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (107/3)، وانظر: فتح القدير (430/4)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (41/12).

(5) التحرير والتنوير (38/23).

(6) تفسير المراغي (20/23)، وانظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (383/4).

ولطيفة أخرى: أن اسم الرحمن العام الرحمة، رحمته مقتضيه للبعث؛ لينصف المظلوم من ظالمه، ويجازي كل إنسان حسب عمله، وقد رحمنا بإرسال الرسل عليهم السلام؛ لتخبرنا بذلك.[1]

المطلب الثاني: الحشر إلى الرحمن

إذا نفخ في الصور، وخرج الناس من قبورهم، كلٌ على حسب حاله، فالمتقون يُحشرون إلى الرحمن وفدا، بكرامة وحسن استقبال، أما المشركون فهم جاثون على ركبهم؛ من شدة الأهوال، منتظرين لحكم الكبير المتعال. ويدل على ذلك:

أولا: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:85]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن حشر المتقين يوم القيامة، والحشر: "هو الضم والجمع، ويراد به تارة: الحشر إلى موقف القيامة"[2]، قال تعالى: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي: "أن المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا، بامتثال أمره واجتناب نهيه، يُحشرون إليه يوم القيامة في حال كونهم وفدا"[3]، والوفد: الركبان المُكرمون[4]، وأصل الوفود: القدوم على العظماء؛ للعطايا، ففيه إشارة إلى تبجيلهم وتعظيمهم، المزور والزائر[5]، والمراد: "أنهم يأتون إلى الله تعالى مُكرمين، كما تكون الوفود التي تفد على الملوك، فتُحاط بالعناية والترحيب".[6]

وتتجلى هذه العناية بدخول جنة الرحمن، في قوله: (إلى الرحمن وفدا) "في الكلام حذف، أي: إلى جنة الرحمن ودار كرامته"[7]، ونظير هذا ما أخبره تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام في قوله

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (143/16).
(2) تفسير القرآن الكريم، ابن القيم (ص380)، وانظر: تهذيب اللغة (105/4).
(3) أضواء البيان (512/3).
(4) انظر: تهذيب اللغة (140/14)، لسان العرب (4881/6)، معاني القرآن وإعرابه (346/3). وقيل: ركباناً؛ لِما دل عليه المعنى اللُّغوي لكلمة وفد: وهم القادمون، وعادتهم الركوب، وقيل: مُكرمون؛ لأن العادة إكرام الوفود. انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (485/1).
(5) انظر: محاسن التأويل (113/7).
(6) التفسير الحديث (180/3).
(7) الجامع لأحكام القرآن (151/11).

تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصَّافات:99] أي: أنه قال: (إلى ربي)، والمراد: "إلى بلد أعبد فيه ربي".[1]

والمعنى: أنهم يُحشرون إلى جنة الرحمن ودار كرامته، راكبين على مراكب، تنشرح لها النفوس، وتُسر لها القلوب[2]، "كما يفد الوافدون على أبواب الملوك، ينتظرون إكرامهم وإنعامهم"[3]، فالمتقون هم وفد كريم، يفد إلى جناب الرحمن، وينزل منازل الإكرام برحمته تعالى.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم:68-69]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن حشر المشركين، فقال: (فوربك لنحشرنهم والشياطين) أي: لنجمعنَّهم في المعاد، يعني المشركين المنكرين للبعث مع قرنائهم من الشياطين، وذلك أنه يُحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة[4]، ونظيره فيما أخبره تعالى عنهم أنهم يُحشرون وأزواجهم[5] في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصَّافات:22]

والمعنى: أن الله ﷻ أقسم بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعًا، بعد بعثهم من قبورهم ومعهم شياطينهم، التي هي سبب إغوائهم وضلالهم؛ ليأخذ الكل جزاءه غير منقوص، وليروا بأنفسهم أن الشيطان أضلهم، وأعمى أبصارهم، وسيتنصل منهم[6]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا

---

(1) محاسن التأويل (217/8).
(2) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (71/9).
(3) تفسير المراغي (84/16)، وانظر: التفسير المظهري (118/6).
(4) انظر: معالم التنزيل (245/5)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (346/2)، لباب التأويل في معاني التنزيل (193/3).
(5) مما قيل في معنى أزواجهم: قرناؤهم من الشياطين. انظر: الجامع لأحكام القرآن (73/15)، فتح القدير (448/4).
(6) انظر: التفسير الواضح (465/2).

أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:22]. أي: أن الشيطان ليس له عليهم سلطان، إلا أن دعاهم بالوسوسة فاستجابوا له، فليس هو بمصرخهم، أي: بمغيثهم من عذاب الله تعالى.[1]

ثم أخبر تعالى أنه بعد أن يحشرهم، يُحضرهم إلى جهنم، فقال: (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا)، وفي معنى (جثيًّا) قولان:[2]

القول الأول: جثيًّا على ركبهم، أي: أنهم لشدة ما هم فيه لا يقدرون على القيام.

القول الثاني: جثيًّا بمعنى: جماعات.

القول الراجح:

بعد الاطلاع عل أقوال المفسرين تبيَّن أن القولين كليهما صحيحان؛ وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن المعنى اللُّغوي يدل على ذلك، وهو: قوم جثيّا أي: قوم جلوس، ومنه: تجاثوا على الرُّكب، وجثي كل أمة تتبع نبيها أي: جماعة.[3]

الوجه الثاني: أن قوله: (جثيًّا)، "وإن كان خاصًّا بالكفرة؛ لأنهم الذين أغواهم الشياطين وأضلوهم، ولكن أُضيف إلى الجميع الأبرار والفجار؛ لأن الحشر للجميع، والجميع يرون جهنم"[4]، والجميع يتجاثون على ركبهم، ولا يطيقون القيام على أرجلهم.

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنه تعالى يحضرهم على أذل صورة؛ لقوله تعالى: (جثيًّا)؛ لأن البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل، أو صورته صورة العاجز، فإن قيل: هذا المعنى حاصل للكل

(1) انظر: تفسير القرآن العزيز (366/2).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (133/11)، أضواء البيان (475/3).
(3) انظر: لسان العرب (546/1).
(4) زهرة التفاسير (4674/9).

بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية:28]، والسبب فيه جريان العادة أن الناس في مواقف المطالبات من الملوك، يتجاثون على ركبهم؛ لما في ذلك من الانتظار والقلق، أو لما يدهمهم من شدة الأمر، الذي لا يطيقون معه القيام على أرجلهم، وإذا كان هذا عامًّا للكل، فكيف يدل على مزيد ذل الكفار؟ قلنا: لعل المراد: أنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة، وذلك يوجب مزيد الذل في حقهم".[1]

وقال الزمخشري رحمه الله: "فإن قلت: هلا عُزل السعداء عن الأشقياء في الحشر، كما عُزلوا عنهم في الجزاء؟ قلت: لم يفرق بينهم في المحشر، وأُحضروا حيث تجاثوا حول جهنم، وأُوردوا معهم النار؛ ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله تعالى منها وخلصهم، فيزدادوا لذلك غبطةً إلى غبطة، وسرورًا إلى سرور، ويشمتوا بأعداء الله تعالى وأعدائهم، فتزداد مساءتهم وحسرتهم، وما يغيظهم من سعادة أولياء الله تعالى، وشماتتهم بهم".[2]

ثم أخبر تعالى أنه يأخذ من كل طائفة من تلك الطوائف التي أُحضرت حول جهنم، وهي جاثية تنتظر حكم الله تعالى فيها، أيهم كان أشد على الرحمن عتيًّا[3] في قوله: (لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيًّا)، والمراد: من كل شيعة من شيع أهل الكفر، ممن أحضرناهم حول جهنم[4]، قال الزمخشري رحمه الله: هي: "الطائفة التي شاعت، أي تبعت غاويًا من الغواة"[5]، "وهم أصحاب البدع، وأصحاب الأهواء، وليس لهم توبة"[6]، كما أخبر عنهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:159].

(1) مفاتيح الغيب (557/21)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (108/13-109).
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (33/3).
(3) العاتي: "الجبار". المعجم الوسيط (583/2)، وانظر: مختار الصحاح (ص200).
(4) انظر: التحرير والتنوير (148/16).
(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (34/3).
(6) الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد الطبراني (338/1).

والمعنى: لنستخرجنَّ، ولنميزنَّ من كل طائفة من طوائف الغي والفساد، أعصاهم فأعصاهم، وأعتاهم فأعتاهم، فيبدأ بتعذيبه، وإدخاله النار على حسب مراتبهم في الكفر، والإضلال، والضلال"[1] ، أي: أن الله تعالى يُقدم في إدخال النار من هو أكثر جرمًا، وأشد أمرًا، ويُقال: هؤلاء هم القادة في الكفر.[2]

"وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو عن كثير من أهل العصيان، ولو خص ذلك بالكفرة، فالمراد: أنه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم، ويطرحهم في النار على الترتيب، أو يُدخل كلاً طبقته التي تليق به".[3] "فمن كان أشدهم تمردًا في كفره خُص بعذاب أعظم؛ لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يَضل تبعًا لغيره، وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد، وليس عذاب من يُورد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدي به مع الغفلة".[4]

وهم في تلك الحال يلعن بعضهم بعضًا، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف:38-39] .

أي: كلما دخلت أمة النار، لعنت الأمم التي سبقتها إلى النار؛ لأنهم ضلوا باتباعهم، حتى إذا تداركوا وتلاحقوا جميعًا في النار، قالت أخراهم دخولاً إلى النار لأولاهم دخولاً، أي: قالت الأتباع للقادة: ربنا هؤلاء أضلونا؛ لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهًا، فأضعف عليهم العذاب بأشد مما تعذبنا به، وقال الله تعالى: (لكل ضعف) أي: للتابع والمتبوع عذاب مضاعف، ولكن لا تعلمون مقدار ذلك.[5] وقالت أولاهم لأخراهم: "فما كان لكم علينا أدنى فضل، تطلبون به أن يكون

(1) أضواء البيان (476/3).
(2) انظر: تفسير السمعاني (306/3).
(3) فتحُ البيان (185/8) ، وانظر: إرشاد العقل السليم (275/5).
(4) مفاتيح الغيب (557/21)، وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (193/3)، تفسير المراغي (75/16).
(5) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص393).

عذابكم دون عذابنا، مع أن الذنب واحد، وقد اعترفتم بتلبسكم بالضلال المقتضى له، فذوقوا العذاب بكسبكم له مهما يكن سببه".[1]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن ذكر اسم الرحمن مع المتقين يدل على سعة الرحمة، التي من شأنها الفضل والإنعام على عباده المتقين، حيث يفد المتقون إلى الرحمن؛ راجين منه رحمته وعظيم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وهي الجنة التي سيرثها المتقون بعملهم الطيب؛ رحمة من الله تعالى.

ولطيفة أخرى: أن ذكر اسم الرحمن مع العاصين المتجبرين يدل على قبح عتوهم؛ لأن شديد الرحمة بالخلق، حقيق بالشكر له والإحسان، لا بالكفر به والطغيان[2]، "ولأنه إذا كان عاتيًا على الرحمن جريئًا عليه، فهو ممعن في الشر إمعانًا، إذ هو غير شاكر للرحمة؛ لأنه ممعن في الاستكبار على مُصدرها ومُرسلها".[3]

وهؤلاء المجرمون، يعصون ويتجبرون، مع علمهم بقدرته عليهم، وهو مع هذه القدرة يرحمهم بإمهاله لهم، لعلهم يتوبوا إليه، فهؤلاء المجرمون، وتلك رحمة الله تعالى بهم.

المطلب الثالث: الملك للرحمن

الملك الثابت الذي لا يزول، ولا يشركه فيه أحد هو للرحمن يومئذٍ، وكل ملك لغيره فهو زائل، وهذا اليوم عسيرٌ على الكافرين؛ لشدة الهول والعذاب الذي يقع عليهم فيه. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان:26]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن ملكه يوم القيامة، فقال: (الملك يومئذٍ الحق)، "ووصفه ﷻ بأنه الحق، أي: الثابت الذي لا يتخلف حكمه، ولا يكون لغيره أبدا"[4]؛ "لأن كل ملك يزول يومئذٍ

(1) تفسير المراغي (150/8).
(2) انظر: التحرير والتنوير (148/16).
(3) زهرة التفاسير (4675/9).
(4) المرجع السابق (5269/10).

ويبطل، ولا يبقى إلا ملكه" [1]، فالملك الذي يزول وينقطع ليس بملك، فبطلت يومئذٍ أملاك المالكين، وزال كل مَلك ومُلكه، وبقي المُلك الحق لله تعالى وحده [2]، ولم يبق لأحد من المخلوقين ملك، كما كانوا في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم، والأحرار والعبيد، والأشراف وغيرهم. [3]

"وخص ﷻ ثبوت الملك له في هذا اليوم بالذكر، مع أنه تعالى هو المالك لهذا الكون في هذا اليوم وفي غيره؛ للرد على الكافرين الذين زعموا أن أصنامهم ستشفع لهم يوم القيامة، ولبيان أن ملك غيره ﷻ في الدنيا إنما هو ملك صوري زائل، أما الملك الثابت الحقيقي فهو لله تعالى الواحد القهار" [4]، كما في قوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:16]، أي: لله تعالى المتفرد بالملك، الذي قهر كل ما سواه. [5]

ثم وصف تعالى هذا اليوم الذي تجلى فيه سلطانه وملكه، فقال: (وكان يومًا على الكافرين عسيرا) أي: "وكان ذلك اليوم شديد الهول على الكافرين؛ لأنه يوم عدل وفصل للقضاء، وهو على المؤمنين يسير؛ لما ينالهم فيه من الكرامة والبشرى" [6]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدَّثر:9-10]، أي: لمَّا قال تعالى: (على الكافرين غير يسير) دلَّ على أنه يسير على المؤمنين، ويحتمل أن يكون إنما وصفه تعالى بالعسر؛ لأنه في نفسه كذلك للجميع من المؤمنين والكافرين، إلا أن هول الكفار فيه أكثر وأشد. [7]

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن قلت: فما فائدة قوله غير يسير، وعسير مغن عنه؟ قلت: لمَّا قال (على الكافرين) فقصر العسر عليهم، قال: (غير يسير)؛ ليُؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (275/3).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (24/13).
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص581).
(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (190/10).
(5) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (6413/10)، صفوة التفاسير (89/3).
(6) تفسير المراغي (7/19).
(7) انظر: الجواهر الحسان (512/5).

على المؤمنين يسيرًا هينًا؛ ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم، ويجوز أن يُراد أنه عسير لا يُرجى أن يرجع يسيرًا، كما يُرجى تيسر العسير من أمور الدنيا".[1]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في الرحمة لعباده (يوماً على الكافرين عسيرا)، أي شديداً لهم [2]، وأن العذاب الذي يناله العصاة، والمذنبين، والمنحرفين، هو ممسوس برحمة الله تعالى، ولا يُراد منه إلا تطهير هذه النفوس الخبيثة، وإلا شفاء هذه القلوب المريضة، وليست النقمة ولا التشفي، مما يتصل بهذا العذاب الذي يلقاه العصاة.[3]

ولطيفة أخرى: أن اسم الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، وسبقت غضبه، فلا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة، وحقت عليه كلمة العذاب.

وقد ذكر الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ في مناسبة ذكر الملك مع اسمه الرحمن ما يسترعي للاهتمام، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "اجتماع الملك يوم القيامة لله تعالى من مظاهر الرحمة بنا، فلا تأخذها على أنها احتكار أو جبروت؛ لأنها في يد الرحمن الرحيم، وكأن الحق تبارك وتعالى يطمئنك: لا تقلق، فالملك يوم القيامة ليس لأحد تخاف أن تقع تحت سطوته، إنما الملك يومئذٍ الحق للرحمن".[4]

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن رحمانيته تعالى أن يقول سبحانه: (وكان يوما على الكافرين عسيرا)، فينبهنا إلى الخطر قبل الوقوع فيه، وهذه رحمة بنا أن ينصحنا ربنا ويعدل لنا، وإلا لو فاجأنا بالعقوبة لكان الأمر صعبًا".[5]

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (647/4).
(2) انظر: إرشاد العقل السليم (213/6).
(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن (10/10).
(4) تفسير الشعراوي (10422/17).
(5) المرجع السابق (10422/17).

المطلب الرابع: الشفاعة بإذن الرحمن

الشفاعة لغةً: من شفع الشيء، أي: ضمَّ مثله إليه وجعله زوجًا.[1]

الشفاعة اصطلاحا: "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة".[2]

وقد جعل الله تعالى الشفاعة رحمة منه لعباده يوم القيامة، كما أثبت ذلك أهل السنة والجماعة، ومن ذلك شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وغيرهم، ومنه أيضا شفاعة غيره من صالحي الأمة، وهي شفاعة مشروطة بإذنه تعالى لمن يشاء من عباده في حق من يشاء كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:255].[3]

كما أن الأعمال الصالحة تشفع لصاحبها يوم القيامة، كما جاء عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: "**الصيام والقرآن يشفعان للعَبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رَبِّ، مَنَعته الطعامَ والشهوات بالنهار، فشفِّعْني فيه، ويقول القرآن: منعته النومَ بالليل، فشَفِّعْني فيه**"، **قَالَ: "فيشفعانِ**".[4]

وقد ذُكر اسم الرحمن مع الشفاعة، ويدل عليه ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:108-109].

وجه الدلالة: أخبر الله تعالى عن اتباع الناس للداعي، الذي يدعوهم إلى الحساب يوم القيامة، فقال تعالى: (يومئذٍ يتبعون الداعي لا عوج له) أي: الملك اسرافيل، "يناديهم أيتها العظام النخرة، والأوصال المتفرقة، واللحوم المتمزقة، قومي إلى ربك للحساب والجزاء، فيسمعون الصوت ويتبعونه، ومعنى (لا عوج له) أي: لا يحيدون عنه، ولا يميلون يمينًا ولا شمالاً، وقيل: لا عوج لدعاء الملك عن أحد، أي: لا يعدل بدعائه عن أحد، بل يدعوهم جميعًا"[5]، ونظيره قوله تعالى:

---

(1) انظر: المعجم الوسيط (487/1).

(2) تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة (173/1)، نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني (ص30).

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (ص176)، وقد فصل المؤلف في موضوع الشفاعة (ص171، 180).

(4) مسند أحمد، ح(6626)، (188/6)، وصححه محققه الشيخ أحمد شاكر، وقال الهيثمي رحمه الله: "رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح". مجمع الزائد ومنبع الفوائد (181/3)

(5) أضواء البيان (100/4).

﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ [القمر:8] أي: "مسرعين في مشيهم نحو المقصد، إما لخوف، أو طمع ونحوه، ويسيرون نحو الداعي لهم وهو إسرافيل، دون تلكؤ ولا تأخر". [1]

ثم أخبر عن خشوع الأصوات للرحمن يومئذٍ، فقال: (وخشعت الأصوات للرحمن): والخشوع: "خضوع كامل في النفس والجسم، وأصله في القلب"[2]، والمعنى: "وسكنت أصوات الخلائق للرحمن، فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها".[3]

ثم قال: (فلا تسمع إلا همسا) وهو "وطء الأقدام إلى المحشر، وأصله الصوت الخفي، يُقال: همس فلان إلى فلان بحديثه، إذا أسره إليه وأخفاه"[4]، وقال الزمخشري رحمه الله: "الهمس: الذكر الخفي، ومنه الحروف المهموسة".[5]

أي: أن الجميع يوم القيامة في خشوع وسكون، فلا همس ولا كلام، فلا يتكلم أحد ولا يشفع لغيره في هذا اليوم إلا بإذنه تعالى، قال تعالى: (يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) أي: "إلا شفاعة من أذن له الرحمن، أي: أذن أن يشفع له، (ورضي له قولا) أي: ورضي للمشفوع فيه قولا، وهو الذي كان في الدنيا من أهل (لا إله إلا الله)".[6]

والمعنى: "أن الشفاعة لا تكون نافعة للمشفوع له إلا بشرطين:

1- إذن الله تعالى للشافع بالشفاعة.

2- رضا الله تعالى عن قول صدر من المشفوع له؛ ليأذن بشفاعة الشافع له".[7]

وقيل: قوله: (ورضي له قولا) "عائد إلى من أذن له الرحمن، وهو الشافع، واللام الداخلة على ذلك الضمير لام التعليل، أي: رضي الرحمن قول الشافع؛ لأجل الشافع، أي: إكرامًا له"، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح:1]، فإن الله تعالى ما أذن للشافع بأن يشفع إلا وقد أراد قبول شفاعته، فصار الإذن بالشفاعة وقبولها، عنوانًا على كرامة الشافع عند الله تعالى".[8]

---

(1) التفسير الوسيط للزحيلي (2539/3).
(2) زهرة التفاسير (220/1).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن (374/18).
(4) جامع البيان في تأويل القرآن (374/18)، وانظر: الكشف والبيان (261/6).
(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (89/3).
(6) زاد المسير (176/3).
(7) تفسير المراغي (152/16-153).
(8) التحرير والتنوير (310/16-311).

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ [مريم:87]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ بأنه لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا، والواو في قوله: (لا يملكون الشفاعة) راجعة إلى قولين:[1]

القول الأول: أنها راجعة إلى المجرمين، ويُفهم منه بالأحرى أن المجرمين لا يشفعون في غيرهم؛ لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع فيهم غيرهم لكفرهم، فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولى، والاستثناء منقطع، والمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكون الشفاعة، أي بتمليك الله تعالى إياهم، وإذنه لهم.

القول الثاني: أنها راجعة إلى المتقين والمجرمين جميعًا، والاستثناء متصل، أي: لا يملك من جميعهم أحد الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المؤمنون.

والقول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبين أن القول الأول استثنى اتخاذ العهد من غير جنسه، إذ لا يتخذ الكفار المجرمون العهد، فقوله: (من اتخذ عند الرحمن عهدا) ابتداء قول جديد. قال القرطبي ﷺ: "هؤلاء الكفار لا يملكون الشفاعة لأحد (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا)، وهم المسلمون، فيملكون الشفاعة، فهو استثناء الشيء من غير جنسه، أي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع"[2]، أما القول الثاني فإنه استثنى المتقين لاتخاذ العهد. قال الألوسي ﷺ: "لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم، إلا من اتصف منهم بما يستأهل معه أن يشفع، وهو المراد بالعهد".[3]

والمعنى أنه: "لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعني: المؤمنين"[4]، سواء كان الاستثناء متصل، أو منقطع، ويدل على ذلك ما يلي:

---

(1) انظر: أضواء البيان (3/515-516).
(2) الجامع لأحكام القرآن (11/153).
(3) روح المعاني (8/452).
(4) معالم التنزيل (5/255).

1- أن الشفاعة لمن اتخذ عند الرحمن عهدًا، كما أخبر عنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109].

2- أن المجرمين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، كما أخبر عنهم قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ [الشعراء:100]، أي: "من يشفع لنا من الملائكة، والنبيين، والمؤمنين"[(1)].

3- أن شفاعة الرسول ﷺ لأمته مقرونة بعدم الشرك بالله تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: **(لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)**[(2)]، ووجه الدلالة من الحديث: أن الرسول ﷺ ادخر دعوته؛ لأجل أن يصرفها لأمته خاصةً في جهة الشفاعة، وهي واصلة -انشاء الله- من مات من أمته لا يشرك بالله شيئًا، وهي أقسام: عدم دخول قوم النار، أو تخفيف لبثهم فيها، أو تعجيل دخولهم الجنة، أو رفع درجات فيها.[(3)]

"ومن فضل كرمه أنه جعلها لأمته، وجعلها شفاعة للمذنبين، فكأنه هيأ النجاة للمنقطعين؛ ليلحقهم بالسابقين".[(4)]

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:77-78]

وجه الدلالة: تكشف الآية الكريمة عن نفسيات الكافرين، لاسيما إذا كانوا أقوياء بمال أو ولد، وقد ساقت لونًا من ألوان تبجحهم، وأقوالهم الباطلة، وردَّت عليها بأسلوب حكيم. وقد نزلت هذه الآية في الكافر[(5)]، الذي جمع بين كفره بآيات الله تعالى، ودعواه أنه سيؤتى في الآخرة مالاً

---

(1) معالم التنزيل (120/6).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، ح199، (189/1).

(3) انظر: تحفة الأحوذي (45/10-46).

(4) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج، جمال الدين الجوزي (366/3).

(5) الكافر هو: العاص أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، ت3 ق هـ، وهو من قريش أحد الحكام في الجاهلية، كان نديمًا لهشام بن المغيرة، وأدرك الاسلام، وظل على الشرك، ويُعد من المستهزئين، ومن الزنادقة الذين ماتوا كفارًا وثنيين، وهو والد عمرو بن العاص. انظر: الأعلام (247/3).

ولدا[1] ، "وهذه الآية – وإن كانت نازلة في كافر معين–فإنها تشمل كل كافر، زعم أنه على الحق، وأنه من أهل الجنة".[2]

وعبَّر المولى بقوله: (أفرأيت)؛ لأن رؤية الشيء من أسباب صحة الخبر عنه[3] ، وكانوا يرون بأن كثرة أموالهم وأولادهم ستنفعهم في الآخرة، كما تنفعهم في الدنيا، وأنه تعالى سيعطيهم في الآخرة، كما أعطاهم في الدنيا.[4]

وقال الله تعالى، توبيخًا له وتكذيبًا: (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا)، وهو: "استفهام إنكاري، ينكر فيه على هذا المتألي على الله تعالى، الكافر به، هذا الادعاء الذي يدعيه، وأنه سيؤتى يوم القيامة مالاً وولدا، مثل ما أوتي في الدنيا المال والولد، فهل اطلع الغيب، وقرأ ما سطر له في علم الله تعالى، أم أنه اتخذ عند الله تعالى عهدًا بذلك؟"[5]

قال الزمخشري رحمه الله: "أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب، الذي توحد به الواحد القهار، والمعنى: أن ما ادعى أن يُؤتاه وتألى عليه، لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين: إما علم الغيب، وإما عهد من عالم الغيب".[6]

"ولم يحصل له واحد منهما، فتكون دعوى لا برهان عليها"[7] ، "فهو لم ير الغيب عيانًا؛ إذ هو مطموس الفكر، والنفس، والقلب، وهو لا عهد له عند الله تعالى"[8] ، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [البقرة:124]، أي: "هذا عهد لا يمتد إلى الظالمين، فمن سلم من ذريته من

(1) سبب النزول يوضح ذلك: "عن خباب، قال: (كان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: فقلت له: إني لن أكفر بمحمد حتى تموت ثم تُبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد)". فنزلت هذه الآية: صحيح مسلم (2153/4).
(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (499/1).
(3) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (506/4).
(4) تفسير القرآن الحكيم (192/3).
(5) التفسير القرآني للقرآن (767/8).
(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (39/3)، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (18/4)، روح البيان (354/5).
(7) تفسير المراغي (80/16).
(8) زهرة التفاسير (4683/9).

الظلم، كان أهلاً لأن ينضوي تحت هذا العهد، ويأخذ ميراثه منه".[1]

وفي اتخاذ العهد أقوال: قيل: "يعني: قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وقيل: يعني عمل عملاً صالحًا قدمه، وقيل: عهد إليه أنه يدخله الجنة".[2]

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين تبيَّن أن القول الثالث هو الأولى، والمعنى: عاهد الله تعالى أن يدخله الجنة. وذلك لوجود نظير للآية في سورة البقرة، في قوله تعالى: ﴿**مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ**﴾ [البقرة:80]، وقد أشار إلى ذلك الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]، فقوله: (أتخذتم عند الله عهدًا) أي: "عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار"[4]، والمعنى: "لم تأخذوا منه عهدًا عاهدكم عليه، وهو وحده الذي يملك العقاب ومقداره، بألا يعاقبكم إلا بهذا القدر، وهو أن النار لن تمسكم إلا أيامًا معدودة".[5]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن الشفاعة هي من فضل الله تعالى على عباده، ورحمته بهم، لذا ذكرت مع اسم الرحمن الدال على الإنعام والإحسان.

ولطيفة أخرى: أن من اتخذ عند الرحمن عهدا استحق الشفاعة، واستوجب رحمة الله تعالى.

(1) التفسير القرآني للقرآن (139/1).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل (197/3)، وانظر: معالم التنزيل (254/5)، زاد المسير (146/3)، التفسير المظهري (116/6).

(3) انظر: أضواء البيان (493/3)

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (104/1)، محاسن التأويل (341/1).

(5) زهرة التفاسير (286/1).

المطلب الخامس: الخطاب والكلام بإذن الرحمن

أخبر الله ﷻ عن جلاله ورحمته، فهو رب السماوات والأرض، وما بينهما، وهو الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، يأتيه العباد يوم القيامة أفواجًا، يقفون خاشعين متهيبين، وتقوم الملائكة والروح أمامه صفوفًا، ولا يملك أحد في ذلك اليوم حق الخطاب والكلام إلا بإذنه؛ لجلاله وهيبته. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النَّبأ:37-38].

وجه الدلالة: ذكر الله ﷻ أنه رب السماوات والأرض، وما بينهما، الذي خلقها ودبرها، كما في قوله: (رب السموات والأرض وما بينهما)، وبيَّن أن المراد بالسموات والأرض، وما بينهما: مسمّاها، مع ما فيها من الموجودات؛ لأن اسم المكان قد يُراد به ساكنه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الحج:45]، فإن الظلم من صفات سكان القرية لا صفة لذاتها، والخواء على عروشها من أحوال ذات القرية، لا من أحوال سكانها، فكان إطلاق القرية مرادًا به كلا المعنيين. ثم بيَّن المراد بما بين بالسموات والأرض وهو: ما على الأرض من كائنات، وما في بالسموات من الملائكة، وما في الجو من أسحبه وأمطار وغيرها، فعمَّم ربوبيته على جميع المصنوعات.[1]

وقد ذكر تعالى أنه رب السماوات والأرض، وما بينهما بعد قوله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النَّبأ: 36] أي: "جازاهم الله تعالى بذلك الجزاء العظيم؛ تفضلاً منه، وإحسانًا كافيًا، على حسب أعمالهم".[2]

أي: أنه تعالى ذكر أنه مالك السماوات والأرض، وما بينهما، بعد ذكر عطائه وإنعامه؛ ليعلموا أنه تعالى هو المالك المنعم على عباده بهذا الإنعام، وهذا العطاء الوافر، ويعلموا "أنه لم

(1) انظر: التحرير والتنوير (49/30).
(2) صفوة التفاسير (485/3).

يمتحن أحدًا بعبادته لحاجة تقع له، أو لمنفعة تصل إليه، بل هو الغني، وله ما في السماوات وما في الأرض، وأن منفعة ما امتحنوا به من العبادات راجعة إلى أنفسهم إذا وفوا بها، وإذا لم يقوموا بأدائها كان الضرر راجعًا إليهم".[1]

ثم أخبر تعالى أنه الرحمن[2]، وأنهم لا يملكون منه خطابا، فقال: (الرحمن لا يملكون منه خطابا). والملك في هذه الآية بمعنى القدرة والاستطاعة، فنفي الملك نفي للاستطاعة.[3]

والضمير في قوله: (لا يملكون منه خطابا) فيه ثلاثة أقوال:[4]

القول الأول: أنه راجع إلى المشركين، والمعنى: أنه تعالى لا يخاطب المشركين، أما المؤمنون فيشفعون، ويقبل الله تعالى ذلك منهم.

القول الثاني: أنه راجع إلى المؤمنين، والمعنى: أن المؤمنين لا يملكون أن يخاطبوا الله تعالى في أمر من الأمور؛ لأنه لمَّا ثبت أنه عدل لا يجور، ثبت أن العقاب الذي أوصله إلى الكفار عدل، وأن الثواب الذي أوصله إلى المؤمنين عدل، فبأي سبب يخاطبونه.

القول الثالث: أنه ضمير لأهل السماوات والأرض، فلا أحد من المخلوقين يملك مخاطبة الله تعالى.

والقول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين في الآية تبيَّن أن الضمير في قوله: (لا يملكون) راجع لأهل السماوات والأرض، وعليه أكثر المفسرين.

---

(1) تفسير الماتريدي (400/10).

(2) (رب)، و(الرحمن) فيهما ثلاث قراءات، الأولى: برفع باء رب ونون الرحمن، والثانية: بخفض الباء والنون، والثالثة: بخفض الباء ورفع النون. انظر: البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ص335). ورب مبتدأ والرحمن خبره، وهو الوجه الثاني من أوجه الرفع، وله أوجه أخرى من الإعراب. انظر: الدر المصون (664/10-665).

(3) انظر: التحرير والتنوير (50/30).

(4) انظر: مفاتيح الغيب (24/31) ، اللباب في علوم الكتاب (116/20-117).

قال الزمخشري رحمه الله: "والضمير في (لا يملكون) لأهل السماوات والأرض، أي: ليس في أيديهم مما يُخاطب به الله تعالى، ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد، يتصرفون فيه تصرف الملاك، فيزيدون فيه أو ينقصون منه، أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب، إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه".(1)

وقال البيضاوي رحمه الله: "والواو لأهل السماوات والأرض، أي: لا يملكون خطابه، والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب؛ لأنهم مملوكون له على الاطلاق، فلا يستحقون عليه اعتراضًا، وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه".(2)

والمعنى: لا يملكون مخاطبته؛ لأن المملوك لا يملك شيئًا على مالكه، والخطاب فيه قولان:

قيل: بمعنى الشفاعة، أي: لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه. وقيل: بمعنى الكلام، أي: لا يملكون أن يخاطبوه سبحانه إلا بإذنه.(3)

وترى الباحثة: أن القولين صحيحان في معنى (خطابا)، فالخطاب بمعنى الشفاعة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:255]، والخطاب أيضا بمعنى الكلام، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود:105]، أي: "أن جميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم، فلا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالى".(4)

فإن قيل: ما وجه الجمع بين هذه الآية الدالة على عدم مخاطبة الله تعالى يوم القيامة، وبين غيرها من الآيات الدالة على الكلام في ذلك اليوم، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل:111]، الجواب: "أن يوم القيامة يوم طويل، وله أحوال مختلفة، وفيه أهوال عظيمة، ففي بعض الأحوال لا يقدرون على الكلام؛

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (691/4).
(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (281/5).
(3) انظر: زاد المسير (391/4)، فتح القدير (446/5)
(4) لباب التأويل في معاني التنزيل (502/2).

لشدة الأهوال، وفي بعض الأحوال يُؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، وفي بعضها تُخفف عنهم تلك الأهوال فيُحاجون، ويُجادلون، ويُنكرون". [1]

ثم ذكر تعالى قيام الروح والملائكة، فقال: (يوم يقوم الروح والملائكة) واختُلف في معنى الروح في هذا الموضع على أقوال أوصلها القرطبي [2]، والشوكاني [3] إلى ثمانية أقوال منها:

القول الأول: إن الروح ملك من الملائكة، ما خلق الله تعالى مخلوقًا بعد العرش أعظم منه.

القول الثاني: إن الروح هو جبريل عليه السلام؛ لأن القرآن الكريم قد وصفه بذلك في آيات منها:

1- ما جاء في سورة البقرة أن الذي ينزل بالوحي هو جبريل عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة:97]، أي: "قل أيها النبي: من كان عدوًّا لجبريل، فهو عدوٌّ لوحي الله تعالى، الذي يشمل التوراة وغيرها، فإن الله تعالى نزَّله بالوحي والقرآن الكريم على قلبك أيها النبي، بإذن الله تعالى وأمره، مؤيدًا وموافقًا لما تقدَّمه من الكتب، كالتوراة والإنجيل، وغيرهما، التي تدعو إلى توحيد الله تعالى، وأصول الأخلاق والعبادات". [4]

2- ما جاء في سورة النحل، أنها وصفت الملَك الذي ينزل بالوحي القرآني بالروح، في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [النحل:102]، "وروح القدس: هو جبريل عليه السلام، والإضافة فيه إضافة الموصوف إلى الصفة، أي الروح المقدس، ووُصف بالقدس؛ لطهارته وبركته، وسمى

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل (503/2).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (186/19-187).
(3) انظر: فتح القدير (447/5).
(4) التفسير الوسيط للزحيلي (42/1-43).

روحًا؛ لمشابهته الروح الحقيقي في أن كلاًّ منهما مادة الحياة للبشر، فجبريل من حيث ما يحمل من الرسالة الإلهية تحيا به القلوب، والروح تحيا به الأجسام".(1)

3- ما جاء في سورة الشعراء أنه سُمي بالروح الأمين في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:193]، "والروح الأمين جبريل عليه السلام نزل بهذا القرآن الكريم من عند الله تعالى، على قلب رسول الله ﷺ، وهو أمين على ما نزل به، حفيظ عليه".(2)

القول الثالث: إنها أرواح بني آدم، قبل أن تُرد إلى الأجساد.

القول الرابع: أن الروح هو القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشُّورى:52]، أي: "حين أوحينا إلى الرسل عليهم السلام قبلك، أوحينا إليك (روحًا من أمرنا)، وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحًا؛ لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين؛ لما فيه من الخير الكثير، والعلم الغزير".(3)

القول الراجح:

بعد الاطلاع على الأقوال السابقة، تبيَّن أن معنى الروح في هذا الموضع هو جبريل عليه السلام، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: وصف القرآن الكريم له بذلك في بعض السور القرآنية، كما سبق ذكره.

الوجه الثاني: إجماع جمهور المفسرين على أن: "تسمية جبريل بروح القدس هو على اعتبار أنه روحاني الخِلقة، بدون تولد من أب وأم، وأنه مطهَّر من الرِجس".(4)

ثم ذكر تعالى هيئة قيام الروح والملائكة في قوله: (يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا).

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (237/8).
(2) في ظلال القرآن (2617/5).
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص762).
(4) التفسير الحديث (137/2).

ومعنى (صفًّا) فيه أقوال: قيل: يقومون صفًّا واحدًا، وقيل: صفان، وقيل: صفوفًا، والصف في الأصل مصدر، فينبئ عن الواحد والجمع.(1)

وترى الباحثة: أن القول الأخير هو الأولى–والله أعلم–ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22] أي: "مصطفين، أو ذوي صفوف كثيرة".(2)

"وإنما يصطف الناس في المقامات التي يكون فيها أمر عظيم، فصفُّ الملائكة تعظيم لله تعالى وخضوع له".(3)

ثم قال: (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن) والاستثناء فيه قولان:

القول الأول: عائد إلى الروح والملائكة، وعلى هذا التقدير، الآية دلت على أن الروح والملائكة لا يتكلمون إلا عند حصول شرطين إحداهما: حصول الإذن من الله تعالى، ثانيهما: قول الصواب، والمعنى: أنهم لا ينطقون إلا بعد ورود الإذن في الكلام، ثم بعد ورود ذلك الإذن يجتهدون، ولا يتكلمون إلا بالكلام الذي يعلمون أنه صدق وصواب، أو المعنى: أنهم لا يشفعون إلا في حق شخص أذن الرحمن في الشفاعة له، وذلك الشخص كان ممن قال صوابا.

القول الثاني: أن الاستثناء غير عائد إلى الملائكة فقط، بل إلى جميع أهل السماوات والأرض.(4)

القول الراجح:

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين في الآية تبيَّن أن القول الثاني هو الأولى، أي: أن الاستثناء عائد الى أهل السماوات والأرض، الذين من جملتهم الروح والملائكة. والمعنى: أن الخلق كلهم لا يتكلمون؛ إجلالاً لعظمته تعالى من هول ذلك اليوم إلا من أذن له الرحمن منهم في الكلام

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب (25/31)، الجامع لأحكام القرآن (187/19)، اللباب في علوم الكتاب (118/20)، ارشاد العقل السليم (93/9).
(2) اللباب في علوم الكتاب (330/20).
(3) التحرير والتنوير (52/30).
(4) انظر: مفاتيح الغيب (25/31)، لباب التأويل في معاني التنزيل (389/4)، روح البيان (310/10).

وقال صوابًا، فإنه يتكلم بإذن الله تعالى. وقد دل الحديث الصحيح على أن من الناس من يكلمهم الله تعالى يوم القيامة وهم المؤمنون، كما في قوله ﷺ: **(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ)**[1]، وجه الدلالة من الحديث: أن قوله: **(ما منكم)** هو خطاب للصحابة، والمراد جميع المؤمنين[2]، ومعنى رفع الحجاب: "إزالة الآفة عن أبصار المؤمنين المانعة لها من رؤيته تعالى".[3] وهذا خاص بالمؤمنين، فإن الكفار محجوبون عن رؤية الله تعالى يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطَّففين:15].

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: أن ذكر الله تعالى لعطائه الوافر، ورحمته الواسعة يناسب اسم الرحمن الذي يدل على الإنعام والإحسان، ويدل على الرحمة الواسعة.

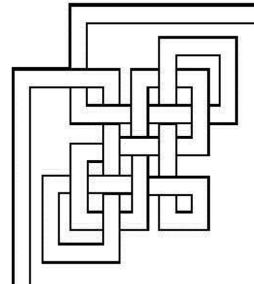
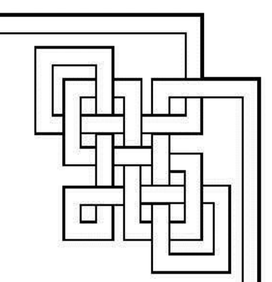
ولطيفة أخرى: أن إذن الله تعالى لعباده يكون برحمته البالغة، لا لأن أحدًا يستحقه عليه تعالى.[4]

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ [القيامة: 22-23] ح7443، (132/9).

(2) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان (150/2).

(3) عمدة القارئ (133/25).

(4) انظر: روح البيان (310/10).

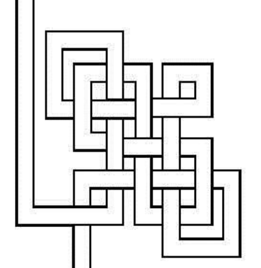
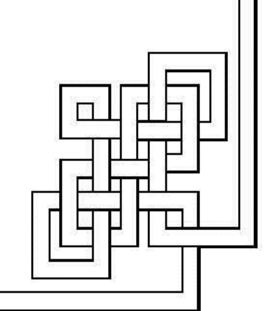



الفصل الثالث
لطائف اسم الرحمن في السور والقصص القرآني

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: لطائف اسم الرحمن في السور القرآنية.

المبحث الثاني: لطائف اسم الرحمن في القصص القرآني.

المبحث الأول

لطائف اسم الرحمن في السور القرآنية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لطائف اسم الرحمن في سورة مريم.

المطلب الثاني: لطائف اسم الرحمن في سورة الرحمن.

المطلب الثالث: لطائف اسم الرحمن في سورة الملك.

المبحث الأول
لطائف اسم الرحمن في السور القرآنية

لمّا أنكر الكفار اسم الرحمن، وقالوا فيما أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:60]، فقد جاءت العديد من السور القرآنية تُعرِّف بهذا الاسم، وكان أكثر وروده في سورة مريم، يليها سورة الزخرف، ثم الفرقان، وغيرها من السور.

وقد تناولت الباحثة بعض هذه السور، وذكرت لطائف اسم الرحمن فيها، ومنها سورة مريم التي ناسب اسم الرحمن فيها جو السورة، وظلالها الرحمانية، وما اشتملت عليه من ذكر بعض الرحمات العظيمة، وسورة الرحمن التي ناسب اسم الرحمن تسميتها بهذا الاسم وبدئها به، وما اشتملت عليه من ذكر بعض الرحمات العظيمة أيضًا، وسورة الملك التي ناسب ذكر الرحمن فيها سياق الآيات قبلها، والتي اشتملن جميعًا على معنى إمساك الله تعالى لخلقه عن الهلاك أو الزوال، وفي ذلك بيان لرحمته تعالى بخلقه.

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لطائف اسم الرحمن في سورة مريم

سورة مريم إحدى السور المكية [(1)] التي جاءت في سياق إرساء دعائم التوحيد، ودفع الشبهات حوله، وقد جاءت في الترتيب بعد قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف:110]، وفيها إثبات بشرية الرسول ﷺ، وأنه مُوحى إليه من ربه، وفيها الأمر بتوحيد الله تعالى، وعدم الشرك به [(2)]، فجاءت سورة مريم بعدها تتميمًا [(3)]، وبيانًا لهذه المعاني وغيرها من معاني التوحيد، ومن ذلك

(1) نقل الإجماع على ذلك القرطبي رحمه الله في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن (72/11)، وقال ابن عاشور رحمه الله: "وهي مكية عند الجمهور، وعن مقاتل: أن آية السجدة مدنية، ولا يستقيم هذا القول لاتصال تلك الآية بالآيات قبلها، إلا أن تكون أُلحقت بها في النزول وهو بعيد". التحرير والتنوير (57/16).
(2) انظر: التحرير والتنوير (54/16).
(3) انظر: البحر المديد (317/3).

تناولها لقصة ميلاد عيسى بن مريم عليه السلام، "وكانت السمة البارزة فيها نفي ألوهية عيسى عليه السلام، ونفي بنوته لله تعالى، وإظهار بشريته، وعبوديته لله تعالى" [1]، ثم تقرير تنزيه الله تعالى عن الولد في سورة مريم وفي غيرها من السور، فقد كان العرب في الجاهلية يعتقدون نسبة الولد لله تعالى، بل وينسبون له البنات دون البنين، وذلك مع تحقيرهم لهن وتشاؤمهم بهن، كما حكى الله تبارك وتعالى ذلك عنهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ [مريم:88]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾. [النحل:57-58].

اسم الرحمن في سورة مريم:

مما يلفت الانتباه في هذه السورة المباركة، كثرة ورود اسم الرحمن فيها، فقد ورد هذا الاسم فيها ستة عشر مرة، أي ما يقرب من ثلث وروده في القرآن كاملاً، وبذلك تكون سورة مريم أكثر السور التي ورد فيها هذا الاسم، كما ذُكرت الرحمة فيها أيضًا في أربعة مواضع، منها قوله تعالى في مطلع السورة: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم:2]، وهو استهلال يضفي بظلاله الرحمانية على مدخل السورة وبدايتها.

ومما لا شك فيه أن وراء هذا الأمر من اللطائف، والحكم، والمعاني الكثير، منها: مراعاة جو السورة وظلالها الرحمانية، المتمثل في قصصها ومعانيها، وما اشتملت عليه السورة من ذكر بعض الرحمات العظيمة، وغير ذلك كما سيأتي بيانه فيما يلي.

قال الإمام البقاعي رحمه الله في الكلام عن سورة مريم: "ومقصودها: بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة" [2]، وقال ابن عاشور رحمه الله: "وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن،

(1) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي (ص204).
(2) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي (256/2).

والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف"[1]، فلما كانت السورة في ذكر وتفصيل رحمة الله تعالى، ناسب أن يُذكر فيها اسم الرحمن الذي يُعلم منه صفة الرحمة.

بيان تجليات الرحمة وظلالها في سورة مريم:

وإذا ما قمنا بجولة سريعة في رحاب هذه السورة نجدها سورة الرحمة، والتي تتجلى فيها وبوضوح تام في ألفاظها، وظلالها، ومعانيها، وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله: "والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة.... وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية، ودبيبها اللطيف في الكلمات، والعبارات، والظلال.... حتى جرس ألفاظها وفواصلها، فيه رخاء وفيه عمق: رضيًا، سريًا، حفيًا، نجيًا، فأما المواضع التي تقتضي الشد والعنف، فتجيء فيها الفاصلة مشددة دالاً في الغالب: مدًّا، ضدًّا، إدًّا، هدًّا، أو زايًا: عزًّا، أزًّا.[2]

وإذا انتقلنا إلى عرض تحليلي أعمق لهذه الظلال الرحمانية في السورة، فإننا نجدها بداية في اسم السورة (مريم)، تلك المرأة الصالحة، وأم نبي الله تعالى عيسى عليه السلام مريم بنت عمران من سلالة داود، وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران، وأنها نذرتها محررة، أي: تخدم مسجد بيت المقدس، وكانوا يتقربون بذلك إلى الله تعالى، ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا** ﴾ [آل عمران:37]، ونشأت مريم عليها السلام في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات، المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل، وكانت في كفالة زوج أختها زكريا عليه السلام نبي بني إسرائيل إذ ذاك، وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم، ورأى لها زكريا عليه السلام من الكرامات الهائلة ما بهره[3]، وفي قصتها رحمات عظيمة، ذكرها الله تعالى في هذه السورة وغيرها.

وقد لخص الفيروز آبادى بعض فضائلها، فقال: ومن فضائلها: "... نيلها في الشتاء فاكهة الصيف، وتكليم الملائكة لها، وإتيان جبريل إليها، وولادتها لعيسى عليه السلام روح الله وكلمته من غير

(1) التحرير والتنوير (16/59-60).
(2) في ظلال القرآن (4/2300).
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم (5/194).

مس الرجال؛ وبيان براءتها على لسان الطفل الرضيع، وتساقط الرطب الجني عليها من النخل اليابس، وإجراء النهر السري من تحت قدمها، وتفضيلها على نساء العالمين، وتطهيرها من الحيض، والعيب، والعصيان، وتكفيلها لزكريا عليه السلام شيخ الأنبياء، وقبول الحق تعالى إياها بالإنعام والإحسان، وتربيتها بفنون الإكرام والامتنان، وتكرار ذكرها بالمدح في نص القرآن"[1].

ثم إذا انتقلنا إلى مطلع السورة، وقوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:2] نجد الحديث عن الرحمة واضحًا وجليًّا، والمعنى: أن "هذا الذي نذكره لك يا محمد، هو جانب من قصة عبدنا زكريا عليه السلام، وطرف من مظاهر الرحمة التي اختصصناه بها، ومنحناه إياها"[2]، والحكمة في ذكر قصة هذه الرحمة للنبي ﷺ وخصوصًا في ذلك الوقت، الذي نزلت فيه من العهد المكي هي: بيان رحمته تعالى بأوليائه، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره ومعرفته[3]، وكأنه تعالى يقول لنبيه ﷺ يا محمد لا تحزن؛ لأن رحمتي قريبة من أوليائي وعبادي، وقد بيَّن تعالى ظرف هذه الرحمة، فقال في الآية بعدها: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم:3]، أي: "وقت أن نادانا وتضرع إلينا في خفاء وستر، ملتمسًا منا الذرية الصالحة"[4].

فمطلع السورة مصرح في أنها في ذكر وتفصيل رحمة الله تعالى، فناسب أن يُذكر فيها اسم الرحمن الذي يُعلم منه صفة الرحمة.

ثم إذا انتقلنا إلى قصص السورة التي حوتها، نجد جو الرحمة مخيمًا عليها، وقد ذكر الله تعالى فيها ست قصص، وهي على وجه الإجمال:

قصة زكريا، وابنه يحيى عليهما السلام، وقد استهلت بقوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:2]، ثم قصة مريم، وابنها عيسى عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، أبو طاهر، مجد الدين محمد الفيروزأبادي (109/6).
(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (13/9).
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص489).
(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (13/9).

ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ [مريم:16]، وذُكر فيها اسم الرحمن في موضعين، كما جاء فيها قوله تعالى: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ [مريم:21]، ثم قصة إبراهيم عليه السلام وأبيه، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ [مريم:41] ، وذكر فيها اسم الرحمن أيضًا في موضعين، كما ختمت القصة بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾. [مريم:49-50]، ثم قصة موسى وأخيه هارون عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:51] ، وجاء فيها قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴾ [مريم:53]، ثم قصتي إسماعيل وإدريس عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ [مريم:54]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:56] ، ثم قال تعالى تعقيبًا، إشارةً إليهما وإلى الأنبياء غيرهما، ممن ذكروا في هذه السورة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴾ [مريم:58]، وهو تعقيب يظهر مدى رحمة الله تعالى بهم، وإنعامه عليهم، وهو ما توحيه أيضًا قصصهم المذكورة في السورة، ومعنى الآية: أنهم لفرط تأثرهم بآيات الرحمة التي تنزل من عند الرحمن، فهم يبكون لشعورهم برحمة الله تعالى، ويسجدون شكرًا لله تعالى على ما أنعم، وإن ذلك من شأن الصالحين.[1]

وفي ذكر هذه القصص في هذه السورة، تذكير برحمة الله تعالى بأوليائه، وأنها رحمة عامة في حياتهم جميعًا، وإن اختلفت صورها، وفي ذلك تسلية لسيد الأولياء، وخاتم الأنبياء محمد ﷺ، وتصبيرًا له على ما يلقاه من الشدة والمعاناة في الدعوة.

(1) انظر: زهرة التفاسير (4663/9).

وأخيراً إذا انتقلنا إلى ختام السورة نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم:96]، والحديث فيه عن الرحمة واضحًا وجليًّا.

ذكر بعض الرحمات العظيمة التي اشتملت عليها سورة مريم:

ذكر الله ﷻ في هذه السورة من نعمه العظيمة على أوليائه، ما يدل على سعة رحمته تعالى بهم، وإكرامه لهم، ومنها على وجه الإجمال ما يلي:

أولاً: إجابة الدعاء، وقد سمى الله تعالى ذلك رحمة، كما في قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:2]، فقد أجاب الله تعالى دعاء عبده زكريا عليه السلام في طلبه للذرية الصالحة، ومعنى ذكر الرحمة: بلوغها وإصابتها [1]، وقد ذكر تعالى على لسان زكريا عليه السلام قوله: ﴿شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم:4] ، أي: يقول لربه: "عودتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبني" [2]، وفي إجابة الله تعالى–وهو القوي والغني–الدعاء من عباده الضعفاء المحتاجين رحمة عظيمة، ومنَّة ظاهرة، وفيه تعرض لفضله، وكرمه العظيم.

ثانيا: خرق العادة –ومنه المعجزات والكرامات–لأنبياء الله تعالى، وأوليائه، وعباده الصالحين، أما المعجزات فيُجريها الله تعالى على يد أنبيائه عليهم السلام؛ علامة على صدق نبوتهم، وهي أعظم من الكرامات، وأما الكرامات فيُجريها الله تعالى على يد أوليائه؛ رحمة بهم، وتثبيتًا لإيمانهم، وإظهارًا لمنزلتهم [3]، وقد وقع في هذه السورة الكريمة من ذلك كثير، فمنه ما وقع في قصتي زكريا، ومريم في أمر الذرية، أما زكريا عليه السلام فوهبه الله تعالى يحيى عليه السلام في حال كبره، وقد ضعف عظمه، وشاب شعره، وكانت زوجته عقيمًا، وأما مريم عليها السلام فوهبها الله تعالى عيسى عليه السلام بدون زوج.

(1) انظر: فتح القدير (379/3)، فتح البيان (134/8).
(2) معالم التنزيل (218/5)، لباب التأويل في معاني التنزيل (182/3).
(3) انظر: مذكرة على العقيدة الواسطية (ص87)، المعجم الوسيط (585/2، 784).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة، ولهذا ذكرهما في آل عمران وهاهنا، وفي سورة الأنبياء يقرن بين القصتين؛ لتقارب ما بينهما في المعنى، ليدل عباده على قدرته، وعظمة سلطانه، وأنه على ما يشاء قادر"[1]، ومنه ما وقع لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ وقت حملها بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن جعل الله تعالى من تحتها جدولاً تشرب منه، كما قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم:24]، والسَّري: "هو النهر الذي يجري بالماء العذب"[2]، ومنه أيضًا كلام المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو صبي في مهده؛ تبرئة لأمه العذراء، كما قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. [مريم:29-30]، أي: "فأخبرهم بأنه عبد الله تعالى، وأن الله تعالى علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه".[3]

ثالثا: بعث الرسل، وإقامة المعجزات، والبراهين الواضحة؛ لهداية الخلق إلى الحق من ربهم تعالى، وقد جاء ذلك في قصة مريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم:21] أي: قال الملك لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: أن هذا الأمر الحاصل معك هو بمشيئة الله تعالى لحكمة، وذلك أن هذا المولود سيكون آية للناس، يستدلون بها على كمال قدرته تعالى، وأيضًا رحمةً منا، أي: لمن آمن به، فينجوا من العذاب، وهو كقول الله تعالى في حق نبينا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:107].[4]

(1) تفسير القرآن العظيم (5/193-194)
(2) تفسير الشعراوي (15/9066).
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص492).
(4) انظر: أضواء البيان (3/388-389).

رابعا: الذرية الصالحة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:50] أي: ووهبنا لهم: "خيرًا كثيرًا، المال والولد، بعد النبوة والعلم"[1]، وجعلنا لهم: "ثناءً حسنًا رفيعًا، في كل أهل الأديان"[2].

ومن خلال هذا العرض لبعض النفحات الرحمانية في السورة الكريمة، يتبين أنها تدور حول موضوع الرحمة، وقد ركزت على معاني رحمة الله تعالى لأصناف من عباده، منهم الأنبياء، ومنهم الصالحون، يحقق الله تعالى لهم سؤلهم، ويزيل عنهم همومهم، وفي المقابل نجد آخرين أشقياء محرومين بعيدين عن هذه الرحمة الواسعة، التي وسعت كل شيء، فنجد أقوامًا ضيعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيًّا، كما قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:59]، والغي: نهر في جهنم، يُعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات[3]، ونجد أقوامًا آخرين اجترؤا على الله تعالى، ونسبوا لله تعالى الولد زورًا، ولم يقدِّروا الله تعالى حق قدره، فلهم الويل يوم يقفون بين يديه.

المطلب الثاني: لطائف اسم الرحمن في سورة الرحمن

سورة الرحمن سورة مكية[4]، جاءت في سياق ذكر نعم الله تعالى على خلقه، وتفصيل رحمته بهم، فهي كما يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: "إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، وإعلام بآلاء الله تعالى الباهرة الظاهرة، في جميل صنعه، وإبداع خلقه، وفي فيض نعمائه"[5]، والخطاب فيها

---

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (312/3).
(2) الكشف والبيان (218/6).
(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (218/18)، معاني القرآن وإعرابه (336/3).
(4) وهو قول الجمهور، واستثنى بعضهم قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرَّحمن:29]، لكن الآية مع أخواتها نزولاً، وأسلوبًا، ومضمونًا، فهي مكية كلها. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (223/5)، الجامع لأحكام القرآن (151/17)، التحرير والتنوير (27/ 228)، إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس (ص395).
(5) في ظلال القرآن (3445/6).

موجه للثقلين الإنس والجن على السواء، تذكيرًا لهما بنعم الله تعالى عليهما، حتى يعبدوه وحده لا شريك له، فهو سبحانه ولي هذه النعم، والمنعم الحقيقي بها، وهو وحده من يستحق العبادة. ولذلك يُلحظ في السورة الكريمة تكرار طرح هذا السؤال عليهما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحمن:13]، والذي تكرر في إحدى وثلاثين موضعًا منها، والمعنى: فبأي الآلاء يا معشر الثقلين، من الإنس والجن تكذبان؟ والنعم ظاهرة عليكم، وأنتم مغمورون بها! [1]

ولمَّا كانت السورة مقصورة على تعداد النعم والآلاء [2]، ناسب لها هذه التسمية، والتي هي عنوان الرحمة الواسعة الشاملة، رحمة أرحم الراحمين.

وقفة تأمل حول تسمية السورة:

مما يلفت النظر، ويدعو إلى التأمل في هذه السورة المباركة: تسميتها باسم من أسماء الله تعالى (الرحمن)، وهي في ذلك تتلاءم وتتناسق مع الجو العام للسورة المفعم بالرحمة، فالسورة في نظمها، وألفاظها، ومعانيها، ترجمة صادقة، وبيان واضح، لمعاني هذا الاسم ومدلولاته، ومقصودها [3]: إثبات اتصاف المولى تعالى بعموم الرحمة، وعلى ذلك دل اسمها (الرحمن)؛ لأنه العام الامتنان.

وحتى يتضح هذا الوجه من التناسب والتناسق، بين السورة واسمها، سنعرض- وبالله التوفيق- بعض الدلالات، والنفحات الرحمانية في السورة.

تجليات الرحمة، وظلالها في سورة الرحمن:

فمن ذلك افتتاحها الباهر باسمه تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الرَّحمن:1] [4] دون غيره من الأسماء، وفيه دلالة على أن ما ذكر بعده في السورة الكريمة، في جميعه من رحمة الله تعالى ومن نعمه [5]،

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم (454/7).
(2) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (170/5).
(3) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (45/3).
(4) "وهي السورة الوحيدة المفتتحة باسم من أسماء الله تعالى، لم يتقدمه غيره". التحرير والتنوير (229/27).
(5) انظر: تفسير الحجرات – الحديد، محمد العثيمين (ص301).

وفيه أيضًا: تشويق إلى ما سيخبر به بعده–مما يناسب هذا الوصف–من آثار رحمته تعالى [1]، وهو من براعة الاستهلال في سور القرآن الكريم.

ولا تكاد تتحرك الشفاه بهذا الاسم، حتى يمتلأ القلب خشيةً وهيبةً من وقع هذا الاسم، وقد جاء على هذا البناء الممدود، الذي يوقظ الأذن، والقلب، والمشاعر، فهو مطْلعٌ مقصود بلفظه، ونظمه، ومعناه.

واسم الرحمن هو الضابط لهذه الآيات–التي جاءت بعده–وتقوم عليه معانيها، وهو الذي يمسك بأجزاء السورة كلها، لفظًا ومعنى.[2]

ذكر بعض الرحمات العظيمة التي اشتملت عليها سورة الرحمن:

ومن تجليات الرحمة في السورة أيضًا، اشتمالها على ذكر بعض الرحمات العظيمة، التي تفضل الله تعالى بها على خلقه، وفيما يلي ذكرُ بعضِها:

أولاً: تعليم القرآن

قال تعالى: ﴿**عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ**﴾ [الرَّحمن:2]، وقد بدأ تعالى بذكره في أول سرده للنعم والرحمات، التي اشتملت عليها السورة؛ لأنه أجلُّها وأعظمها، فالقرآن الكريم هو أعظم رحمة، رحم الرحمن تعالى بها عباده، حيث أنزله عليهم بأحسن الألفاظ، وأوضح المعاني، يهديهم لكل خير، ويحذرهم من كل شر [3]، كما قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ** ﴾ [الإسراء:82]، وقال الرسولﷺ: **(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)** [4]، فأعظم النعم على العبد هي تعلمه القرآن الكريم،

(1) انظر: التحرير والتنوير (230/27).
(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن (653/14).
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 828).
(4) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح5027، (192/6).

وفهمه وتفهمه، وإن المؤمن اللبيب هو الذي يحرص على حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته، ويترتب على ذلك سعادته في الدنيا والآخرة.[1]

ثانياً: خَلْقُ الإنسان

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ [الرَّحمن:3] ، وهي من أعظم النعم؛ لأن الخلق هو "مناط كل الأمور، ومرجع جميع الأشياء"[2] ، وقد خلق الله تعالى الإنسان على أجمل صورة، وأحسن تقويم[3] ؛ ليميزه عن سائر الخلق، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التِّين:4]، كما أنه تعالى قدَّم خلقه للإنسان، الذي خلقه من صلصالٍ كالفخار[4] على خلق الجان، الذي خلقه من مارجٍ[5] من نار، كما في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴾ [الرَّحمن:14]، وفي ذكر خلق الإنسان بعد اسمه الرحمن؛ دلالة على اشتمال خلقه على الرحمة، وذكره بعد ذكر تعليم القرآن؛ ليدل على أن الله تعالى قبل أن يخلق الخلق، وضع له المنهج المنظم لحياته؛ لعلمه سبحانه بطبيعة خلقه، وبما يصلحهم، كالمخترع للآلة الذي يعلم مهمتها، ويحدد قانون صيانتها، فالقرآن الكريم هو منهج الإنسان، وقانون صيانته في حركة الحياة، لذلك خلق الله تعالى المنهج، ووضع قانون الصيانة قبل أن يخلق الإنسان.[6]

ثالثاً: تعليم البيان

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرَّحمن:4]، فذكر تعالى أنه علم الإنسان البيان، وفي ذلك تمكين له من الإفصاح عما في نفسه، عن طريق المنطق السليم والقول الواضح، وتمكين من فهم كلام غيره له، وفي ذلك تمييز له عن الأجناس الأخرى، مما جعله أهلاً لحمل الأمانة، ومستعدًّا

(1) انظر: أوضح التفاسير (ص656).
(2) فتح القدير (158/5).
(3) التقويم: "التعديل، يُقال: قومته فاستقام". فتح القدير (567/5).
(4) الصلصال: "الطين اليابس الذي له صلصلة، أي: صوت". الكليات (ص567).
(5) المارج: "اللهب المختلط بسواد النار". تهذيب اللغة (51/11).
(6) انظر: تفسير الشعراوي– الخواطر (8831/14) ، (9976/16).

لتلقى العلوم والخلافة في الأرض [1]، ووجه ذكر خلق الإنسان، وتعليمه البيان مع اسمه الرحمن: أن اسم الرحمن الدال على الفضل والإنعام، يناسب إنعامه تعالى وتفضله، وكرمه للإنسان، بتشريفه بهذه الصورة الحسنة، وهذه الرتبة الكريمة في الخلق، وهذا المنطق السليم.

رابعاً: آلاء الله تعالى في الكون

ذكر تعالى من آلائه في الكون خلق الشمس والقمر، وجريهما في نظام محكم وبحساب دقيق، دون اختلال أو اضطراب [2]، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرَّحمن:5]، وفي ذلك تيسير من الله تعالى على عباده في معرفة أوقاتهم، وضبط عباداتهم ومعاملاتهم، وذلك كله رحمة منه تعالى بعباده؛ لِما يعم عليهم من نفع كبير في استغلال أوقاتهم، وتيسير أمور حياتهم، كما أن هذه الحركة بهذا القدر المعلوم، وبهذه الدقة المتناهية-كما دل عليها لفظ (حسبان) [3] هي من رحمته تعالى بهذا الكون، فأي خلل بهذا النظام الدقيق، يؤدي إلى خلل في الكون بأكمله، وإلى هلاك جميع من على الأرض، فهذه رحمة عظيمة من الله تعالى، ثم ذكر تعالى خلق النجم والشجر [4]، قال: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرَّحمن:6] والمراد بالنجم: نجم السماء [5]، فأخبر الله تعالى أن

(1) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (129/14).

(2) انظر: المرجع السابق (130/14).

(3) قال الشعراوي رحمه الله: "الحسبان: هو الحساب الدقيق جدًّا الذي لا يخطئ أبدًا، ولذلك يأتي الحق ﷻ بكلمة (حسبان) في الأمور الدقيقة، التي خلقت بقدر ونظام دقيق؛ إن اختل فيها شيء يحدث خلل في الكون". تفسير الشعراوي–الخواطر (707/2).

(4) عطف الله تعالى خلق النجم والشجر على خلق الشمس والقمر، وذلك "أن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله تعالى، فهو مناسب لسجود النجم والشجر". الكشاف (444/4).

(5) اختلف في المراد بالنجم، فقيل: النجم هو النبات الذي لا ساق له كالبقول، وقيل: النجم هو نجوم السماء. انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (410/3)، فتح القدير (158/5–159). وقد تبين أن القول الثاني هو الأولى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾ [الحج:18]، فدلت الآية على سجود نجوم السماء والشجر لله تعالى.

النجم والشجر ينقادان له فيما يريده منهما، النجم بالتنقل في البروج، والشجر بإيتاء الثمر [1]، وهذا يدل على نعمه وفضله، ورحمته بعباده.

ومن نعم الله تعالى التي اشتملت عليها هذه السورة المباركة: خلق الأرض وبسطها لأجل الخلق [2]، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرَّحمن:10]، وما جعل فيها من خيرات شتى، كالفاكهة والنخيل ذات الأكمام [3]، والحب ذو العصف [4] قال تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرَّحمن:11-12]

فجعل الله تعالى الأرض ممهدة مبسوطة؛ لتسهل الحياة والحركة عليها، ويقوم الناس بأعمالهم، وقدَّر فيها القوت والغذاء للخلق، وذلك لبقاء حياتهم، وكل ذلك من رحمته تعالى.

ومن نعمه تعالى التي ذُكرت في هذه السورة: خلق البحار، وما جعل تعالى فيها من منافع، كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرَّحمن:19] إلى قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحمن:22]، وتسيير السفن العظيمة فيها، قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرَّحمن:24]، وهي السفن المرفوعات الشرع كالجبال الشاهقة. [5]

---

(1) انظر أوضح التفاسير (ص656).
(2) انظر: صفوة التفاسير (276/3).
(3) الأكمام هي: أوعية الطلع. انظر: معجم مقاييس اللغة (122/5).
(4) العصف: ورق الزرع، وقيل التبن. انظر: تهذيب اللغة (26/2)، المغرَّب (ص318)
(5) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (446/4)، إرشاد العقل السليم (180/8). وفي جمع الجواري، وتوحيد البحر، وجمع الأعلام فائدة عظيمة؛ لأنه إشارة إلى عظمة البحر، ولو قال: في البحار لكانت كل جارية في بحر، وأما إذا كان البحر واحدًا، وفيه الجواري التي هي كالجبال، فيكون ذلك بحرًا عظيمًا، ودلَّ ذلك على كمال قدرة الله تعالى. انظر: مفاتيح الغيب (354/29).

فأخبر الله تعالى عن رحمته في خلقه للبحار، منها العذب الفرات[1]، ومنها المالح الأجاج[2]، يتصل أحدهما بالآخر، ولكنهما لا يختلطان؛ لأنه تعالى جعل بينها برزخًا أي:[3] حاجزًا يفصل بينهما بقدرته تعالى، قال تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرَّحمن:20]، وذلك من حكمته تعالى؛ ليبقى المالح على ملوحته، والعذب على عذوبته، فينتفع الناس بكل منهما في مجال الانتفاع به[4]، ويستخرجوا من كليهما الطعام والحلية–وهي اللؤلؤ والمرجان– وغير ذلك من المنافع[5]، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[فاطر:12]، وذلك كله رحمةٌ منه تعالى وفضلٌ.

خامساً: نعمة الفناء

ومنها ما كتبه الله تعالى على خلقه جميعًا من الفناء والموت، قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرَّحمن:26]، أي جميع أهل الأرض يذهبون ويموتون، وأهل السماوات كذلك، ولا يبقى إلا الله وحده سبحانه[6]، كما قال جل شأنه بعدها: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرَّحمن:27]، وفي ذلك نعم جليلة، ورحمات عظيمة منه تعالى، ويظهر ذلك من وجوه: **أحدها:** أن كتابة الموت على الخلق فيه عظة للظالمين والملوك منهم، حتى لا يتمادوا في ظلمهم وعتوهم، ويعلموا أن ملكهم زائل، وأن الموت قد يباغتهم في أي لحظة، فيكون ذلك واعظًا ورادعًا لهم، **وثانيها:** أن الموت للظالمين والطغاة راحة للعباد من شرورهم وفسادهم، **وثالثها:** أن الموت فيه أحيانًا نجاة من الظلم، والفتن، والعذاب، وهو ما حكاه الله تعالى عن مريم عليها السلام من تمنيها الموت لما شعرت بالحرج والضيق، فقال

(1) الفرات: "أشد الماء عذوبة". لسان العرب (3368/5).
(2) الأجاج: "الشديد الملوحة والمرارة ، مثل ماء البحر". تاج العروس (399/5).
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم (455/7).
(4) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم(136/14).
(5) انظر: أضواء البيان (500/7).
(6) انظر: تفسير المراغي (114/27).

تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾[مريم:23] ، وقال رسول الله ﷺ: **(لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْراً لِي)**[(1)] ، وفي الموت أيضًا راحة للمرضى ببعض الأمراض الخطيرة، كالشلل مثلاً وغيره، مما يجعل الحياة معها شاقَّة وصعبة – عافانا الله تعالى منها جميعًا برحمته وكرمه– **ورابعها**[(2)] : الحث على العبادة، وصرف الزمان اليسير إلى الطاعة، قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الموت نعمة من نعم الله تعالى على عباده؛ لأنه يقول للمحسن: سيأتي الموت؛ لتلقى جزاء إحسانك، وثواب عملك، ويقول أيضًا للكافر: انتبه واحذر، الموت قادم".[(3)]

سادساً: رحمة الله تعالى بخلقه في ذكره لهم ما أعده من عذاب لمن كفر به وعصاه:

ومنها بيانه تعالى لخلقه ما أعده من عذاب ونكال، لمن كفر به أو عصاه منهم؛ ليكون في ذلك موعظة لهم، وتحذيرًا من سلوك طريقهم، وملابسة أفعالهم. كما قال تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحمن:31]، أي: وعيد وتهديد من الله تعالى لعباده، بأنه سيحاسبهم وسيجازيهم على أعمالهم، وليس معنى الآية: أن الله تعالى يشغله شأن عن شأن، ثم يفرغ من أحدهما، ويأتي إلى الآخر، بل هو ﷻ يدبر كل شيء في آن واحد، فالمقصود من الآية الوعيد، أي: سيحاسبكم، لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يُقال: لأتفرغن لك وما به شغل[(4)] ، وفي وعيده تعالى لعباده بأنه سيحاسبهم: رحمةً بهم وتفضلاً؛ حتى يستعدوا لهذا الحساب، ويعملوا له؛

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، ح 5671، (121/7). قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله: (من ضر أصابه) حمله جماعة من السلف على الضر الدنيوي، فإن وجد الضر الأخروي، بأن خشي فتنة في دينه لم يدخل في النهي". فتح الباري (128/10).

(2) الوجه الرابع هو من الوجوه التي ذكرها الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونقلها عنه غيره من المفسرين. مفاتيح الغيب (355/29)، محاسن التأويل (106/9).

(3) تفسير الشعراوي – الخواطر (7970/13).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن (168/17)، تفسير القرآن العظيم (458/7)، تفسير الحجرات – الحديد، محمد العثيمين (ص 315).

لينجحوا فيه، وفي إنجاز هذا الوعد بحصول الحساب للخلق أيضًا: نعمة أعظم، وذلك لأنه بهذه المحاسبة تتحقق العدالة الإلهية، ويأخذ كل عامل حقه، وكل مسيء عقابه.

ومن بيانه تعالى لما أعده من عذاب ونكال، في حق من كفر به أو عصاه: ذكره تعالى لجهنم، وما فيها من أهوال عظيمة، قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرَّحمن:43]، والمعنى: "هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها، ها هي حاضرة تشاهدونها عيانًا، يُقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا، وتصغيرًا وتحقيرًا"[1]، ثم قال تعالى بعدها مباشرة: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرَّحمن:44]، أي: "يطوفون بين نارها، وبين ماء حار، متناهٍ في الحرارة"[2]، "تارة يُعذبون في الجحيم، وتارة يُسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب، يقطع الأمعاء والأحشاء"[3].

وفي ذكره تعالى لآيات العذاب في هذه السورة الكريمة، وغيرها من سور القرآن الكريم رحمةً منه ﷻ بالعباد؛ لِما في ذلك من الزجر لهم عن الشرك والمعاصي[4]، والحث على التوبة والمسارعة فيها، قبل أن يقدموا على الحساب والجزاء، والترهيب هو أحدُ الأساليب الناجحة في التربية، والحث على العمل والانضباط، حتى يلتزم المرء بعمله، ويحافظ على أدائه، وأيضاً: أن "خزي المجرمين وتعذيبهم نعمة تقربها الفطرة البشرية، ولا يقدرها إلا من ذاق طعم الخوف والعذاب، الذي ينزله المجرمون بالمتقين، فلذا كان تعذيبهم يوم القيامة نعمة"[5]، كما قال تعالى بعد وصف حال أهل النار: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحمن:45].

والملاحظ في عرض آيات العذاب في السورة الكريمة: أنها جاءت على نسق يتوافق ويراعي الجو العام للسورة، وهو جو الرحمة، ومن ذلك الاختصار، وترك التطويل، كما في هاتين

---

(1) تفسير القرآن العظيم (461/7).
(2) التفسير الواضح (587/3).
(3) تفسير القرآن العظيم (461/7).
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم (462/7).
(5) أيسر التفاسير (231/5).

الآيتين: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴾ [الرَّحمن:43-44] مثلاً، حيث لم يفصل بينهما بقوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرَّحمن:45]، كما جاء في آيات النعيم، وذلك لأن الحديث عن العذاب أمر محزن؛ فيُكره فيه التطويل، وخصوصًا في مقام ذكر الرحمة، أما الحديث عن النعم فهو أمر ترغبه النفس، فيَحسُن فيه الإطناب والتطويل، وقد أشار الرازي رحمه الله لذلك، فقال: "فيه تغليب جانب الرحمة، فإن آيات العذاب سردها سردًا، وذكرها جملةً؛ ليقصر ذكرها، والثواب ذكره شيئًا فشيئًا؛ لأن ذكره يطيب للسامع، فقال بالفصل، وتكرار عود الضمير إلى الجنس[الجنة] بقوله: ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ ﴾ [الرَّحمن:50]، ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ ﴾ [الرَّحمن:52]؛ لأن إعادة ذكر المحبوب محبوب، والتطويل بذكر اللذات مستحسن".[1]

سابعاً: رحمة الله بخلقه في ذكره لهم ما أعده من نعيم لمن آمن به وأطاعه:

ومن تجليات الرحمة في سورة الرحمن اشتمالها على ذكر ما أعده الله تعالى من نعيم وجنان لمن خاف مقام ربه[2]، كما قال جل شأنه: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرَّحمن:46]، ثم وصفهما بقوله تعالى: ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴾ [الرَّحمن:48]، أي: "أغصان نضرة حسنة"[3]، وتخصيص الأفنان بالذكر؛ "لأنها التي تورق، وتثمر، وتمد الظل"[4]، ثم ذكر ﷻ ما فيهما من نعم وملذات، فقال تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴾ [الرَّحمن:50]، أي: "فيهما عينان تسرحان وتسقيان تلك الأشجار والأغصان"[5]، ثم ذكر فيهما طعامهم، فقال: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴾ [الرَّحمن:52]، أي: "فيهما من

---

(1) مفاتيح الغيب (372/29).

(2) قوله: (مقام ربه) فيه وجهان: أحدهما: خاف قيامه بين يدي ربه، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ [النَّازعات:40] ، وثانيهما: خاف قيام ربه تعالى عليه، ومراقبته لأعماله، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾ [الرعد: 33] انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (7 /506).

(3) تفسير القرآن العظيم (463/7).

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (174/5).

(5) تفسير المراغي (125/27).

كل ما يتفكَّه به على ضربين، رطبًا ويابسًا"[1]، ثم ذكر فراشهم، فقال: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾ [الرَّحمن:54]، والمعنى: "يتنعمون متكئين، أي: مضطجعين أو متربعين"[2]، والاتكاء من صفات المتنعم الدالة على صحة الجسم، وفراغ القلب، إذ العليل لا يستطيع أن يستلقي، أو يستند إلى شيء، وهو مشغول القلب، يتحرك تحرك المحضَر للعقاب[3]، ثم وصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق[4]، ثم قال: (وجنى الجنتين دان) أي: "ثمرهما قريب إليهم، متى شاؤوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴾ [الحاقَّة:23]، وقال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴾ [الإنسان:14]، أي: "لا تمتنع ممن تناولها، بل تنحط إليه من أغصانها"[5].

ثم ذكر تعالى أوصاف نساء الجنة فيها، فقال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ [الرَّحمن:56]، أي: من خصالهن الحسنة: أنهن يقصرن طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال[6]، وأنهن أيضًا أبكارٌ عذارى، لم يمسسهن، ولم يجامعهن أحد قبل أزواجهن لا من الإنس، ولا من الجن[7]، ثم زاد تعالى في وصفهن ومدحهن، فقال ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [الرَّحمن:58] ، أي بأنهن "في صفاء الياقوت، وبياض المرجان، والمرجان: صغار اللؤلؤ، وهو أشد بياضا"[8]؛ "لأنهن لمّا كُنّ قاصرات الطرف، ممتنعات عن الاجتماع بالإنس والجن لم يطمثهن، فهن كالياقوت الذي يكون في معدنه، والمرجان المصون في صدفه، لا يكون قد مسه يد لامس"[9]

(1) لباب التأويل (230/4)، اللباب في علوم الكتاب (344/18).
(2) فتح البيان (340/13).
(3) انظر: روح المعاني (117/14)، تفسير المراغي (126/27).
(4) الإستبرق: ما غلظ من الديباج. انظر: تهذيب اللغة (307/8).
(5) تفسير القرآن العظيم (465/7).
(6) انظر: في ظلال القرآن (3458/6).
(7) انظر: صفوة التفاسير (282/3).
(8) معاني القرآن وإعرابه (103/5).
(9) مفاتيح الغيب (377/29)

وما زال السياق الكريم متتابعًا في سرد ما أعدَّه الله تعالى لعباده المؤمنين من جنان، وما فيها من نعم، ولكنه انتقل للحديث عن نعيم أقل في المرتبة مما سبقه، فقال سبحانه: ﴿ **وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** ﴾ [الرَّحمن:62]، أي: في المنزلة والقدر جنتان أخريان لأصحاب اليمين، وأما الجنتان الأوليان المذكورتان قبلهما فهما للسابقين المقربين، فبأي شيء من النعم الإلهية تكذبان أيها الإنس والجن؟[1] والجن؟[1] ثم وصفهما تعالى: بقوله: ﴿ **مُدْهَآمَّتَانِ** ﴾ [الرَّحمن:64]، أي: "سوداوان من شدة الخضرة من من الري"[2]، ثم ذكر سبحانه ما فيهما من نعم وملذات، كما قال تعالى: ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ** ﴾ [الرَّحمن:66]، أي: "فوارتان بالماء لا تنقطعان"[3]، ثم ذكر ما اشتملت عليه من أنواع الفاكهة اللذيذة فقال: ﴿ **فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾ [الرَّحمن:68]، ثم قال في صفات نسائهن: ﴿ **فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ** ﴾ [الرَّحمن:70]، أي: "خيِّرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه"[4]، ثم ذكر صفة أخرى لهن فقال: ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ** ﴾ [الرَّحمن: 72]، أي: "محبوسات مستورات في الخيام".[5]

فأخبر تعالى عن رحمته في وصف الجنتين، بأنه تعالى وصفهما بما يقارب وصف الجنتين الأوليين؛ لبيان حسنهما، وترغيبًا في السعي لنيلهما بتقوى الله تعالى، وهذه رحمة عظيمة من الله تعالى في ترغيب عباده لنيل جنته، وأخبرنا أيضًا أن في كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأهلها في غاية الراحة، والرضا، والطمأنينة. وهذه رحمة عظيمة من الله تعالى، في تفضله وإنعامه على عباده بهذا الخير العظيم.

وفي ذكر الله تعالى–في هذه السورة المباركة، وغيرها من سور القرآن–ما أعده من نعيم لأهل الطاعة من عباده، رحمةً منه سبحانه بهم؛ لما في ذلك من الترغيب لهم في العمل الصالح، والاجتهاد فيه، والصبر على مشاقه؛ ابتغاء مرضاة ربهم، وثوابه وفضله، ولما فيه أيضًا من التسلية

(1) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (2565/3).
(2) الجامع لأحكام القرآن (185/17).
(3) معالم التنزيل (457/7).
(4) تفسير ابن القيم (ص507)، وانظر: جامع البيان (74/23).
(5) الجامع لأحكام القرآن (188/17)، وانظر: تفسير الجلالين (713/1).

لهم في ترك شهواتهم في الدنيا، بأنهم سينالونها خالصة لهم في الآخرة، وما فيه من الرحمة بغيرهم من أهل المعاصي؛ لما في ذلك من تزهيدهم في الدنيا، وتحقيرها في أعينهم بمقارنتها بنعيم الآخرة.

وفيما أعده الله تعالى لعباده الصالحين –على اختلافهم في الصلاح–من جنات عظيمة جاء وصفها في هذه الآيات، وما لأهلها فيها من سعادة ومتعة، ورضا وطمأنينة: رحمة عظيمة منه جل وعلا بعباده، وتكرم عليهم، وتلطف بهم، وذلك كله من دلائل اسمه الرحمن وآثاره.

وفي ختام السورة التي استعرضت آلاء الله في الخلق، وآلاءه في الكون، وآلاءه في الآخرة، يجيء التسبيح باسم الجليل الكريم، بعد ذكر سعة فضله وإحسانه، فقال: ﴿ **تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ** ﴾ [الرَّحمن:78]، أي: "تعاظم وكثر خيره، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه".[1]

أي: "لمَّا ختم تعالى نعم الدنيا بقوله: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)، ختم نعم الآخرة بقوله: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام)، وناسب هناك ذكر البقاء والديمومة له تعالى بعد ذكر فناء العالم، وناسب هنا ذكر البركة وهي: النماء والزيادة عقب امتنانه على المؤمنين في دار كرامته، وما آتاهم من الخير والفضل في دار النعيم".[2]

والملاحظ: أن الله تعالى بدأ السورة الكريمة بذكر اسمه الرحمن، وما أخبر عنه هذا الاسم، ثم ختم السورة بالمدح الذي استحقه هذا الاسم.

تكرار قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في السورة:

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (831/1)
(2) صفوة التفاسير (284/3).

ومن تجليات الرحمة ونفحاتها في السورة: تكرار[1] قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، وذلك في إحدى وثلاثين موضعًا فيها[2]، وقد جاءت كالفاصلة بين الآيات، وكالتذييل لها؛ للدلالة على اشتمالها على لون من ألوان رحمته تعالى بخلقه[3]، حتى في آيات العذاب منها –كما تقدم بيانه– وقد كرر تعالى ذكرها في السورة؛ لأنه "عدَّد فيها نعماءه وذكَّر عباده آلاءه، ونبَّههم على قدرها، وقدرته عليها، ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة؛ ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها"[4]، فكرر تعالى ذكرها بعد النعم تقريرًا لها، وتأكيدًا على التذكير بها[5]، وفيه أيضًا توبيخ على التكذيب بها[6]، وأسلوب التكرار سائغ في كلام العرب، وهو حسن في مثل هذا الموضع[7]، وقد شبَّهوا ما في سورة (الرحمن) بقول القائل لمن أحسن إليه، وتابع عليه الأيادي، وهو ينكرها ويكفرها: ألم تك فقيرًا فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ ألم تك عريانًا فكسوتك، أفتنكر هذا؟ ألم أحملك وأنت راحل؟ أفتنكر هذا؟ ونحو ذلك.[8]

---

(1) التكرار في اللغة قسمان: محمود ومذموم، الثاني عديم القيمة والمعنى، وهو ليس موجودًا في القرآن الكريم.

(2) وهي على الترتيب: الآيات (13، 16، 18، 21، 23، 25، 28، 30، 32، 34، 36، 38، 40، 42، 45، 47، 49، 51،53، 55، 57، 59، 61، 63، 65، 67، 69، 71، 73، 75، 77)، وقد تكررت الآية في أول سبع مرات منها من السورة عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، وذلك من قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [الرَّحمن:5]، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴾ [الرَّحمن:24]، فكانت سبعًا، على عدد السموات (سبع) والأرض (سبعة) والأيام (سبعة)، وغيرها مما اطرد فيه هذا العدد؛ لحكمة يعلمها سبحانه، ثم ذكرها تعالى مرة واحدة عقب نعمة الفناء والموت، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم، ثم ثمانية منها في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة، ثم ثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما. انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أبو جعفر الغرناطي(465/2).

(3) انظر: تفسير الشعراوي– الخواطر (7969/13).

(4) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ص194).

(5) انظر: معالم التنزيل (443/7).

(6) انظر: روح المعاني (96/14).

(7) انظر: الكشف والبيان (180/9).

(8) انظر: الكشف والبيان (180/9)، معالم التنزيل (443/7)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية (537/16).

وأما تكرارها من الناحية البلاغية: فإنها بهذه الصورة لون من ألوان صور الجمال، ومثالها: شجرة الورد الموجودة على رأس كل زاوية عند منعطف الطريق، أو على رأس كل مسافة؛ لتكون بمثابة الدلالة.[1]

وفي تكرارها على هذا النحو من الكثرة في السورة؛ دلالة على عظم النعم، والرحمات المذكورة فيها وكثرتها، وفيه أيضًا: مناسبة ومناسقة مع جو السورة المفعم بالرحمة، واسمها (الرحمن).

وقد أخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ: **(لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** [الرحمن:13]، **قَالُوا: لاَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ).**[2]

المطلب الثالث: لطائف اسم الرحمن في سورة الملك

"سورة الملك مكية في قول الجميع"[3]، "شأنها شأن سائر السور المكية، التي تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى"[4]، كقضايا الخلق والبعث، والثواب والعقاب، وغير ذلك مما تناولته هذه السورة، والتي تغرسه في عقل المؤمن وقلبه، ولعل ذلك وغيره كان سببًا في ترغيب الشارع الحكيم المؤمن في قراءتها وتدبرها، فعن النبي ﷺ قال: **(إِنَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلاَثُونَ آيَةً تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾** [الملك:1]).[5]

---

(1) انظر: البلاغة العربية، د. عبد الرحمن حبنكة الميداني (25/1).

(2) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الرحمن، ح3291، (399/5)، (515/2)، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم"، انظر: المستدرك على الصحيحين ح3766، (515/2)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته له، ح (5138)، (914/2).

(3) الجامع لأحكام القرآن (205/18).

(4) صفوة التفاسير (390/3).

(5) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، ح3786، (2/ 1244)، وصححه الألباني.

ومفتاح سورة الملك، ومحورها الذي تدور حوله آياتها -وكما يراه سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-هو: مطلعها الجامع: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وعن حقيقة الملك وحقيقة القدرة، تتفرع سائر الصور التي عرضتها السورة، وسائر الحركات المغيبة والظاهرة، التي نبهت القلوب إليها".[1]

ثم بيَّن سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك، فقال: "فمن الملك ومن القدرة كان خلق الموت والحياة، وكان الابتلاء بهما، وكان خلق السماوات، وتزيينها بالمصابيح، وجعلها رجومًا للشياطين، وكان إعداد جهنم بوصفها، وهيئتها، وخزنتها، وكان العلم بالسر والجهر، وكان جعل الأرض ذلولاً للبشر، وكان الخسف والحاصب، والنكير على المكذبين الأولين، وكان إمساك الطير في السماء، وكان القهر والاستعلاء، وكان الرزق كما يشاء، وكان الإنشاء، وهبة السمع، والأبصار، والأفئدة، وكان الذرء[2] في الأرض والحشر، وكان الاختصاص بعلم الآخرة، وكان عذاب الكافرين، وكان الماء الذي به الحياة، وكان الذهاب به عندما يريد. فكل حقائق السورة وموضوعاتها، وكل صورها وإيحاءاتها، مستمدة من إيحاء ذلك المطلع ومدلوله الشامل الكبير: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1]، وحقائق السورة وإيحاءاتها، تتوالى في السياق، وتتدفق بلا توقف، مفسرة مدلول المطلع المجمل الشامل".[3]

اسم الرحمن في سورة الملك:

وإذا تأملنا محور السورة ومفتاحها -كما بينه سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-وقارناه بورود اسم الرحمن فيها -وقد ورد في أربعة مواضع منها-فإننا نلحظ علاقة واضحة، واتسامًا واتساقًا بينهما، وذلك أنه تعالى لمَّا أخبر عن قدرته المطلقة، وتصرفه التام في ملكه، بيَّن لعباده أنه -ومع اتصافه بهذه

(1) في ظلال القرآن (3631/6).
(2) الذرء: "عدد الذرية، تقول: أنمى الله ذَرْأك، وذَرْوك، أي: ذريتك". تهذيب اللغة (6/15)، لسان العرب (1491/3).
(3) في ظلال القرآن (3631/6).

الصفات من الملك والقدرة–متصف بصفات أخرى كالرحمة والمغفرة، وأن قدرته تعالى لا تخلو من رحمته، وأن تصرفه في ملكه بقدرته الباهرة رحمةً وتفضلاً، وينشأ عنه نعمًا جليلةً لا تُحصى.

وفي ذلك كله تلطف منه تعالى بخلقه، وذلك مع قدرته عليهم، وملكه لهم، وفيه تبشير لعباده المؤمنين برحمته بهم –فهم أحق خلقه بها–وتحبب منه إليهم سبحانه.

وفي وروده دلالة على أن هذا الخلق قائم برحمة الله تعالى، وذلك في إمساكه ﷻ له عن الهلاك والزوال، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [النحل:61] أي: أنه تعالى "لو عاجل الخلق بالعقوبة، لأهلك جميع من في الأرض، ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة؛ لأن العجلة من شأن من يخاف فوات الفرصة، ورب السماوات والأرض لا يفوته شيء أراده.[1]

وحول هذه الدلائل والمعاني يدور ورود اسم الرحمن في هذه السورة، وفيما يلي نستعرض المواضع التالية، مع بيان وجه ولطيفة ذكر اسم الرحمن فيها –دون غيره من الأسماء–وعلاقته بسياق الآيات، ومحور السورة، مع عرض لبعض أقوال المفسرين فيها.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ**﴾ [الملك:3]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ في هذه الآية عن بعض آثار قدرته، ومظاهر تصرفه في ملكه، وهو خلقه للسماوات السبع على هذا النحو البديع المحكم، من كونها: طبقات، أي: "بعضها فوق بعض"[2]، ليس فيها تفاوت أو فطور.

(1) أضواء البيان (389/2).
(2) زاد المسير (314/4)، اللباب في علوم الكتاب (227/19)، فتح القدير (309/5).

"وحقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأن بعض الشيء يفوت بعضًا ولايلائمه"[1]، وأما الفطور فهو: الصدوع والشقوق[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾ [الشُّورى:5] أي: "يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله"[3].

وقد أخبر تعالى بأسلوب من التحدي، فقال: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي: هو ﷻ الذي خلق سبع سماوات، بعضها فوق بعض، مع تناسقها، وإتقان تكوينها، وإحكام صنعها، بحيث لا يرى الإنسان في خلق السماوات السبع شيئًا من الاختلاف، أو الاضطراب، أو عدم التناسب، بل كلها محكمة، جارية بمنتهى النظام والإبداع.[4]

قال ابن عاشور رحمه الله: "والمعنى: ما ترى في خلق الله تعالى السماوات تفاوتًا، وأصل الكلام: ما ترى فيهن، ولا في خلق الرحمن من تفاوت، فعبَّر بخلق الرحمن؛ لتكون الجملة تذييلاً لمضمون جملة: (خلق سبع سمواتٍ طباقا)؛ لأن انتفاء التفاوت عما خلقه الله تعالى، متحقق في خلق السماوات وغيرها".[5]

وقد جعل الزمخشري رحمه الله جملة (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) من الآية: صفة ثانية للسموات–أي بالإضافة إلى كونها طباقاً–وأصلها: ما ترى فيهن من تفاوت، فوضع مكان الضمير قوله: (خلق الرحمن)، وذلك تعظيمًا لخلقهن، وتنبيهًا على سبب سلامتهن من التفاوت: وهو أنه خلق الرحمن، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب[6]، وقد نقله عنه بعض المفسرين.[7]

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (576/4)
(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (506/23).
(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (592/4).
(4) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (10/15).
(5) التحرير والتنوير (17/29).
(6) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (576/4).
(7) انظر: مفاتيح الغيب (582/30)، تفسير المراغي (7/29)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (10/15)

وقد تعقب الإمام أبو حيان ﵀ ما ذهب إليه الزمخشري ﵀، ومال إلى أن الجملة مستأنفة، أي: أنه لا يُدرَك في خلقه تعالى تفاوت[1]، وتبعه في ذلك القاسمي ﵀ حيث قال: "ولو جعل قوله تعالى: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) مستأنفًا، مقرراً بعمومه؛ لتناسب خلقه وإتقانه، وتناهي حسنه–فيشمل ما قبله–لكان أولى من تخصيصه بوصفية ما قبله، ويكون كآية: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:7]، وآية: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:88]".[2]

وعلى كلا التقديرين؛ فإن في إضافة الخلق– ومنه السماوات–في هذه الآية إلى اسمه تعالى (الرحمن) دون غيره من الأسماء لطائف وحكم:

فمنها: ما ذكره الزمخشري ﵀ من التعظيم لخلقهن–وقد تقدم قريبا–ومنها: الإشعار بأن هذا الخلق البديع، هو ما اقتضته رحمته تعالى بعباده، لكي تجرى أمورهم على حالة تلائم نظام معيشتهم[3]؛ "لأنه لو كان فيما خلق الله تعالى تفاوت، لكان ذلك التفاوت سببًا لاختلال النظام، فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق".[4]

ومنها: التنبيه على أن جميع مخلوقاته تسير على هذا النمط البديع في صنعها وإيجادها، من التناسب وعدم التفاوت، كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:88]، قال البقاعي ﵀: "ولم يقل: ما ترى فيه من تفاوت؛ ليشعر أن جميع المخلوقات جار على هذا، كل شكل يناسب شكله، لا تفاوت في شيء من ذلك ولا اضطراب، فأعطى الظاهر من التعميم ما لم يكن يعطيه الإضمار، كما أشعر خصوص اسم الرحمن –بما في هذه الأدلة المبسوطة–من الرحمة للخلائق لمن رزق الاعتبار".[5]

---

(1) انظر: البحر المحيط في التفسير (221/10).
(2) محاسن التأويل (287/9).
(3) انظر: التحرير والتنوير (18/29)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (10/15).
(4) التحرير والتنوير (18/29).
(5) نظم الدرر (288/20).

ومنها: الإشارة: "إلى أن المخلوقات إنما خُلقت جميعها بيد الرحمة، التي مستها جميعًا، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]"[1].

فهذه بعض الإشارات في لطائف ورود اسم الرحمن في هذه الآية، ومنها: -كما تقدم مسبقاً- بالإضافة إلى أن هذا الخلق خُلق برحمة الله تعالى-ولذلك خلى من التفاوت- فإنه أيضًا قائم برحمة الله تعالى، ولولا ذلك لأصابه الزوال والهلاك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل:61]، وقد ضرب الله تعالى في هذه السورة عدة أمثلة لهذا المعنى، ومن ذلك:

إمساكه العذاب عن الكفار، وإمساك الطير في جو السماء، وبيَّن تعالى أن أحق خلقه بهذه الرحمة هم أهل طاعته، ومن ذلك إمساكه العذاب الأكبر عنهم في الآخرة، كما سيأتي بيانه في المواضع التالية، فكأنه تعالى بيَّن أولاً أنه خلق هذا الخلق برحمته، ثم دلَّل على ذلك، والله أعلم.

الموضع الثاني: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك:19]

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن مظهر آخر من مظاهر قدرته تعالى، وتصرفه في ملكه، ومنها: صورة الطير في السماء يقبض ويبسط أجنحته، فقال تعالى: (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافاتٍ ويقبضن)، "والقبض: ضد البسط، والمراد به هنا: ضد الصف المذكور قبله"[2]، وعطف بالفعل (ويقبضن) على الاسم (صافات)، ولم يعطف باسم قابضات؛ لأن الأصل في الطيران هو بسط الجناح، والقبض طارئ، وهذا جار على القاعدة في أن الاسم للدوام والثبوت، والفعل للتجدد والحدوث، فالحركة الدائمة في الطيران هي صف الجناح، والجديد عليه هو القبض.[3]

---

(1) التفسير القرآني للقرآن (1051/15).
(2) التحرير والتنوير (39/29).
(3) انظر: أضواء البيان (241/8-242).

وفي الآية "عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير، التي سخرها الله تعالى، وسخر لها الجو والهواء تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها".[1]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: هي مراعاة سياق الآيات قبلها، وقد جاءت هذه الآية بعد عدة آيات اشتملن جميعًا على معنى إمساك الله تعالى لخلقه عن الهلاك أو الزوال، وفي ذلك بيان لرحمته تعالى بخلقه، وقيوميته تعالى له، وعلمه تعالى به، وتصرفه تعالى التام فيه.

وهذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك:16–18]، ثم قال تعالى بعدها: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك:19]

ففي هذه الآيات تخويف من الله تعالى للكافرين به، بخسف الأرض بهم تضطرب حتى تتلفهم وتهلكهم[2]، أو إرسال الحاصب وهو الحجارة، وقيل: سحاب فيه حجارة، وقيل: ريح فيها حجارة من السماء يرسلها عليهم، كما أرسلها على من سبقهم من الكفرة[3]، وأن الله تعالى أمسك ذلك عنهم، وذلك مع قدرته على إيقاعه بهم، كما يمسك الطائر في السماء؛ رحمةً منه سبحانه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذه أيضا من لطفه ورحمته بخلقه، أنه قادر على تعذيبهم؛ بسبب كفر بعضهم به، وعبادتهم معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجل ولا يعجل".[4]

وقد تنبه الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا المعنى المشترك في الآيات، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولعل مما يستدعي الانتباه توجيه النظر إلى الطير في الهواء (صافاتٍ ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن)، بعد

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص877).
(2) انظر: المرجع السابق(ص877).
(3) انظر: فتح البيان (241/14)، فتح القدير (313/5).
(4) تفسير القرآن العظيم (200/8).

التخويف بخسف الأرض، بأن الأرض معلقة في الهواء، كتعلق الطير المشاهد إليكم، ما يمسكها إلا الله تعالى، وإيقاع الخسف بها، كإسقاط الطير من الهواء؛ لأن الجميع ما يمسكه إلا الله تعالى، وهو القادر على الخسف بها، وعلى إسقاط الطير".[1]

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي هذا إيماء إلى أن الذي أمسك الطير عن الهوى المفضي إلى الهلاك، هو الذي أهلك الأمم الذين من قبل هؤلاء، فلو لم يشركوا به، ولو استعصموا بطاعته، لأنجاهم من الهلاك كما أنجى الطير من الهوى".[2]

وفي هذه الآيات الكريمات تتجلى رحمته تعالى بخلقه، وذلك في إمساكه ﷻ له عن الهلاك والزوال، فلولا رحمته سبحانه لذهبت السماوات والأرض، فبقاؤهما هو برحمة الله تعالى، وبهذا البيان لسياق الآيات، تتضح جليًّا لطيفة اسم الرحمن في قوله تعالى: (ما يمسكهن إلا الرحمن).

وأما قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل:79]، فنلاحظ فيه: أن سياق الآيات قبله يدور حول موضوع إفراد الله تعالى بالعبادة، وضرب الأمثال[3]؛ لتقرير هذه الحقيقة، ولذلك جاءت جميع الآيات قبله متضمنة لفظ الجلالة (الله) أي: المعبود[4]، والتي ختمت بذكر قيام الساعة كلمح البصر، وذكر خلق الإنسان في أطواره المختلفة، ثم الطير المسخر بين السماء والأرض، وكيف جعله تعالى يطير بجناحين في جو السماء، ما يمسكه إلا هو بكامل قدرته.[5] وهذه الآيات هي: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًاۖ هَلْ

(1) أضواء البيان (242/8).
(2) التحرير والتنوير (39/29).
(3) ذكر ابن القيم الجوزية شرح الأمثال المضروبة في الآية. الأمثال في القرآن، انظر: ابن القيم الجوزية (21-23)
(4) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية (ص23).
(5) انظر: تفسير المراغي (117/14).

يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. [النحل:73-79]

الموضع الثالث: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ [الملك:20].

وجه الدلالة: أن الله ﷻ بعد أن خوَّف الكافرين به بالخسف أو بإرسال الحاصب من السماء، وذكَّرهم بمصائر من كذَّب قبلهم [(1)]، عاد لهم ليسألهم بقصد: التقريع والتوبيخ [(2)]: هل لكم من يدفع عنكم ذلك العذاب، إن وقع بكم؟ ومن الذي ينصركم من دوني، ثم قال تعالى: (إن الكافرون إلا في غرور)، وهي جملة معترضة مقررة لما قبلها، ناعية على الكفار ما هم فيه من الضلال، والمعنى: ما الكافرون إلا في غرور عظيم من جهة الشيطان يغرهم به [(3)]، أو من جهة اعتمادهم على الأصنام، وظنهم أنها تنفع أو تضر [(4)]، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنبياء:43]، أي: أن الله تعالى ينكر عليهم ما يعتقدون، من أن آلهتهم تمنعهم من العذاب، دون أن يمنعهم الله تعالى.[(5)]

---

(1) انظر: في ظلال القرآن (3643/6).
(2) انظر: فتح القدير (313/5-314).
(3) انظر: المرجع السابق (314/5).
(4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (514/23).
(5) انظر: زهرة التفاسير (4870/9).

"والغرور: ظن النفس وقوع أمر نافع لها بمخائل تتوهمها، وهو بخلاف ذلك أو هو غير واقع"[1]، والالتفات في الآية من الخطاب إلى الغيبة؛ "للإيذان: باقتضاء حالهم الإعراض عنهم، والإظهار في موضع الإضمار؛ لذمهم بالكفر، وتعليل غرورهم به".[2]

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: هي مراعاة سياق الآيات قبلها، والذي يمضي في سياق بيان رحمة الله تعالى بخلقه في إمساكه تعالى الهلاك والزوال عنهم، وذلك رغم استحقاقهم بالعموم للمؤاخذة، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [النحل:61].

وأولى الخلق بهذه المؤاخذة هم أهل الكفر والزيغ، وذلك لما يبدر منهم من العصيان والمحاربة لأوامر الله تعالى ودينه، فيكون معنى الرحمة في حقهم أظهر من هذه الحيثية، وكأن الله تعالى يقول للكافرين به: من هذا الذي ينصركم، ويدفع عنكم الهلاك والزوال سوى سعة رحمتي، أو من هذا الذي يدفع عنكم العذاب–مع استحقاقكم له–غيري أنا الرحمن؟

وقد ذكر لنا البقاعي رحمه الله في إظهار اسم الرحمن هنا، فقال رحمه الله: "وأظهر ولم يضمر؛ بعثًا على استحضار ما له من شمول الرحمة، وتلويحًا إلى التهديد بأنه لو قطعها عن أحد ممن أوجده، عمَّه الغضب كله".[3]

ولطيفة أخرى: أن هذه الآية جاءت في حق الكفار، الذين تمردوا على طاعة الله تعالى وعبادته، فلو جيء بلفظ الجلالة فيها، لأشعر أن الله تعالى نصرهم بعبادتهم له، وليس الأمر كذلك، بل هم مستحقون للعقاب، وإنما كان نصرهم رحمةً من الله تعالى، الذي وسعت كل شيء رحمته.

وأما قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد:7]، فجاء بلفظ الجلالة الله تعالى وذلك – والله أعلم– لأن الخطاب موجه للمؤمنين، ومعناه: أن الله الذي قمتم له

(1) التحرير والتنوير (43/29).
(2) فتح البيان (243/14).
(3) نظم الدرر (255/20).

بحق العبودية سينصركم، ومثله قوله تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:40] أي: أن النبي ﷺ قام بالعبودية لربه فسينصره الله تعالى، ولو لم ينصره منكم أحد، ومثله قوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:160] أي الله الذي قمتم بحق عبوديته عليكم، وتوكلتم عليه، إن نصركم فلن يغلبكم أحد.

الموضع الرابع: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الملك:29].

وجه الدلالة: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يرد على الكافرين، ويقول لهم: (قل هو الرحمن آمنا به) وقد جاء هذا الأمر في الآية بمناسبة قوله تعالى في الآية التي تسبقها: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الملك:28][1]

وهو أمر للنبي ﷺ أن يقول للمشركين ذلك؛ لأنهم –من بذاءتهم–كانوا يتمنون هلاك النبي ﷺ، وكانوا يدعون عليه ﷺ بذلك، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطُّور:30][2]، أي: يقولون: "ننتظر به نوائب الزمان، فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء"[3]، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يرد عليهم ويقول لهم: (قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) ، أي: قل لهم يا محمد: "إن أماتني الله تعالى ومن معي من المؤمنين، أو رحمنا بتأجيل آجالنا وانتصارنا، فمن يجيركم من عذاب أليم قضى الله تعالى وقوعه بكم؛ لكفركم؟"[4]، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا

(1) انظر: التحرير والتنوير (54/29).
(2) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (583/4)، الجامع لأحكام القرآن (221/18)، اللباب في علوم الكتاب (258/19)، التحرير والتنوير (51/29).
(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (413/4).
(4) محاسن التأويل (295/9).

عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴾ [الزُّخرف:41-42] ، أي: "فإما نذهبن بك بأن نمتك قبل أن تعذبهم (فإنا منهم منتقمون) بالقتل بعدك (أو نرينك) في حياتك (الذي وعدناهم) من العذاب (فإنا عليهم مقتدرون) قادرون متى نشاء عذبناهم".[(1)]

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله تعالى إلا بالتوبة والإنابة، والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله تعالى أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم".[(2)]

وبعد أن ردَّ الله تعالى على المشركين في دعائهم على النبي ﷺ ومن معه بالهلاك: بأن هذا التمني لا يفيدهم في دفع العذاب عنهم شيئًا–وكان هذا ردًّا مبدئيًّا–أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخبرهم تتميمًا للرد، وتكميلاً للجواب، بأن الأمر أيضًا ليس كما زعمتم، فإنه تعالى لن يهلكنا كما تتمنون؛ لأنه تعالى الرحمن، وأحق خلقه برحمته هم المؤمنون به المتوكلون عليه.

فقال تعالى: (قل هو الرحمن)، أي: أن الله تعالى هو الذي وصفه الرحمن، فهو يرحمنا، ونحن آمنا به وتوكلنا عليه وحده، دون غيره من الأصنام.[(3)]

ثم قال تعالى: (فستعلمون من هو في ضلال مبين) أي: "فسيستبين لكم من الضال منا، ومن المهتدي، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة؟"[(4)] وهو أسلوب تهديدي "من شأنه أن يخلخل الإصرار على الجحود، ويدعوهم إلى مراجعة موقفهم؛ مخافةً أن يكونوا هم الضالون، فيتعرضوا للعذاب الذي سبق ذكره في الآية: (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)، وفي الوقت ذاته لا يجابههم بأنهم ضالون فعلاً، حتى لا تأخذهم العزة بالإثم. وهو أسلوب في الدعوة يناسب بعض حالات النفوس".[(5)]

---

(1) اللباب في علوم الكتاب (268/17).
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم (202/8).
(3) انظر: التحرير والتنوير (54/29)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (30/15).
(4) تفسير المراغي (25/29)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (203/8).
(5) في ظلال القرآن (3648/6).

ولطيفة اسم الرحمن في الآية: هي مراعاة سياق الآيات قبلها، والذي يدور حول معنى من معاني رحمة الله تعالى بخلقه، وهو إمساكه تعالى الهلاك والزوال عنهم-كما تقدم مسبقًا-وأحق خلقه بهذه الرحمة هم أهل طاعته، وذلك أنه تعالى لمَّا ذكر في هذه السورة رحمته تعالى بخلقه -حتى بأهل معصيته منهم-وذلك بإمساكه الهلاك عنهم، ناسب أن ينبه على أن أحق الناس بهذه الرحمة، ودفع الأذى عنهم هم أهل طاعته، وأيضًا بيَّن أن أهل الكفر والنفاق، وإن أمسك الله تعالى عنهم برحمته العذاب في الدنيا، فإنهم معذبون في الآخرة.

قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وذِكر صفة الرحمن هنا يشير إلى رحمته العميقة الكبيرة برسوله ﷺ والمؤمنين معه، فهو لن يهلكهم كما يتمنى الكافرون، أو كما يدَّعون، ويوجه النبي إلى إبراز الصلة التي تربطهم بربهم الرحمن، صلة الإيمان (آمنا به)، وصلة التوكل (وعليه توكلنا) عليه وحده، والتعبير يشير بالقربى بينهم وبين الرحمن، والله ﷻ هو الذي يتفضل على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين، فيأذن له بإعلان هذه القربى، ويوجهه إلى هذا الإعلان، وكأنما يقول له: لا تخف مما يقوله الكفار، فأنت ومن معك موصولون بي، منتسبون إليّ، وأنت مأذون مني في أن تظهر هذه الكرامة وهذا المقام، فقل لهم... وهذا ود من الله تعالى وتكريم".[1]

ولعل كثرة ورود معنى إمساك الله العذاب عن خلقه في هذه السورة، كان سببًا في تسميتها بالمانعة، كما جاء عن الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **(مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾** [الملك:1] **كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، كُنَّا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُسَمِّيهَا الْمَانِعَةَ، وَإِنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةٌ مَنْ قَرَأَهَا فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ)**[2] وذلك من رحمة الله بالمؤمنين، والله أعلم.

---

(1) في ظلال القرآن (3647/6-3648).

(2) سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك، ح10479، (262/9). وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، ح (6216)، (212/6)، وقال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ورجاله ثقات". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (127/7).



المبحث الثاني

لطائف اسم الرحمن في القصص القرآني

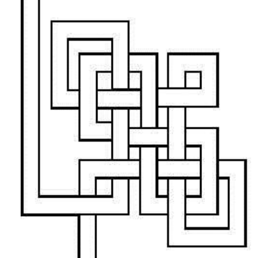
ويشتمل على أربعة مطالب:

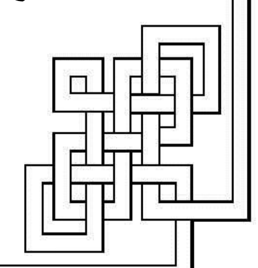
المطلب الأول: قصة مريم عليها السلام في سورة مريم.

المطلب الثاني: قصة إبراهيم عليه السلام في سورة مريم.

المطلب الثالث: قصة عبادة بني إسرائيل للعجل.

المطلب الرابع: قصة أصحاب القرية.





المبحث الثاني

لطائف اسم الرحمن في القصص القرآني

القصة لغة: من القص وهو "تتبع الأثر، يُقال: قصصت أثره، والقصص: الأثر، قال تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:64]"[1]، "وكلمة قصة أو قصص تدل على دقة التتبع؛ لأنها من قص الأثر أي: تتبّعه، وكان لهذه المهمة رجال معروفون بقصّاصي الأثر، وهم الذين يتتبعون الواقع".[2]

والقصة اصطلاحًا: هي"... حكاية نثرية طويلة تُستمد من الخيال أو الواقع، أو منهما معا، وتُبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي".[3]

والقصة القرآنية ليست تصويرًا فنيًّا، بل هي صورة حقيقية، نقلها رب العزة ﷻ من أرض الواقع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:62].

"وليس مهمة القصة القرآنية تسجيل الحدث التاريخي من زاوية تدوينيه بحتة، وإنما يكون التركيز على مواطن العظة والعبرة، وهي تتحقق من غير ذكر للزمان والمكان في أغلب الأحيان، وحتى الأسماء أحيانًا"[4]، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:111].

وبعض القصص يُقصد بها إنذار الكافرين بذكر ما حل بأسلافهم الأولين من العقاب الأليم في الدنيا، وأن عاقبة الكفر سيئة لا محالة، والبعض الآخر يُقصد بها بشارة المسلمين بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وتسليتهم وتثبيتهم بذكر قصص أسلافهم، وعناية الله بهم[5]، كما يُقصد بها أيضًا تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ؛ لأنه خلال فترة رسالته التي استمرت ثلاثةً وعشرين عامًا

---

(1) المفردات في غريب القرآن (ص671)، وانظر: معجم مقاييس اللغة (11/5).
(2) تفسير الشعراوي (8852/14).
(3) المعجم الوسيط (740/2).
(4) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (ص303).
(5) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع (233/1).

تعرَّض لأحداث جِسام، وكل لحظة كانت تحتاج لتثبيت، فيُنزل الحق سبحانه ما يُثبِّت به فؤاد رسوله ﷺ[1]، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:120].

فالقصص بحر زاخر بالدروس والعبر، يستحق من أولي الألباب التأمل والتدبر، وذلك لأنها تنزيل من عليم حكيم. ويشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: قصة مريم في سورة مريم

وقد ذكرها الله ﷻ في سورة مريم–التي تقدم الحديث عنها–وهي قصة مريم عليها السلام بنت عمران البتول عليها السلام وولادتها لعيسى عليه السلام على تلك الصورة العجيبة، التي جاءت على غير المألوف في عالم البشر، والتي جعلها الله تعالى وابنها آية للعالمين، فهي من أعجب القصص التي ذكرها القرآن الكريم.

وهي مناسبة لما قبلها، فإنه ﷻ بعد أن ذكر في قصة زكريا، أنه أوجد منه ولدًا في حال كبره وعقم زوجه–وكان ذلك مما يتعجب منه–فأردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب في قصة مريم عليها السلام، وهو أنه أنجب منها ولدًا من غير أب.[2]

وقد ورد اسم الرحمن في هذه القصة في موضعين من القرآن الكريم:

الموضع الأول: وهو المشهد الأول من القصة، ويتحدث عن مريم بنت عمران عليها السلام الطاهرة العفيفة، التي نشأت في بيت كريم ونسب شريف، ونشأت عفيفة طاهرة، وشبت وترعرعت تحت عناية الله ورعايته، ولما بلغت مبلغ النساء، وقد انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا، وجلست وحدها في خلوة للعبادة، وكان ذلك في مكان جهة الشرق (ومن هنا اتخذ المسيحيون قبلتهم ناحية الشرق)، وبينما هي في خلوتها، إذ بجبريل روح القدس عليه السلام يتمثل لها بشرًا سويا، أي: تام الخِلقة، فلما

(1) انظر: تفسير الشعراوي (7095/12).

(2) انظر: البحر المحيط في التفسير (247/7)، تفسير المراغي (40/16).

اخترق عليها حجابها، ظنت به سوءً أو أنه يريد بها شرًّا[1]، فاستعاذت بالرحمن أن يقيها شره، وهذا دليل على عفتها. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:18].

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ أنه لمَّا بدى لمريم عليها السلام الملك في صورة بشر[2]، وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها على نفسها، فقالت: (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي: إن كنت تخاف الله تعالى، تذكيرًا له بالله تعالى[3]، وهذا المعنى يمثله وجه من الوجوه التي ذكرها الإمام الرازي رحمه الله، وهو أرجحها، قال رحمه الله: "إن كان يُرجى منك أن تتقي الله تعالى، ويحصل ذلك بالاستعاذة به، فإني عائذة به منك، وهذا في نهاية الحسن؛ لأنها علمت أنه لا تؤثر الاستعاذة إلا في التقي، وهو كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:278]"[4].

"ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله تعالى من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة؛ ابتلاءً لها، وسبرًا لعفتها"[5].

والمعنى: أنها أخبرته بأنها جعلت الله تعالى معاذًا لها منه، أي: جعلت جانب الله تعالى ملجأً لها مما همَّ به، وهذه موعظة له، وقولها: (إن كنت تقيا) تذكير له بالموعظة، بأن عليه أن يتقي ربه، ومجيء هذا التذكير بصيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه قُصد؛ لتهييج خشيته، وهذا أبلغ وعظ وتذكير، وحث على العمل بتقواه[6]، وهو كقول القائل: "إن كنت مؤمنًا فلا تظلمني"، أي:

(1) انظر: التفسير الواضح (449/2-450).

(2) "مُثِّل لها في صورة الإنسان؛ لتستأنس بكلامه، ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت، ولم تقدر على استماع كلامه". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (9/3)، وانظر: تفسير المراغي (41/16).

(3) انظر: تفسير الفرآن العظيم (195/5)، تفسير المراغي (42/16).

(4) مفاتيح الغيب (521/21)، وانظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (477/4).

(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (9/3)، وانظر: إرشاد العقل السليم (260/5).

(6) انظر: التحرير والتنوير (81/16).

ينبغي أن يكون إيمانك مانعًا من الظلم، وكذلك هنا معناه: وينبغي أن تكون تقواك مانعةً لك من الفجور.[1]

"وبهذا القول الذي حكاه القرآن الكريم عن مريم عليها السلام تكون قد جمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويف من تخاطبه وترهيبه من عذاب الله تعالى، إن سولت له نفسه إرادتها بسوء، كما أن قولها هذا يدل على أنها قد بلغت أسمى درجات العفة والطهر، والبعد عن الريبة، فهي تقول له هذا القول وهي تراه بشرًا سويّا، وفي مكان بمعزل عن الناس"[2]، "وهي في تلك الحالة الخالية والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه. وهذه العفة -خصوصًا مع اجتماع الدواعي وعدم المانع -من أفضل الأعمال".[3]

والموضع الثاني: ذكر مشهدًا آخر من القصة، وجانبًا من إكرامه سبحانه وتعالى لمريم عليها السلام في تلك الساعات العصيبة من حياتها، وذلك أنه "بعدما نفخ جبريل عليه السلام في مريم عليها السلام، حملت بعيسى عليه السلام، وابتعدت عن أهلها مكانًا قَصيّا، وهناك وضعت وليدها تحت نخلة، وأن الله تعالى أنطقه وهو في الدقائق الأولى من عمره، وأرشدها إلى التصرف المناسب"[4]، والذي أخبر عنه قوله تعالى: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم:26].

(1) انظر: معالم التنزيل (223/5)، لباب التأويل في معاني التنزيل (184/3).
(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (24/9).
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (491/1).
(4) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د صلاح عبد الفتاح الخالدي (86/1).

وجه الدلالة: أخبر الله ﷻ عن كلام عيسى عليه السلام[1] لأمه في قوله تعالى: (فكلي واشربي)، والمعنى: "كلي من الرطب، واشربي من النهر"[2]، ثم قال: (وقري عينا)، "وقرة العين تشمل هناء العيش[3]، وتشمل الأنس بالطفل المولود، وفي كونه قرة عين كناية عن ضمان سلامته، ونباهة شأنه"[4]، ونظير ذلك ما جاء على لسان امرأة فرعون وهي تخاطب زوجها في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص:9]، والمعنى: "يكون نعمة ومتعة لنا، نفرح به ونقنع، فلا ننظر إلى غيره"[5].

وإنما تقر عينها في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة؛ لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به، فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر، وإنبات الرطب، وكلام المولود، تطمئن إليه نفسها، وتزول به عنها الريبة؛ لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة، التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل، وكانت نسيا منسيا، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم:23] لم يكن قرة لعينها[6]، وأمر الله تعالى لها بقرار العين هو أمر باطمئنان

(1) ويُقال: أن الذي ناداها وقال لها ذلك هو جبريل عليه السلام. انظر: تفسير الماوردي (364/3)، تفسير السمعاني (286/3)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (13/4-14). وعلى اعتبار أنه عيسى عليه السلام، فتكون هذه هي المرة الأولى، وهي بعد ميلاده مباشرة -كما تقدم-وأما المرة الثانية فهي: بعدما حملته أمه وذهبت به إلى قومها، وتعجبوا من الأمر وسألوها عن تفسيره، فلم تكلمهم وأشارت إليه وهو على حضنها، فكلمهم بلسان فصيح، كما قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم:29-30] انظر: أيسر التفاسير (304/3-305).

(2) تفسير السمعاني (287/3)، وانظر: أيسر التفاسير (302/3). وقدم الطعام على الشراب؛ لأن احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء؛ لكثرة ما سال من الدماء. انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (480/4)، فتح القدير (389/3)، فتح البيان (153/8).

(3) وهناء العيش هو حالة السرور والسكينة، ويعبر عنه المعنى اللُّغوي لقرة عين وهو أنها "من القرار، والمعنى: أعطاه الله تعالى ما تسكن به عينه، فلا يطمح إلى غيره". المفردات في غريب القرآن (ص663).

(4) التحرير والتنوير (89/16).

(5) تفسير الشعراوي (10889/17).

(6) انظر: أضواء البيان (397/3).

النفس، وإبعاد الهواجس المخيفة، وألا تتوقع سوءًا؛ لأن الله تعالى معها، وقد قامت الخوارق الدالة على أنه ﷻ معها، ومن كان الله تعالى معه، فإنه يجب أن يكون مطمئنًّا، قرير العين والنفس.[1]

قال الشعراوي ﷫: "بعد أن وفر لها الحق سبحانه الطعام والشراب الذي هو قوام المادة، وبه يتم استبقاء الحياة، لكن بعد الطعام والشراب يبقى لديها حزن عميق، وألم وحيرة مما هي فيه، لذلك يعطيها ربها ﷻ بعد القوت الذي هو قوام المادة، يعطيها السكينة والطمأنينة، ويخفف عنها ألم النفس وحيرة الفؤاد".[2]

ثم أمرها تعالى بالصوم، فقال تعالى: (فإما ترينَّ من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صوما) وهو اختصار، تقديره: "فإما ترينَّ من البشر أحدًا، فسألك عن ولدك، أو لامك عليه، فقولي: (إني نذرت للرحمن صوما). يُقال: إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارةً، ويُقال: أمرها أن تقوله نطقًا، ثم تمسك عن الكلام بعد هذا"[3]، وظاهر الآية: أنه أُبيح لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية، وهو قول الجمهور.[4]

وإن الصوم هنا بمعنى: الصمت[5] ويدل عليه قوله تعالى: (فلن أكلم اليوم إنسيا)، فتبيَّن أن صومها هو إمساكها عن الكلام. قال ابن القيم ﷫: "وإنما أمرت بذلك لئلا تسأل عن ولدها، فقولها: (فلن أكلم اليوم إنسيا) به حصل إخبار بأنها لا تكلم الإنس"[6]، "ولا يحل لأحد أن ينذر ترك الكلام يومًا، وإنما جعل الله تعالى ذلك آية لمريم ﵍ خاصة".[7]

---

(1) انظر: زهرة التفاسير (4630/9).
(2) تفسير الشعراوي (9069/15).
(3) الكشف والبيان (212/6)، وانظر: مفاتيح الغيب (529/21)، تفسير الماتريدي (7/231-232).
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن (98/11)، الجواهر الحسان (15/4).
(5) الصوم فيه قولان: أحدهما: بمعنى: صمتًا، وثانيهما: صومًا عن الطعام، والشراب، والكلام. وقيل: كان المجتهد من بني إسرائيل يصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام. انظر: زاد المسير في علم التفسير (128/3).
(6) بدائع الفوائد (218/4).
(7) الهداية إلى بلوغ النهاية (4527/7).

وقد أمرها الله تعالى بأن تنذر الصوم، وذلك لأمرين: الأول: أن كلام عيسى عليه السلام أقوى لبراءتها، الثاني: كراهة مجادلة السفهاء، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب.[1]

والمعنى: أن كلامها يقبل الرد والمجادلة، أما المولود فكلامه لا يقبل الدفع، فنزهت نفسها عن مجادلة السفهاء، فلا تكلم إلا الملائكة أو الخالق بالتسبيح والتقديس، وسائر أنواع الذكر.[2]

"فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعاوى التي لو أقيم عدة من الشهود لم تُصدَّق بذلك، فجُعلت بيِّنة هذا الخارق للعادة أمرًا من جنسه، وهو كلام عيسى عليه السلام في حال صغره "[3]، "وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى عليه السلام، يتكلم ببراءة أمه وهو في المهد".[4]

وقد أثنى الله تعالى عليها، وجعلها وابنها آية للعالمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:91]، ومعنى أنها وابنها آية للعالمين: "حيث حملت به ووضعته من دون مسيس أحد، وحيث تكلم في المهد وبرأها مما ظن بها المتهِمون، وأخبر عن نفسه في تلك الحالة، وأجرى الله تعالى على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو معلوم[5]، فكانت وابنها آية للعالمين، يتحدث بها جيلاً بعد جيل، ويعتبر بها المعتبرون".[6]

---

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (14/3)، مفاتيح الغيب (529/21)، لباب التأويل في معاني التنزيل (186/3)، اللباب في علوم الكتاب (51/13-52)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (32/9).

(2) انظر: نظم الدرر (191/12)، تفسير المراغي (45/16).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (492/1).

(4) الوجيز في تفسير القرآن العزيز (679/1).

(5) من الخوارق والمعجزات التي امتاز بها عيسى عليه السلام: أن الله تعالى جعله يبرئ الأكمه والأبرص، ويحي الموتى بإذن الله تعالى، وأنه كلم الناس في المهد صبيًّا. انظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (ص206).

(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (530/1).

كما أثنى رسوله ﷺ عليها بأن فضّلها على نساء العالمين، كما في قوله ﷺ: **(كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا: آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)**[1]، ووجه الدلالة من الحديث: أنه حصر الكمال لمريم بنت عمران عليها السلام، وآسية زوجة فرعون رضي الله عنها، وقيل: استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان؛ لأن أكمل الناس الأنبياء، ثم الأولياء، والصديقون، والشهداء، وقيل: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما؛ لأنه يُطلق؛ لتمام الشيء وتناهيه، فالمراد بلوغهما إليه في جميع الفضائل التي للنساء.[2]

وترى الباحثة أن القول الثاني هو الأولى، وذلك لما يلي:

1- أن النبوة خاصة بالرجال؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم** ﴾ [يوسف:109] أي: "وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً، لا ملائكة ولا إناثًا.[3]

2- ما تقتضيه طبيعة المرأة الضعيفة، من عدم القدرة على تحمل تكاليف النبوة؛ لأنها تحتاج لمجاهدة وصبر، كما في قوله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ **فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ** ﴾ [الأحقاف:35] أي: "فاصبر على أذى قومك. وأولوا العزم من الرسل: أصحاب الثبات والحزم، والجد والصبر، فإنك من جملتهم".[4]

3- ما ثبت من وصفها بالصدِّيقة؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ** ﴾ [المائدة:75] أي: "كانت من الصدِّيقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء، والصدِّيقية: هي العلم النافع، المثمر

(1) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ح3769، (29/5).
(2) انظر: تحفة الأحوذي (459/5)، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ص166).
(3) التفسير الواضح (210/2).
(4) التفسير المنير (69/26).

لليقين والعمل الصالح، وهذا دليل على أن مريم عليها السلام لم تكن نبيه، بل أعلى أحوالها الصدِّيقية، وكفى بذلك فضلاً وشرفًا".[1]

ولطيفة اسم الرحمن في القصة: أن الإنسان التقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، ويرجع عن كل سوء يخطر بباله[2]، فأرادت منه أن يعمل بتقواه. كما أرادت من الرحمن أن يرحم ضعفها وعجزها عن دفعه.[3]

ولطيفة أخرى: أن ذلك الصوم من رحمة الله تعالى بها وتقريبه إليها، فهو صوم معرِض عن مخاطبة العباد، وداعي إلى التقرب إلى رب العباد، وإلى رحمته الواسعة، كما أن نطق عيسى عليه السلام؛ ليُظهر براءة أمه دليل على قدرته تعالى ورحمته العظيمة.

المطلب الثاني: قصة إبراهيم في سورة مريم

وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة مريم، بعد قصة مريم عليها السلام، وذكر فيها جدال إبراهيم عليه السلام مع أبيه في دعوته إلى عبادة الله تعالى، وما يُعبر عنه هذا الجدال من الأسلوب الحكيم في التعامل.

وهي مناسبة لما قبلها: فإنه تعالى لمّا ذكر قصة مريم عليها السلام وابنها عيسى عليه السلام، واختلاف الأحزاب فيهما[4]، فأتبع ذلك بذكر قصة إبراهيم مع أبيه؛ تذكيرًا للعرب بما كان عليه إبراهيم عليه السلام من توحيد الله تعالى، وتبيينًا أنهم سالكون غير طريقه، وفيه تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، وأن ذلك متلقى بالوحي.[5]

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص239).
(2) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (24/9).
(3) انظر: فتح البيان (148/8)، مراح لبيد (5/2).
(4) قال تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ﴾ [مريم: 37] أي: اختلف أهل الكتاب في عيسى عليه السلام، فمنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، وغير ذلك من الأقوال، وقال المؤمنون: هو عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهو القول الحق. انظر: البداية والنهاية (83/2)، أضواء البيان (420/3).
(5) انظر: البحر المحيط (267/7).

وخلاصة القصة: أنها تعرض للمحاورة والمجادلة التي دارت بين ابراهيم عليه السلام وبين أبيه آزر، وهو يدعوه لترك عبادة الأوثان، ويبين له بطلان ما هو عليه من عبادتها، وكان هذا الخطاب بألطف عبارة، وأحسن إشارة، ولكنه لم يلق القبول من أبيه، فلم يقبل نصيحة ابنه إليه [1]، وقد عوَّضه الله تعالى عن أبيه وأهله المشركين ذرية صالحة تتسل أمة كبيرة، فيها الأنبياء، وفيها الصالحون، وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، ينحرفون عن الصراط الذي سنه لهم أبوهم إبراهيم عليه السلام، وهم المشركون. [2]

ويظهر هذا الأدب والتلطف في الخطاب، حيث تصدر كل دعوة من إبراهيم عليه السلام إلى أبيه بقوله: (يا أبت)، والذي تكرر أربع مرات في القصة، وقد ورد اسم الرحمن فيها مرتين مصدورا بهذا النداء، وذلك في جدال إبراهيم عليه السلام العقلي مع أبيه، الذي كان يعبد الأصنام، وكانت عبادتها عبادة للشيطان؛ لأنها تنشأ عن وسوسة الشيطان وإغوائه. كما في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا** ﴾ [مريم:44-45].

وجه الدلالة: أخبر الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام نهى أباه عن عبادة الشيطان ، فقال: (يا أبت لا تعبد الشيطان)، أي: "لا تطع الشيطان في عبادة هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى عبادتها، والموسوس بها" [3]، فالذي يعبدها كأنما يعبد الشيطان [4]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ **أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ** ﴾ [يس:60].

---

(1) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (162/1-163).
(2) انظر: في ظلال القرآن (2311/4).
(3) تفسير المراغي (56/16).
(4) انظر: في ظلال القرآن (2312/4).

"ثم أخبر تعالى عن عصيان الشيطان، فقال: (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أي: "حين ترك أمره بالسجود؛ عنادًا واستكبارًا، لا نسيانًا وخطأً". [1]

"وذكر وصف عَصيّا الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان، مع زيادة فعل (كان) [2]؛ للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه، وأنه متمكن منه " [3]، والمعنى: "كثير العصيان، لا يهدى الناس إلى طاعة الله تعالى، وإنما يهديهم إلى مخالفته ومعصيته " [4]، "ومن أطاع من هو عاصٍ لله سبحانه، فهو عاصٍ لله تعالى، والعاصي حقيق بأن تُسلب عنه النعم، وتحل به النقم". [5]

ثم ختم الكلام بتخويفه بسوء عاقبته، فقال: (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن)، قيل: الخوف هنا بمعنى العلم [6]، والأكثرون على أنه محمول على ظاهره، فإن إبراهيم عليه السلام لم يكن عالمًا بأن أباه سيموت على الكفر، إذ لو كان جازمًا بذلك لم يشتغل بنصحه، ومن كان كذلك كان خائفًا لا قاطعًا. [7]

والمعنى: "إني أخاف أن تموت على كفرك فيمسك العذاب، (فتكون للشيطان وليا) أي: قرينًا في النار" [8]، "فلا يكون لك مولى، ولا ناصرًا، ولا مغيثًا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (491/4)، وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (19/3-20)، مفاتيح الغيب (544/21).

(2) (كان): بمعنى الحال، وقيل: بمعنى: صار. الكشف والبيان (217/6)، وانظر: معالم التنزيل (234/5). والقول: إنه بمعنى: صار غير مناسب؛ لأن الشيطان لا يصير إلى العصيان بعد الطاعة، بل العصيان حاله الدائم عليه، وهذا يثبت أن كان بمعنى: الحال

(3) التحرير والتنوير (117/16).

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (42/9).

(5) فتح القدير (396/3)، فتح البيان (164/8)، وانظر تفسير المراغي (57/16).

(6) قال الطبري رحمه الله: "والخوف في هذا الموضع بمعنى: العلم، كما الخشية بمعنى: العلم في قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80]. جامع البيان في تأويل القرآن (204/18).

(7) انظر: مفاتيح الغيب (544/21)، لباب التأويل في علوم التنزيل (189/3)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (491/4) ، فتح البيان (165/8).

(8) الجامع لأحكام القرآن (111/11)، وانظر: لباب التأويل في علوم التنزيل (189/3).

الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك"[1]، كما قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [النحل:63]، أي: الشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر، (ولهم عذاب أليم) أي: في الآخرة.[2]

وقوله: (يمسك عذاب من الرحمن) يعكس لنا أسلوب إبراهيم عليه السلام الحليم الحكيم في التعامل مع أبيه. "وفي ذكر الخوف من العذاب، والمس له دون الإصابة به، وتنكير العذاب المفيد للتقليل أدب جم، وتلطف كريم ليس غريبًا على إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن".[3]

قال الشعراوي رحمه الله: "مازال خليل الله يتلطف في دعوة أبيه فيقول: (يمسك عذاب)، ولم يقل مثلاً: يصيبك، فهو لا يريد أن يصدمه بهذه الحقيقة، والمس: هو الالتصاق الخفيف، وكأنه يقول له: إن أمرك يهمني، وأخاف عليك مجرد هبو التراب أن ينالك، وهذا منتهى الشفقة عليه، والحرص على نجاته".[4]

وقد أشار أبو زهرة رحمه الله إلى ذلك، فقال: "عبَّر بالمس، وكأنه لا يريد التهويل على نفسه وعلى أبيه، بأنه سيصيبه العذاب لذلك الشرك، والشرك ظلم عظيم".[5]

كما يكشف عن هذا التلطف في الخطاب صدور كل دعوة من إبراهيم عليه السلام إلى أبيه بقوله: (يا أبت) –كما تقدم مسبقًا–قال الرازي رحمه الله: "إنه عليه السلام أورد هذا الكلام الحسن مقرونًا باللطف والرفق، فإن قوله في مقدمة كل كلام: (يا أبت) دليل على شدة الحب، والرغبة في صونه

---

(1) تفسير القرآن العظيم (208/5).

(2) انظر: صفوة التفاسير (122/2).

(3) التفسير الواضح (457/2). والمراد بالعذاب: عذاب الآخرة، وقيل: عذاب الدنيا، وأراد به الخذلان، أو شيئًا آخر مما أصاب الكفرة في الدنيا من أنواع البلاء. انظر: روح المعاني (416/8).

(4) تفسير الشعراوي (9100/15).

(5) زهرة التفاسير (4650/9).

عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب، وختم الكلام بقوله: (إني أخاف) وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه".[1]

"وهذا فوق أنه أدب يوجبه حق الأبوة، هو أدب تقتضيه النبوة، ويقضى به الأسلوب الذي تقوم عليه دعوتها في الناس، كما يقول ﷺ لنبيه الكريم: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:125]".[2]

وقد أثنى الله تعالى على إبراهيم عليه السلام، وخصه بالفضائل العالية، والمناقب الكاملة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل:120] ووجه الدلالة: قوله: (إن إبراهيم كان أمةً) أي: "إمامًا جامعًا لخصال الخير، هاديًا مهتديًا، (قانتا لله) أي: مديمًا لطاعة ربه مخلصًا له الدين، (حنيفا) مقبلاً على الله تعالى بالمحبة، والإنابة، والعبودية، معرضًا عمن سواه، (ولم يك من المشركين) في قوله، وعمله، وجميع أحواله؛ لأنه إمام الموحدين الحنفاء".[3]

ولطيفة اسم الرحمن في القصة: "أن عبادة الأصنام توجب غضب الله تعالى، فتُفضي إلى الحرمان من رحمته"[4]، وأن المعاصي–إن لم يتب عنها العبد–تمنعه من رحمة الله تعالى، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته.[5]

ولطيفة أخرى: أن حلول العذاب ممن شأنه أن يرحم إنما يكون؛ لفظاعة المعصية التي ارتكبها المذنب، إلى حد أن يحرمه الله تعالى من رحمته.[6]

---

(1) مفاتيح الغيب (545/21)، اللباب في علوم الكتاب (76/13)، وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (189/3).
(2) التفسير القرآني للقرآن (738/8).
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص451).
(4) التحرير والتنوير (117/16).
(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص494).
(6) انظر: التحرير والتنوير (118/16).

المطلب الثالث: قصة عبادة بني إسرائيل للعجل

وقد ذكرها الله تعالى في سورة طه (الآية:90)، وهي سورة مكية [1]، وهي قصة نبي الله هارون عليه السلام مع بني إسرائيل، عندما فتنهم السامري بعبادة العجل، وقد بلغ معهم هارون عليه السلام غاية جهده وطاقته في النصح والإرشاد؛ ليبيِّن لهم أن عبادتهم العجل كفر وضلال، وأن ربهم عز وجل هو الرحمن خالق كل شيء، المستحق للعبادة والطاعة، ولكنهم قابلوا هذا النصح الحكيم بالعصيان والكفر، والتصميم على ما هم فيه من الضلال.

وخلاصة القصة: أنه لمّا غاب موسى عليه السلام عن قومه، وذهب إلى مناجاة ربه على جبل الطور، وترك فيهم أخاه هارون النبي عليه السلام مسؤولاً، وحينها فتنهم السامري [2]، وأخذ ما معهم من حلي وذهب، وصهره وصنع منه عجلاً، ودعاهم إلى عبادته، على أنه إله لهم، فاستجابوا له.[3]

وقد نصحهم هارون عليه السلام بترك عبادة العجل، وأمرهم بعبادة الله تعالى. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾[طه:90]

وجه الدلالة: ذكر الله جل جلاله أن هارون عليه السلام أخبر عبدة العجل من قبل رجوع موسى عليه السلام بأن العجل فتنة وابتلاء لهم، فقال لهم مستعطفًا: (يا قوم إنما فتنتم به) وهو نداء فيه تمهيد لمقام النصيحة [4]، وهو "إشعار بالرباط الذي يربطهم به نسبًا، ويدنيهم إليه" [5]، والمعنى: "يا قوم إن

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (163/11)، تفسير القرآن العظيم (187/5).
(2) السامري: لقب، واسمه موسى بن ظفر، لم يكن من بني إسرائيل، ولكنه كان جارًا لهم، أصله من باجرما، وهي قرية بالعراق. انظر: دَرْجُ الدُّرر في تفسيرِ الآيِ والسور، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (293/2).
(3) انظر: القرآن ونقض مطاعن الرهبان (65/1).
(4) انظر: التحرير والتنوير (290/16).
(5) زهرة التفاسير (4774/9).

ضلالكم وكفركم إنما هو بسبب عبادتكم العجل"[1]، وما هذا العجل إلا ابتلاء لكم من ربكم تعالى؛ ليختبر رسوخكم على التوحيد[2]،وليعلم الذي صح إيمانه منكم، من الذي شك في دينه.[3]

ثم بيَّن لهم عليه السلام أن المستحق للعبادة هو ربهم الرحمن لا العجل، فقال: (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني) أي: "كونوا على ديني الذي هو الحق، (وأطيعوا أمري) في ترك عبادة العجل"[4]، وقيل: (فاتبعوني) "إلى الطور الذي واعدكم الله تعالى إليه".[5]

ولقد سلك هارون عليه السلام في هذا الوعظ أحسن الوجوه، فإنه بدأ بزجرهم عن عبادة العجل بقوله: (إنما فتنتم به)، ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى بقوله: (وإن ربكم الرحمن)، ثم معرفة النبوة، بقوله: (فاتبعوني)، ثم دعاهم إلى الشرائع بقوله: (وأطيعوا أمري). وهذا هو الترتيب الجيد؛ لأنه لا بد قبل كل شيء، من إماطة الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات، ثم معرفة الله تعالى وهي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب على أحسن الوجوه.[6]

"وهكذا وعظهم هارون عليه السلام على قدر استطاعته، وبيَّن لهم أن مسألة العجل هذه اختبار من الله تعالى، وكان تقديره في هذه القضية، ألا يدخل مع هؤلاء في معركة؛ لأن القوم كانوا جميعًا ثلاثمائة ألف، عبد العجل منهم اثنا عشر ألفًا، ولو جعلها هارون عليه السلام معركة، لأفنى كل هذا العدد، لذلك اكتفى بالوعظ"[7]، وأدخل نفسه في زمرة الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر؛ إشفاقًا لقومه، وامتثالاً لأمر أخيه[8]، وهذا شأن المؤمن، فإنه لا يتأخر عن تقديم النصح والعون

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (141/9).
(2) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (520/1).
(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (358/18)، تفسير المراغي (143/16).
(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (379/2)، وانظر: معالم التنزيل (290/5).
(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (59/4-60)، الجواهر الحسان (65/4).
(6) انظر: مفاتيح الغيب (92/22)، لباب التأويل في معاني التنزيل (211/3)، اللباب في علوم الكتاب (361/13).
(7) تفسير الشعراوي (9363/15-9364).
(8) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (566/4).

لغيره؛ امتثالاً لأمر الله تعالى، وإشفاقًا على خلقه، فإن الشفقة على خلق الله تعالى أصل عظيم في الدين، وقاعدة متينة، كما قال رسول الله ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)** [1]، وجه الدلالة من الحديث: أن فيه "تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم، والملاطفة، والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه، وضرب الامثال؛ لتقريب المعاني إلى الأفهام" [2]، ومن ذلك أنه "جعل المؤمنين كجسد واحد؛ لأن الإيمان يجمعهم كما يجمع الجسد الأعضاء" [3].

ولطيفة اسم الرحمن في القصة: أنه "كان ينبئهم بأنهم متى تابوا، قبِل الله توبتهم؛ لأنه هو الرحمن الرحيم، ومن رحمته أن خلصهم من آفات فرعون" [4].

ولطيفة أخرى: أنهم وقعوا في فتنة عمياء، وأن ربهم الرحمن، الذي لو لم يأخذهم برحمته، لمسخهم على هذه الفعلة قردة وخنازير [5].

المطلب الرابع: قصة أصحاب القرية

وقد ذكرها الله تعالى في سورة يس (الآية:13-29)، وهي سورة مكية [6].

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:13]، أي: أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يضرب لهؤلاء المكذبين برسالته مثلاً يعتبرون به، وذلك المثل: أصحاب القرية،

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح2586، (1999/4).
(2) شرح النووي (139/16-140).
(3) كشف المشكل من حديث الصحيحين (212/2).
(4) مفاتيح الغيب (92/22) ، وانظر: فتح البيان (268/8).
(5) انظر: التفسير القرآني للقرآن (819/8).
(6) انظر: مفاتيح الغيب (250/26)، الجامع لأحكام القرآن (1/15)، تفسير القرآن العظيم (498/6).

وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله عليهم السلام، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله.[1] فهو ضرب من المثل، وهو قصة عجيبة.

وخلاصة القصة: أنه كان أهل قرية من القرى كافرين بالله تعالى، فأرسل الله تعالى إليهم رجلين رسولين، فلمَّا دعوهم إلى الله تعالى كذبوهما، فعززهما الله تعالى برسول ثالث، وقام الرسل الثلاثة عليهم السلام بإقامة الحجة على أهل القرية، ولكنهم لم يستجيبوا لهم، وجاء رجل مؤمن من أقصى المدينة، مؤيدًا الرسل الثلاثة عليهم السلام، ودعا القوم إلى الإيمان بهم وتصديقهم، والدخول في دينهم، وعبادة الله تعالى وحده، لكنهم لم يستجيبوا له، وأمام إصرار أهل القرية على الكفر، والتكذيب، والإيذاء، حقَّت عليهم كلمة الله تعالى، فأوقع بهم العذاب.[2]

وقد أبهم القرآن الكريم تفصيل القصة، فلم يذكر اسمها، ولا زمانها، ولا مكانها، ولا جنسية أهلها، كما لم يبين أسماء الرسل الثلاثة عليهم السلام، ولم يذكر اسم الرجل المؤمن الذي جاء يسعى وينصر الرسل عليهم السلام، ولا كيف كانت نهاية الرسل الثلاثة عليهم السلام والرجل المؤمن، هل قُتلوا أو نجوا، ولا كيف كانت تفاصيل الصيحة الواحدة التي أخذتهم وأهلكتهم، وجعلتهم خامدين[3].

وقد ورد اسم الرحمن في هذه القصة في موضعين، وهما:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ [يس:15].

وهو حكاية لاعتراض الكفار من أهل تلك القرية على رسلهم عليهم السلام، وقولهم لهم: (ما أنتم إلا بشر مثلنا) أي: "مشاركون لنا في البشرية، فليس لكم مزية علينا تختصون بها"[4]، ثم قال تعالى: (وما أنزل الرحمن من شيء) أي: مما تدَّعون من الوحي، وفيه إنكار منهم أنه تعالى مُنزل شيئًا في هذا العالم[5]، أي: أنهم "أنكروا عموم الرسالة، ثم أنكروا أيضًا المخاطبين لهم، فقالوا: (إن

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص693).
(2) انظر: القرآن ونقض مطاعن الرهبان (157/1).
(3) انظر: المرجع السابق (157/1-158).
(4) فتح القدير (418/4).
(5) انظر: مفاتيح الغيب (261/26)، مراح لبيد (285/2).

أنتم إلا تكذبون)"[1].

وهو اعتراض متكرر في تاريخ الرسل عليهم السلام، يبدو فيه سذاجة التصور والإدراك، كما يبدو فيه الجهل بوظيفة الرسول ﷺ ، فالرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية، وحياة الرسول ﷺ هي النموذج الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي، النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء به[2].

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من اعتراض الكفار على الرسل عليهم السلام، وانكارهم للوحي جاء في مواضع أخرى من القرآن الكريم، ومن ذلك إنكارهم في حق النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ﴾ [ص:8]، فهو "استفهام على سبيل الإنكار، فأجابهم الله تعالى بقوله: (بل هم في شك من ذكري)، أي: وحيي وما أنزلت"[3].

الموضع الثاني، قوله تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس:23].

وهو من كلام الرجل المؤمن المذكور في قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:20]، والذي جاء من أقصى المدينة[4] يسعى في تأييد المرسلين ونصرتهم، فحاور أهل القرية المكذبين لهم وجادلهم، فسألهم مستفهمًا بغرض الإنكار[5] والتوبيخ عليهم[6] كما في قوله تعالى: (أأتخذ من دونه آلهة)، وهو استفهام متضمن لمعنى النفي، والمعنى أي: لا أعبد من دون الله تعالى معبودات[7].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص693).
(2) انظر: في ظلال القرآن (2961/5).
(3) اللباب في علوم الكتاب (379/16).
(4) عبَّر في هذه الآية بالمدينة، بعد أن عبَّر عنها في أول القصة بالقرية؛ للإشارة إلى سعتها، وإلى أن خبر هؤلاء الرسل عليهم السلام قد انتشر فيها من أولها إلى آخرها. انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (23/12).
(5) جعل الإنكار موجهًا لنفسه، والمراد القوم. انظر: فتح البيان (283/11)، فتح القدير (419/4).
(6) انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 506).
(7) انظر: أضواء البيان (6/ 294).

ثم ذكر لهم سبب تركه لعبادة هذه الآلهة، فقال: (إِن يُردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا يُنقذون)، أي: "لو أراد الله تعالى أن يُنزل بي شيئًا من الضر والأذى، وشفعت لي(الآلهة)، لم تنفع شفاعتهم، ولم يقدروا على إنقاذي".[1]

فما الفائدة من عبادة هذه الآلهة وملازمتها، وهي لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًّا؟ فإن عبادتها وبذل الأوقات في ذلك، هي غاية في الجهل والضلالة.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم فائدة المعبودات من دون الله تعالى، جاء في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [الزُّمر:38]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [يونس:106] وفي قصة هذا الرجل الصالح، وأسلوبه القوي الأخاذ، قدوة وأسوة لكل داعية مؤمن في دفاعه عن العقيدة الصحيحة ونصرتها، حتى لو أدى به ذلك إلى تحمل الكثير من المشاق.

وقد ذكر اسم الرحمن في القصة، وفيه **لطائف: منها:** أن الإرسال رحمة، فكيف لا يُنزل تعالى رحمته وهو الرحمن، وأن من أنزلهم الله تعالى لنشر هذه الرحمة رحماء بأقوامهم. **ومنها:** أن إخبار الله تعالى بما حدث للرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من إنكار قومهم لهم، فيه رحمة وتطمين لنبيه ﷺ بأنه ليس المتفرد فيما لقي من كفار قومه، وأن له الأسوة بمن تقدَّمه من الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فلا يحزن ولا يغتم، وأنه ليس عليه إلا التبليغ مثلهم، **ومنها:** أنه تعالى هو الممسك للعذاب عنهم برحمته، لا هذه الآلهة، ولولا رحمة الله تعالى بهم لهلكوا لعبادتهم هذه الآلهة، وأيضًا: تعريضًا بآلهتهم التي لا تصرف العذاب من الرحمن العام الرحمة، فما بالك بمن هو سريع الحساب، الجبار القهار؟ **ومنها:** أن إصابة الإنسان بالضر رحمةً من الله تعالى، فقد يمحو سيئة، أو يرفع درجة.

(1) صفوة التفاسير (8/3).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على سيدنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: فهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة:

أولاً: أهم نتائج البحث:

1. قوله ﷺ في الحديث الشريف: (للَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ليس المراد به حصر الأسماء، ولكن المراد: دخول الجنة بإحصائها.
2. إن الرحمة في وصف الله تعالى هي صفة حقيقية يتصف بها الله تعالى تليق بكماله وجلاله.
3. أُتبع اتِّصافه تعالى بربِ العالمين باسمي الرحمن الرحيم؛ لِيجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه.
4. تكرير (الرحمن الرحيم) في الفاتحة بعد ذكرها في البسملة-لمن عد البسملة آية منها-يدل على كثرة رحمته تعالى، وأنه تعالى هو المتفضل بها على خلقه.
5. إن آيات الرحمة يسجد عندها المؤمن ويبكي، فكيف بآيات العذاب.
6. إن الاعراض عن ذكره تعالى يدل على أقصى جهل الكفار، ويكشف عن مدى الفساد الذي أصاب فطرتهم وتقديرهم للأمور، فهم يعرضون عن الرحمة، وهم أحوج الناس إليها.
7. إن إمهال الله للمشركين-مع ما فيه من خذلان لهم-محفوف بالرحمة؛ لأن الله تعالى أمهلهم، ولم يعجل لهم العذاب.
8. إن ذكر اسم الرحمن مع المتقين يدل على سعة الرحمة، التي من شأنها الفضل والانعام على عباده المتقين.

9. إن ذكر اسم الرحمن مع العاصين المتجبرين يدل على أن شديد الرحمة بالخلق، حقيق بالشكر له والإحسان، لا بالكفر به والعصيان.

10. إن صفات عباد الرحمن تنعكس على سلوكهم، ومن ذلك مشيهم هونا.

11. إن علم الله تعالى بأحوال خلقه هو رحمة لهم؛ ليرحم المحتاجين إلى رحمته، ويمهل المعاندين إلى عقاب الآخرة.

12. إن رحمته تعالى لا تقتضي عدم خشيته، فإن خشية تعالى بالغيب هي لب الإيمان، وأعلى درجات السلوك مع الله تعالى.

13. إن الإنسان التقي هو أكثر من يؤثر فيه ذكر الرحمة.

14. إن ذكره تعالى لآيات العذاب رحمةً منه تعالى بالعباد؛ لِما في ذلك من الزجر لهم عن الشرك والمعاصي، والحث على التوبة والمسارعة فيها، قبل أن يقدموا على الحساب والجزاء.

15. إن رحمته الله تعالى مقتضيه للبعث؛ لينصف المظلوم من ظالمه، ويجازي كل إنسان حسب عمله.

16. إن قسط الخلق من الرحمة أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق. وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق.

17. إن اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهوِّن الخطب على الكفرة؛ لعدم استحقاقهم للرحمة.

18. إن كثرة ورود اسم الرحمن في سورة مريم، يناسب جو السورة وظلالها الرحمانية، المتمثل في قصصها ومعانيها، وما اشتملت عليه السورة من ذكر بعض الرحمات العظيمة.

19. إن سورة الرحمن في نظمها، وألفاظها، ومعانيها، ترجمة صادقة، وبيان واضح، لمعاني اسم الرحمن، وأن عرض آيات العذاب في السورة يتوافق ويراعي الجو العام للسورة، وهو جو الرحمة.

20. إن ورود اسم الرحمن في سورة الملك يناسب سياق الآيات التي قبلها، والذي يدور حول معنى من معاني رحمة الله تعالى بخلقه، وهو إمساكه تعالى الهلاك والزوال عنهم.

21. إن ذكر الله تعالى للقصص القرآني، فيه غاية الرحمة والمواساة لنبيه ﷺ على ما يلقاه من الشدة والمعاناة في الدعوة، وتطميناً له بأن له الأسوة بمن تقدَّمه من الرسل عليهم السلام، فلا يحزن ولا يغتم، وما عليه إلا التبليغ مثلهم.

22. إن قصة مريم عليها السلام تدل على قدرته تعالى ورحمته العظيمة، فقد أنطق عيسى عليه السلام؛ ليُظهر براءة أمه.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. أوصي الباحثين بعمل دراسات قرآنية جديدة تتعلق بأسماء الله الحسنى، ولطائف ورودها في القرآن، وأهمية الدعاء بها، وينبغي أن يدعو كل إنسان بما يناسب حاجته.

2. أوصي الدعاة باتباع الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله تعالى؛ تأسيًا بالأنبياء عليهم السلام والصالحين، وذلك أدعى للقبول.

3. أوصي بصلة الرحم فإنها معلقة بالعرش، والقاطع لها منقطع من رحمة الله تعالى، وقد ورد التقصير في هذا الجانب؛ بسبب انخفاض مستوى المعيشة.

4. أوصي طلاب العلم أن يتحابوا في الله تعالى، وأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه.

5. أوصي الأبناء بالتأدب والتلطف في مخاطبة الوالدين؛ تأسيًا بإبراهيم عليه السلام.

6. أوصي المبتلى بفقر أو مرض أو مصيبة أن يلجأ لله تعالى بتذلل وخشوع، وإن دعاه يكون على يقين بالإجابة، وإن استعان به يكون على يقين بعونه له، وأن يداوم عل الثقة برحمته وتوقعها في كل أمر.

وأخيراً فإن الله يسر لي إتمام هذه الرسالة على هذا الوجه، فله الحمد وله الشكر أولاً وآخراً، وأسأله تعالى أن يتقبلها مني وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يتم نعمته علي فيها، بأن أرى قبولها وفائدتها تعم المسلمين.

هذا وما كان من توفيق وصواب في هذه الرسالة فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي أو من الشيطان. وأسأل الله الثبات على الدين.



الفهارس العامة

وتشتمل على خمسة فهارس:

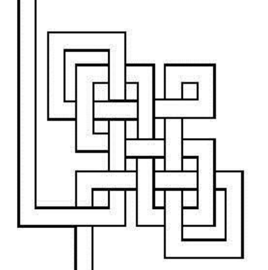
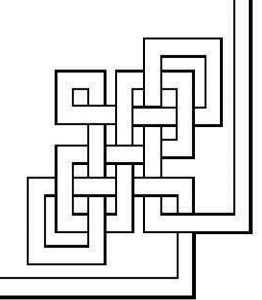
أولا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولا : فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة المائدة		
.18	﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾	75	173
	سورة الأنعام		
.19	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ﴾	147	77
.20	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾	159	111
	سورة الأعراف		
.21	﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾	33	16
.22	﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾	38–39	112
.23	﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾	55	94
.24	﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾	89	97
.25	﴿إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	104	66
.26	﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾	156	1، 10، 51، 77، 157
.27	﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾	180	3، 9، 16
	سورة التوبة		
.28	﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾	40	162
.29	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾	72	103
.30	﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾	128	40
	سورة يونس		
.31	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾	3	34، 79
.32	﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾	94	90

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.49	ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ	125	178
	سورة الإسراء		
.50	وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ	82	140
.51	قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ	110	9، 26، 92
	سورة الكهف		
.52	وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ	18	11
.53	وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَ	58	12، 78
.54	فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا	64	166
.55	فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا	80	176
.56	وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا	81	24
.57	قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ	110	131
	سورة مريم		
.58	ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ	2	132، 134
.59	إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا	3	134
.60	شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا	4	136
.61	وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا	16	135
.62	حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا	17	100
.63	قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا	18	32، 168
.64	وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا	21	137
.65	قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا	23	145، 170
.66	فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا	24	137
.67	فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا	26	32، 169

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
68.	فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا	29–30	137، 171
69.	فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ	37	174
70.	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا	41	135
71.	يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا	44–45	35، 132، 175
72.	فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ	49	135
73.	وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا	50	135، 138
74.	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا	51	135
75.	وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا	53	135
76.	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا	54	135
77.	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا	56	135
78.	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ	58	33، 56، 135
79.	فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ	59	138
80.	ج جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا	61	35، 102
81.	فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ	68	33، 109
82.	ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا	69	36، 108
83.	خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا	73	70
84.	قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ	75	34، 69
85.	وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى	76	69
86.	أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا	77	119
87.	أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا	78	119
88.	يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا	85	33، 108

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
89.	لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا	87	33، 117
90.	وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا	93-88	32، 81، 132
91.	وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا	95	99
92.	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ	96	99،35، 134
	سورة طه		
93.	مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى	4-2	79
94.	ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ	5	34، 40، 75
95.	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ	8	9
96.	وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى	90	32، 179
97.	يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ	108	116
98.	يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا	109	33، 116، 118
	سورة الأنبياء		
99.	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ	25	91
100.	وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ	26	27، 32، 83
101.	وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ	36	27، 33، 63
102.	قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ	42	28، 35، 95
103.	أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ	43	160

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.104	وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا	91	172
.105	وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ	107	1، 49، 62، 137
.106	قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ	112	28، 35، 96
	سورة الحج		
.107	أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ	18	142
.108	فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	45	122
	سورة المؤمنون		
.109	فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ	116	74
	سورة الفرقان		
.110	ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا	26	28، 33، 113
.111	ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا	59	28، 75
.112	قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ	60	28، 33، 37، 53، 66، 131
.113	وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا	63	28، 33، 53
.114	وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا	64	57
.115	أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا	75	57
	سورة الشعراء		

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.132	وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	10	58
.133	﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾	11	28، 33، 58
.134	وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ	13	28، 181
.135	قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ	15	32، 182
.136	وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ	20	183
.137	﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾	23	28، 32، 183
.138	إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ	29	87
.139	قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ	52	28، 33، 106
.140	أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ	60	175
	سورة الصافات		
.141	ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ	22	109
.142	إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ	84	59
.143	وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ	99	109
.144	وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ	158	83
	سورة ص		
.145	أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ	8	183
	سورة الزمر		
.146	مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ	3	91

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
147.	قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ	38	184
	سورة غافر		
148.	رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا	7	77
149.	رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ	8	103
150.	لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ	16	114
	سورة فصلت		
151.	﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	2	28، 34، 49
	سورة الشورى		
152.	تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ	5	155
153.	لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ	11	13
154.	وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ	52	100، 126
	سورة الزخرف		
155.	وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ	17	29، 32، 85
156.	وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ	20-19	29، 33، 83
157.	وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ	33	29، 34، 67
158.	وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ	36	29، 34، 71
159.	وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ	37	72
160.	فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ	42-41	162
161.	أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ	45	29، 35، 90
162.	أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ	52	63
163.	قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ	81	29، 33، 86
	سورة الجاثية		

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.164	وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ	24	12
.165	وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ	28	111
	سورة الأحقاف		
.166	وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ	8	12
.167	فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ	35	173
	سورة محمد		
.168	يَا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ	7	161
	سورة الفتح		
.169	يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ	15	104
	سورة ق		
.170	هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ	32–34	58
	سورة الطور		
.171	أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ	30	162
	سورة القمر		
.172	مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ	8	116
	سورة الرحمن		
.173	ٱلرَّحۡمَٰنُ	1	36، 139
.174	عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ	2	140
.175	خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ	3	141
.176	عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ	4	141
.177	ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ	5	142، 151
.178	وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ	6	142

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
217.	قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ	28	162
218.	قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ	29	162
	سورة الجن		
219.	وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا	3	83
220.	وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا	17	96
	سورة الحاقة		
221.	وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ	17	74
222.	قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ	23	148
	سورة المدثر		
223.	فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ	10-9	114
	سورة القيامة		
224.	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	23-22	128
	سورة الإنسان		
225.	وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا	14	148
	سورة النبأ		
226.	جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا	36	122
227.	رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا	37	33، 122
228.	يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا	38	33، 122
	سورة النازعات		
229.	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ	40	147
	سورة البروج		
230.	ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ	15	74

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة المطففين		
231.	كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ	15	129
	سورة الفجر		
232.	وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا	22	127
	سورة الشرح		
233.	أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ	1	117
	سورة التين		
234.	لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ	4	141

ثانياً: فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	ورود الحديث وحكمه	الصفحة
1.	لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا	صحيح البخاري	10
2.	إِنَ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلاَثُونَ آيَةً تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾	سنن ابن ماجه، صحيح	152
3.	مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:1] كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ	سنن النسائي الكبرى، رجاله ثقات	164
4.	وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ	صحيح مسلم	11
5.	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	صحيح البخاري	140
6.	لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ	صحيح البخاري	145
7.	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا.	سنن الترمذي، حسن	152
8.	أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ	صحيح ابن حبان، صحيح	18
9.	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ	صحيح مسلم	18
10.	للَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ	متفق عليه	19
11.	الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمٌّ لِلْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي	سنن الترمذي	46
12.	إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ	صحيح لغيره	99
13.	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا، فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ	صحيح البخاري	101
14.	لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ	صحيح مسلم	119
15.	مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ	صحيح البخاري	128

م	طرف الحديث	ورود الحديث وحكمه	الصفحة
	تُرْجُمَانٌ وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ.		
16.	كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا: آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ.	صحيح البخاري	173
17.	مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ. قَالُوا أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ.	صحيح مسلم	107
18.	يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.	صحيح مسلم	13
19.	الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ.	صحيح مسلم	76
20.	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً.	صحيح البخاري	77
21.	لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهْوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي.	صحيح البخاري	79
22.	قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا.	سنن أبي داود صحيح	38
23.	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ.	صحيح مسلم	181
24.	الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة.	مسند أحمد	116
25.	أعددت لعبادي الصالحين.	صحيح البخاري	104

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: المصادر والمراجع

1. إتقان البرهان في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1997م.
2. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ /1974م.
3. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ /2003م.
4. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ /1988م.
5. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك، القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.
6. أسباب نزول القرآن، الإمام أبو الحسن، علي بن محمد الواحدي (المتوفي: 468هـ)، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ /1991م.
7. أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ /1999م.
8. اسم الله الأعظم "جمع ودراسة وتحليل النصوص الواردة في ذلك" عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، ط1، 1419هـ /1998م.
9. أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار الشريعة، ط1، 1424هـ /2003م.

10. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

11. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415هـ /1995م.

12. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ /1992م.

13. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط4، 1415هـ.

14. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، أيار / مايو 2002م.

15. الأمثال في القرآن لابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، مصر، طنطا، ط1، 1406هـ / 1986م.

16. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

17. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ/ 1964م.

18. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ /2003م.

19. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ - 1988م.

20. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

21. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي –الشاطبية والدُّرة –القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

22. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: جـ 1، 2، 3: 1416هـ /1996م، جـ 4، 5: 1412هـ /1992م، جـ 6: 1393هـ /1973م.

23. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة، الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، دار القلم–دمشق، الدار الشامية–بيروت، ط1، 1416هـ /1996م.

24. بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملّا حويش، السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، ط1، 1382هـ / 1965م.

25. البيهقي وموقفه من الإلهيات، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة من كليه الشريعة والدراسات الاسلامية –جامعة الملك عبد العزيز، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1423هـ /2002م.

26. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

27. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (المتوفي:1393)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.

28. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: 1353هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

29. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.

30. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد، المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير، آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ /2002م.
31. تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة، الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
32. تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
33. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 112 –السنة: 33 –1421هـ.
34. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (المتوفى: 905هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ /2004م.
35. تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
36. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط1.
37. تفسير الحجرات – الحديد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1425هـ /2004م.
38. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1383هـ.
39. تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
40. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب المطبوع أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997م).
41. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)،
42. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.

43. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة، القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
44. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط1، 1423هـ /2002م.
45. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصري، ثم الدمشقي (المتوفي:774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ.
46. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410هـ.
47. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد، المروزي السمعاني التميمي الحنفي، ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ /1997م.
48. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
49. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ /2005م.
50. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب، البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
51. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ /1946م.
52. التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ط1412هـ.

53. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.
54. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود، حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ /1998م.
55. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ.
56. التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ.
57. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، ج1-5: 1997م، ج6-15: 1998م.
58. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله، الأُرَمِّي العلوي الهرري الشافعي، اشراف ومراجعة د. هاشم محمد على بن حسين مهدي، مكة المكرمة، دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ /2001م.
59. تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
60. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: 1327هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1406.
61. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفي:1376)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ /2000م.
62. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ /2000م.
63. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (المتوفى:671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ /1964م.

64. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
65. دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.
66. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
67. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر، بيروت.
68. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ /1991م.
69. دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآيِ والسور، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ /2009م.
70. ذم التأويل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط1، 1406هـ.
71. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى، الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى، أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر، بيروت.
72. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
73. الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط1، 1405 /1985.

74. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1403هـ /1983م.

75. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.

76. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي.

77. سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد، الحسني الكحلاني، ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، دار الحديث، بدون طبعة وبدون تاريخ.

78. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

79. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض، المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ /1975م.

80. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي، الخراساني النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ / 2001م.

81. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، خرج أحاديثه: أحمد شعبان أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1426هـ/ 2005م.

82. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة –الرياض)، ط1، 1417هـ /1997م.

83. شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفي: 1421هـ)، دار الوقت للنشر، الرياض، ط1، 1426هـ.
84. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، ط2، 1429هـ /2008م.
85. شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، شرح: محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى بها: مكتب الأصالة للبحث العلمي، دار البصرة، الإسكندرية، 1419هـ /1998م.
86. شرح سنن أبي داود، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين، الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، تحقيق: أبو المنذر، خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ /1999م.
87. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1405هـ.
88. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1398هـ /1978م.
89. الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: السنة: الحادية عشرة، العدد الرابع، 1418هـ /1998م.
90. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعبدَ التميمي، أبو حاتم، الدارمي البُستي (المتوفى: 354هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ /1993م.
91. صحيح البخاري، واسمه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
92. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط5.
93. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، المكتب الإسلامي.

94. صحيح مسلم، واسمه: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

95. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ /1997م.

96. الصناعتين، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ.

97. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ /1985م.

98. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة–المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض–د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

99. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين، الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

100. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، أبو الطيب (المتوفى: 1329)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.

101. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.

102. فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، الكويت، ط1، 1424هـ /2003م.

103. الفتاوى الكبرى، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ /1987م.

104. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: 1389هـ)، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط1، 1399هـ.

105. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت،1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

106. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله، الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت،1412هـ /1992م.

107. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

108. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، حققه وخرج أحادثه وعلق عليه: د. عبد الرحمن بن عبد لكريم اليحيى، دار الفضيلة، دار ابن حزم.

109. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية "الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط1، 1419هـ /1999م.

110. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412هـ.

111. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356.

112. القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1428هـ /2007م.

113. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، تقديم: الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار ابن الجوزي، مصر، ط1، 1426هـ/ 2005م.

114. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط2، محرم 1424هـ.

115. كتاب الكليات، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ /1998م.

116. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

117. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض،

118. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ /2002م.

119. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، الشيحي، أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

120. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي بن عادل، الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ /1998م.

121. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

122. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية "لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية"، شمس الدين، أبو العون، محمد بن أحمد بن سالم، السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط2، 1402هـ /1982م.

123. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط4، 1426هـ /2005م.

124. المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين، تأليف: كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي، آل جهام الكواري، دار ابن حزم، ط1، 1422هـ /2002م.

125. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ /1994م.

126. مجموع الفتاوى، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ /1995م.

127. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، 1413هـ.

128. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

129. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

130. المحرَّر في أسباب نزول القرآن (من خلال الكتب التسعة)، د. خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، ط1، 1427هـ.

131. المحلى بالآثار، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

132. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ /1999م.

133. مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، أبو محمد، عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ)، ط12، 1418هـ /1997م.

134. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ /1996م.

135. مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، مدار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ.

136. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي، الجاوي البنتني إقليما التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.

137. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله، الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم، الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ /1990م.

138. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ /1995م.

139. مصاعد النظَّر للإشراف على مقاصد السِّوَرِ، ويسمى: "المَقصِد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1408هـ /1987م.

140. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: 1377هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1410هـ /1990م.

141. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ /1997م.

142. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ /1932م.

143. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ /1988م.

144. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

145. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة. مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004

146. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (المتوفي: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ /1979م.

147. المغرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: 610هـ)، دار الكتاب العربي، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

148. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

149. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.

150. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل "في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل"، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

151. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ / 1986م.

152. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

153. مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ /2002م.

154. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، ط 1405هـ.

155. موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية.

156. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

157. نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسُّنَّة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

158. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن، مختار القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، نشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ /2008م.

159. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي، الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1415هـ.

خامسًا : فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة

الحمد لله العظيم المنان، والصلاة والسلام على نبيه العدنان، أما بعد:

فهذه رسالة ماجستير بعنوان: (اسم الرحمن في القرآن الكريم) تناولت فيها الباحثة اسم الرحمن من خلال الآيات، والسور، والقصص القرآني.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما التمهيد: فقد تناولت فيه الباحثة قواعد في أسماء الله الحسنى، منها: أسماء الله كلها حسنى، ومنها: أسماء الله أعلام وأوصاف، ومنها: دلالات أسماء الله الحسنى، ومنها: أسماء الله تعالى توقيفية، ومنها: أسماء الله غير محصورة بعدد.

وأما الفصل الأول: فقد تناولت فيه الباحثة اسم الرحمن ووروده في القرآن، واشتقاقه، والفرق بينه وبين اسم الرحيم.

وأما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه الباحثة اسم الرحمن في السياق القرآني، وقامت بتفسير الآيات، وذكرت لطائف اسم الرحمن فيها، والتي تناولت عدة موضوعات، منها: اجتماع اسمي الجلالة الرحمن الرحيم، ومنها: عباد الرحمن وأولياء الشيطان، ومنها: استواء الرحمن على العرش، ومنها: تنزيه الرحمن عن الولد، ومنها: لطائف اسم الرحمن في سياق ذكر النعم، وفي سياق أحداث اليوم الأخر.

وأما الفصل الثالث: فقد تناولت فيه الباحثة لطائف اسم الرحمن في السور والقصص القرآني، وعرضت لذلك بعض السور القرآنية التي ورد فيها اسم الرحمن، مثل: سورة مريم، وسورة الرحمن، وسورة الملك. ثم عرضت القصص القرآني التي ورد فيها اسم الرحمن، مثل: قصة مريم، وقصة إبراهيم، وقصة عبادة العجل، وقصة اصحاب القرية.

وأما الخاتمة: فقد استعرضت فيها الباحثة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

A summary of the message

Praise be to God Almighty Mannan, prayer and peace be upon His Prophet Adnan, either:

This Master Thesis entitled: (Name Rahman in the Quran) which dealt with the name of the researcher Rahman through the verses, and the fence, and Quranic stories.

This came at the forefront of research, and pave, and three chapters, and a conclusion.

The boot: it has dealt with the researcher bases in the names of Allah, including: the names of God are all Hosny, including: the names of God flags and descriptions, including: the implications of the names of Allah, including: the names of God Toukafah, including: the names of God is not confined to the number.

The first chapter: it took the name of the researcher and Rahman had ever been in the Quran, and derived, and the difference between him and the name Rahim.

The second chapter has dealt with the researcher name Rahman in the context of the Qur'an, and the interpretation of verses, and reported to the Taif name Rahman where, and which addressed several topics, including: meeting my name Majesty the Merciful, including: sunflower Rahman and parents evil, including: flush-Rahman on the throne, including: Rahman disliked about the boy, including: the name of the Taif Rahman said in the context of the graces, in the context of the events of the other day.

The third chapter dealt with the researcher to Taif Rahman name in the fence and Quranic stories, and offered it to some railings of the Koran that states the name of Rahman, such as: Maryam, and Ar-Rahman, and Al Mulk. Then offered Quranic stories that mentioned the name of Rahman, such as: the story of Maryam, and the story of Abraham, and the story of the worship of the calf, and the story of the owners of the village.

The conclusion: the researcher has reviewed the most important Results and recommendations of the study.